الإسهام

علماء منطقة جيجل ومشايخها

في الحركة الوطنية والثورة التحريرية المباركة

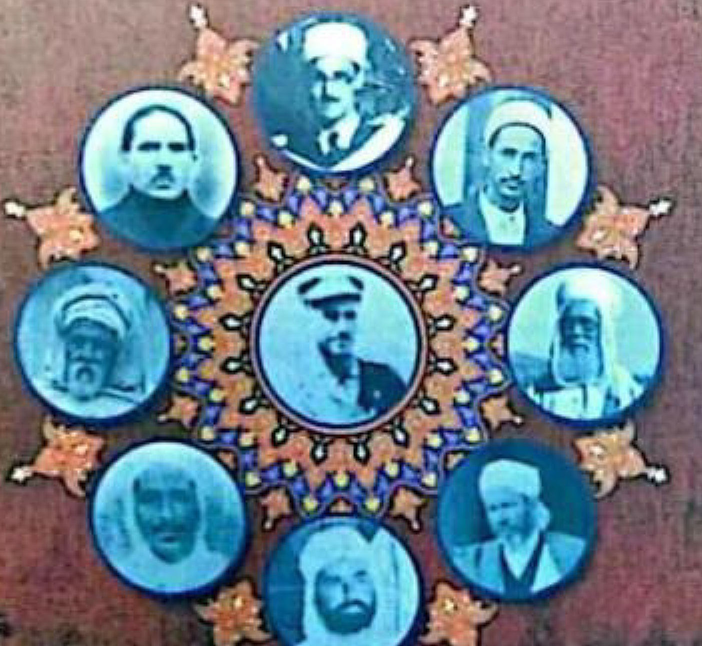

جيجل 2016

Scanné avec CamScanner

هدية من المركز الثقافي
الإسلامي
- جيجل -
218 /10/30

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية – قسنطينة
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
17757

بسم الله الرحمن الرحيم

أعمال الملتقى الوطني

إسهام علماء منطقة جيجل ومشايخها
في الحركة الوطنية والثورة التحريريّة المباركة

961.506
11

بالمركز الثقافي الإسلامي – فرع الشيخ أحمد حماني

جيجل يومي 06 و07 جمادى الأولى 1437 هـ

الموافقين لـ 15 و16 فيفري 2016 م

محتوى المطبوع

الجلسة الرسمية

كلمة ترحيبيّة للسيد جمال الدين بوحلّي (رئيس فرع المركز الثقافي الإسلامي أحمد حماني جيجل) 08

رسالة السيّد د. أحمد يسعد (المدير الوطني للمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر) 10

كلمة السيّد د. الطيب الهواري (الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء) 12

كلمة السيّد صالح بوالشعير (ابن شهيد – ممثل الأسرة الثورية لولاية جيجل) 16

كلمة السيّد/ أحمد كروم (الأمين العام لولاية جيجل – ممثلا عن السيّد والي ولاية جيجل) 18

الجلسة الأولى: شيوخ الزوايا الدينيّة بمنطقة جيجل ودورهم في المقاومة الوطنية

رئيس الجلسة/ د. كمال لعريبي

دور شيوخ الزوايا الدينية في مقاومات منطقة جيجل – مقاومات 1864–1871 أنموذجا – أ. عبد القادر بورمضان (جامعة 08 أوت 1945 قالمة) 25

مشايخ الزوايا والقيادات الميدانية لثورة 1871م –الشيخ سي القريشي بن سعدون أنموذجا– أ. الصادق زياني (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة) 38

الزوايا الإصلاحية في الجزائر ودورها في الحراك الوطني –زاوية مولاي أحمد العابد مولى الشقفة أنموذجا – أ. مريم مالكي (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة) 55

التصوف والصوفية والزوايا الدينيّة –الأثر في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية– أ. محمد الأمين شرويك (جامعة عمار ثليجي الأغواط) 70

الجلسة الثانية: علماء الإحياء الديني لمنطقة جيجل وإسهاماتهم في بعث الوطنية الجزائرية

رئيس الجلسة/ أ. يوسف صوكو

دور علماء جيجل ومشايخها – في تأسيس الحركة الجمعوية والمدارس الحرة – أ. رابح زعدان (مدير الثقافة متقاعد) 102

4/377

الإحياء الديني والتاريخي – في فكر العلامة مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي – أ. نعمان بوقيداح و أ. سارة بوتيقار (جامعة أبي القاسم سعد الله الجزائر) 120

النظرة الإستشرافية عند الشيخ مبارك الميلي – الجانب السياسي أنموذجا – أ. عبد الكريم ستاني (مفتش رئيسي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل – جامعة الزيتونة تونس) 133

شيوخ الإحياء بمنطقة جيجل – ودور الوساطة بين ثورات الزوايا ونضال الحركة الإصلاحيّة – أ. سفيان عبد اللطيف (جامعة أحمد بن بلة وهران) 146

الجلسة الثالثة: **علماء الحركة الإصلاحيّة بمنطقة جيجل وإسهاماتهم في الحركة الوطنية**

رئيسة الجلسة/ أ. صافية جبير

نماذج من علماء الحركة الإصلاحية الجيجلية – خريجي جامع الزيتونة – أ. محمد محمدي (جامعة محمد بوضياف المسيلة) 170

التاريخ في خدمة المشروع الإصلاحي ومدافعة التزييف الاستدماري – كتاب (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) لمبارك الميلي أنموذجا – أ. حسين بوبيدي (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة) 187

إسهامات الشيخ العلامة أحمد حماني – في الحركة الوطنية الجزائرية – أ. لزهاري تريكي (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة) 212

الوطنية عند المجاهد المصلح محمد الصالح ابن عتيق – مفهوما وتفعيلا – أ. رمضان أولاد بلة (الجامعة الأفريقية أحمد دراية أدرار) 222

دور مصلحي جمعية العلماء المسلمين في الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية – العلامة مبارك الميلي أنموذجا – أ. مصطفى حليمي (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة) و أ. محمد بن عرية (جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة) 246

الجلسة الرابعة: **الإسهامات المباشرة لعلماء منطقة جيجل ومشايخها في الثورة التحريرية المباركة**

رئيس الجلسة/ أ. لخضر شاتول

إسهامات علماء مشايخ منطقة جيجل في القضاء – إبان الثورة التحريرية 1954–1962 – أ. مسعود بوخوخة (مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل – جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة) 271

الشيخ العلاّمة رابح عيسوس الميليّ الجيجلي – ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية – أ.شمس الدين بوفلش (جامعة الحاج لخضر باتنة) 299

شهداء الحركة الإصلاحية – ودورهم الدعوي والثوري بمنطقة جيجل – أ. صافية حيمر (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة) 315

البعد الإصلاحي في نشاط الشيخ أحمد حماني – خلال الثورة التحريرية الجزائرية – أ. احلام بوسالم (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة) 345

إسهام الطُّلْبة (معلمي القرآن الكريم) في الثورة التحريرية – الإمام المجاهد الشيخ صالح بن محمد بوحلّي أنموذجا – أ. أمينة بوبصلة (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل) 360

ديباجة

إن المستبصر في الشواهد التاريخية المخبرة عن مسار الحركة الوطنية في الجزائر عمومًا، وفي منطقة جيجل على وجه مخصوص، يلحظ أن هذه الحركة كانت تتأقلم مع طبيعة الأنظمة السياسية التي حكمت كل مرحلة، والتي استطال اعتمادها على الشرعيّة الدينيّة أمدًا مليًّا، وبلغ تأثيرها العصر الحديث الذي كثر فيه زخم الأحداث، ويبدُو لكل من يتصدّى لإشكالات البحث في الحركة الوطنية بالجزائر أن الرتب الدينية كانت مُعتمدةً فعليًّا في بناء المنظومة السياسية والعسكرية للدولة، ومن ثمة كانت للقيادة الدينية على أيدي علماء المشايخ نصيب موفور في تحريك المواقف الوطنية، لاسيما منها الجهاد في سبيل الله لدفع الغزاة (الكفار) عن الوطن الجزائري، والذي تتمذج جليًّا في ردّ المستدمرين الفرنسيين في القرنين التاسع عشر والعشرين.

لقد حدثت في مسيرة هذه الحركة الوطنية المبنية على الطرح الدينيّ منعرجات حاسمة، فمن إعلان الجهاد العسكري على الفرنسيين، بأيدي **شيوخ الزوايا** التي كانت تمثل المؤسسات الدينية الأقوى في زمن غزوهم الأول، والتي أحبطها نقص السّلاح المتطور وميل كفة القوة للمعتدين، إلى جهاد **شيوخ الإحياء** الذي سعوا إلى بعث تعاليم الدين الإسلامي في الأجيال الجديدة مطلع القرن العشرين، وقد تولى ذلك علماءُ كبار تحدّوا كل شيء، إلى **شيوخ الإصلاح** الذين اتصل مدّهم الجارف بالتمهيد لحدث سياسي وعسكري أكبر وأشمل هو الثورة التحريرية الكبرى.

وفي خضّم هذه الأحداث كلها التي ميزت تلك المراحل، برز في منطقة جيجل علماءُ أفذاذ، استطاعوا – على غرار إخوانهم في المناطق الأخرى من الوطن الجزائري – أن يؤدوا هذه الأدوار الكبرى، وأن يقدّموا من الجهد العلمي والوطني ما أثبت ضخامتهُ ولجاجةُ خطورة السياقات التي عاشوها من جهة، وعظمة النتيجة التي بلغتها جهودهم في المدى البعيد وهي تحرر الجزائر في عام 1962م من جهة أخرى.

واعتمادا على هذه المعطيات الهامة، يفرض علينا طرح الإشكال الآتي: من هم أبرز العلماء المشايخ الذين أدّوا هذه الأدوار الوطنية العظيمة بمنطقة جيجل؟ وكيف كانت إسهاماتهم غير المباشرة في تنشئة جيل استطاع تحقيق حلم الحرية، وإسهاماتهم المباشرة في العمل الإصلاحي والسياسي والعسكري؟

أهداف الملتقى:

- إعادة الاعتبار لإسهامات الحركة الدينية بمختلف أطيافها في تدعيم الحركة الوطنية.
- نفض غبار الإهمال عن أعمال كبار علماء منطقة جيجل في العصر الحديث.
- إعادة قراءة علمية متفحصة للأخبار التاريخية المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية بجيجل.
- تزويد الأجيال المتجددة من الباحثين بالمراجع التاريخية العلميّة ليفخروا بوطنيتهم ويدافعوا عنها.
- تعزيز الانتماء الوطني والديني للجيل الجديد من خلال ربطه بوحدة المسار مع أسلافه.

8/377

ع/ اللجنة العلمية للملتقى
د. سفيان عبد اللطيف

كلمة ترحيبيّة للسيد/ جمال الدين بوحلّي

رئيس فرع المركز الثقافي الإسلامي أحمد حماني جيجل

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

السيد/ الأمين العام لولاية جيجل ممثل السيد والي الولاية المحترم.. السيدة/ ممثلة رئيس المجلس الشعبي الولائي.. السيد/ الأمين الوطني للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء.. السيد /مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل.. السيدات والسادة/ من السلطات المحلية ومنتخبي الولاية وأعضاء البرلمان بغرفتيه.. السادة /ممثلو الأسلاك الأمنية والعسكرية.. السادة/ الأئمة والأساتذة الفضلاء.. السيدات والسادة/ ممثلو الأسرة الإعلامية.. أيها الجمع الموقر.. السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.. يطيب لنا أن نستقبلكم في رحاب هذا الملتقى الوطني الأول عن "إسهام علماء منطقة جيجل ومشايخها في الحركة الوطنية والثورة التحريرية المباركة" ونحن على مشارف الإحتفاء بذكرى اليوم الوطني للشهيد، هذا الشهيد الذي سما قدرًا عند ربه فأنزل فيه قوله عز وجل: "ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون"، إنهم أحياء في السماء وأحياء في الأرض وبركتهم تجمعنا اليوم وغدًا بإذن الله.

السيدات والسادة الأكارم.. يأتي هذا الملتقى في طبعته الأولى في ظل متغيرات عالميّة مربكة تستهدف مسخ هويّة الأمم وضرب المرجعيات التي شكلت على الدوام محورًا تلتف حوله الشعوب، والجزائر للأسف ليست بمنأى عن هذا التيار الجارف، فكان لزاما علينا إعادة بعث منهج هؤلاء العلماء والمشايخ من الشهداء والمجاهدين.. الدرع الحصين الذي حفظ الشخصية الوطنية الجزائرية بكل أبعادها، طيلة الوجود الاستدماري بالجزائر، ومن ثم توجيه الشباب الجزائري في هذه المرحلة الحرجة إلى أهمية هذه المرجعية الأصيلة في صنع حاضره ومستقبله.

السيدات والسادة الأفاضل.. ما شكر الله من لم يشكر الناس، وواجب الشكر نتوجه به أولا إلى السيد/ معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور **{محمد عيسى}** والسيد/ والي ولاية جيجل **{العربي مرزوق}** على رعايتهما فعاليات الملتقى.. وأثني بالشكر للسّيد مدير المركز الثقافي الإسلامي على إسهامه الكبير في الإعداد والتحضير لهذا الملتقى وإنجاحه، كما نشكر السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل على الدعم الكامل والتسهيلات التي يخص بها المركز الثقافي الإسلامي في كل أنشطته، والشكر موصول إلى كل أعضاء اللّجنة العلميّة الأفاضل وأخصّ بالذكر الأستاذين الكريمين: أ. **سفيان عبد اللّطيف** وأ. **حسين بوبيدي**، ومن خلالهم لكل الأساتذة الأفاضل الذين شرفونا بحضورهم من 11 ولاية من الوطن العزيز.. وإلى كل أعضاء المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بجيجل وشكر خاص لأمينها الوطني الذي شرفنا بحضوره، كما لا أنسى أن أشكر جمعية الوفاء والتواصل الثقافية وجمعية الشيخ أحمد حماني لإحياء مآثر الأعلام، وكذا الإذاعة الجزائرية من جيجل التي ترافق على الدوام أنشطة المركز الثقافي ومن خلالها الشكر موصول لكل الأسرة الإعلامية. وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل إلى جنود الخفاء من موظفي فرع المركز الثقافي الإسلامي أحمد حماني وإلى كل من أسهم من قريب أو من بعيد في إعداد أشغال الملتقى والتحضير لها وإنجاحها ولا سيما التغطية المالية..

السيدات والسادة الأفاضل.. أختم كلمتي إليكم بمقولة المصلح الإسلامي الكبير السيد جمال الدين الأفغاني: **"لا عزة لقوم لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم منهم أساطين تحمي وتحيي آثار رجال تاريخها، فتعمل عملهم وتنسج على منوالهم، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني: بدايته الوطن، ووسطه الوطن، وغايته الوطن.."** المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، والعزة والوحدة للجزائر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

10/377

رسالة السيّد/ د. أحمد يسعد

المدير الوطني للمركز الثقافي الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد والي الولاية المحترم.. السيد الأمين الوطني والأمناء الولائيون لمنظمة أبناء الشهداء.. السيد (ابن الشهيد) رئيس جمعية الوفاء والتواصل الثقافية.. السيدات والسادة أعضاء المجالس المنتخبة الوطنية والمحلية.. السادة والسيدات إطارات الدولة المدنية والأمنية والعسكرية بمختلف مهامهم ورتبهم.. السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف.. السيد رئيس المركز الثقافي الإسلامي.. السادة المشايخ العلماء والأئمة الأجلاء.. والسيدات المرشدات الدينيات المخلصات.. السادة الدكاترة والأساتذة والطلبة.. السادة والسيدات ممثلوا المجتمع المدني.. السادة المنتسبون إلى الكشافة الإسلامية الجزائرية.. السادة والسيدات أعضاء الصحافة الكريمة ووسائل الإعلام المختلفة.. أيها الضيوف الكرام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نثرت جزائرنا –يوم قامت لفرنسا – كِنانتها. فلم تذر أهزع.. فجاءت بقضها وقضيضها.. تخطّف عسكر المعتدين من كل صقع من أصقاع قطرنا المبارك.. بالكَلِيم والكَلْم جميعا..فسالت أودية من دماء أهل الشجاعة وأهل البراعة.. ومنهم من سليم ينتظر نحبه..رحم الله من قضى.. وثبت من بقي.. ومن يغيّب في هذا شمس "جيجل"؟.. أرض الهمم والقِمم.. وموطن كل قمقام همام.. فيها الجبال الرواسي الشامخات لئلا تميد الأرض.. وليتعلم أبناؤها الرسوخ والثبات.. فكانوا جبالا.. رام المحتل البغيض نطحها.. فكان شأنه كقول الشاعر..

كناطح صخرة يوما ليوهنها *** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل!

ولما ولت أيام الجود بالدماء.. أقبلت أيام الوفاء.. وتكرار مكارم أمجادنا التي لا يمل من اللهج بها لسان.. وأوفى المركز الثقافي الإسلامي فرع الشيخ أحمد حماني بجيجل لجيجل الكيل في

الوفاء.. وتصدق.. في ملتقى مشهودٍ عنوانه: "إسهام علماء منطقة جيجل ومشايخها في الحركة الوطنية والثورة التحريرية"، الذي أقيم يومي 06 و07 جمادى الأولى 1437 الموافق 15 و16 فبراير 2016.. يذكر بأيام من لم يشغله طيّ الرَّكْب عن أن يكون في مقدمة الرَّكْب في جهادنا المبارك.. ويعدد مناقب من كان إمام الصفوف.. وأمام الجمع لدى الزحف في الصفوف..

وها هي ذي أعمال هذا الملتقى مرقومة في سجل ليكون ذلك أدعى لحفظها وتخليدها.. والإفادة منها.. وأخلق بالمركز الثقافي الإسلامي وفروعه أن يسدّ هذا المسدّ.. مسبّق حفظ المناقب.. وإثراء المكاتب.. فإنهُ كوكب منير في الكواكب السائرة في فلك مؤسسات الدولة الجزائرية.. وعلى رأسها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.. التي انتدبته لمثل هذه.. ويرضى منه معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور محمد عيسى الانكباب على جرد هذه المكارم والمشاهد.. قبل أن يطول العهد ويغيب الشاهد..

كل ذلك في ظلّ مسيرة قاصدة وسياسة –بتوفيق الله– راشدة في خدمة تراث الأمة وحماية تاريخها المجيد في عهد فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة.

نسأل ربنا عز وجل الذي خلق آدم.. وأخذ من ظهره ذريته.. أن يديم على الجزائر نعمة الصالحين والصادقين ما دام الليل والنهار.. وأن يخرج من الأصلاب والظهور أقوامًا يرثون المكارم ويورثونها.. إن الله على شيء قدير.

كلمة السيد/ د. الطيب الهواري

الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد قائد المجاهدين العظيم

يطيب لي في هذا اليوم المبارك وفي هذه الولاية المجاهدة، أن أتقدم باسم وفد القيادة الوطنية للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء، بالتحية والتقدير والاحترام لمسؤولي المنظمة بولاية جيجل وعلى رأسها الأمين الولائي، وكل الإطارات ومسؤولي هذه الولاية، وأبارك عملهم مع جمعية الوفاء والتواصل الثقافية والمركز الثقافي الإسلامي وإذاعة جيجل على تنظيم مثل هذه الفضاءات العلمية التاريخية لحماية ذاكرتنا الوطنية وهويتنا وثقافتنا ولغتنا.

أيها الجمع الكريم،

باسم المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء، نشكر الإخوة الذين قاموا برعاية هذا الملتقى ممثلين في شخص السيد الأمين العام لولاية جيجل ممثل السيد والي الولاية، وشخص السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل ممثل السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف، والإخوة المدراء وكل المسؤولين الذين يحضرون هذا الملتقى، وتحية لكل الإعلاميين الذين ينقلون بالصوت والصورة مختلف فعاليات هذا الملتقى، والتحية موصولة إلى كل الحاضرين وعلى رأسهم المجاهدين وأرامل الشهداء وأبناء الشهداء وأبناء المجاهدين.
إن التحيّة اليوم نقدمها للمركز الثقافي الإسلامي أحمد حماني بجيجل على هذا العمل والإنجاز وعلى تربيته للجيل الصاعد ليكون خير خلف لخير سلف، فاليوم ليس وقت البكاء بل هو معركة، ومعركتنا هي معركة العلم وتحصين الأجيال الصاعدة من الفيروس الذي طمس الذاكرة والهوية الوطنية وتاريخ من صنعوا مجد الجزائر.

أيها الإخوة الأعزاء:

التحية كذلك لكل العلماء، وأشكر الإخوة الأساتذة الذين يحضرون اليوم من مختلف جامعات الجزائر ليؤرخوا موضوعا هاما،لأن القاعدة في العلوم الإنسانية وفي التاريخ أن الذي يبني الجزء يستطيع بناء الكل، الجزء اليوم هو كيفية تحضير تلك البنية التاريخية من كتابة التاريخ وتحضير المشاهد والمراجع لتلك الشخصيات ولهؤلاء الرجال والنساء الذين صنعوا مجد الجزائر، والعلماء، والمشايخ، وتعتبر هذه الانطلاقة في ولاية جيجل هي الانطلاقة الأولى لتلك القاعدة التي تقول إذا أردنا أن نحيي الذاكرة الوطنية وثورتنا المجيدة وحركتنا الوطنية والمقاومات الشعبية، فلابد أن نرجع إلى القاعدة الأساسية في كتابة الجزء أي كل ولاية.. كل دشرة.. كل عائلة.. أن نكتب تاريخها ويصبح الجزء مع الجزء هو الكل.. هو الذاكرة الوطنية التي تكون بعيدة عن كل انحراف وعن كل انحراف عن طريق الأكاديمية البعيدة عن الذاتية، والتي تعد القاعدة الأساسية في كتابة التاريخ.

إذن، إذا تطلعنا إلى هذه النماذج علينا أيها الباحثون أن نبتعد عن ذاتنا، وعلينا تدريس تاريخنا وحماية لغتنا لحماية الجزائر من الانحراف الفكري والعقائدي حتى لا أقول انحراف والذي أراد البعض أن يرمي جدلية صراع كتابة التاريخ على أساس أنه نقطة من النقاط التي لابد أن نقف عندها للمناقشة وهي كيف نتصور وكيف نكتب وكيف نرى ثورتنا في بعدها الديني، فكل مجاهد صعد إلى الجبل بنية مكافحة المستعمر كان تحت راية الله أكبر وأشهد أن لا إله إلا الله، وثورتنا في بعدها اللغوي فالأمازيغية استعملت منذ الوهلة الأولى في الثورة التحريرية ما فرض على فرنسا الاستدمارية أن تستثمر فيها منذ 1956، عندما بدأت أول عملية لاستخدام الأمازيغية في نقل المعلومات من طرف استخبارات جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني،

14/377

فأسست فرنسا المدرسة البربرية ذات الاتجاه الاستدماري الفرنسي في فرنسا.. لن أطيل في هذا الموضوع وأعود إلى الجزء الذي تكلمنا عنه، فأبناء جيجل يتحملون المسؤولية إذ استحضروا تاريخها ودور مشايخها وعلمائها في بناء المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير، سيضعون اللبنة لبناء الكل فيكون الجزء الذي تصنعه جيجل والجزء الذي تصنعه قسنطينة والجزء الذي تصنعه ميلة والجزء الذي يصنعه تاريخ الولاية الثانية من تاريخنا، يكون استكمالا للولاية الأولى والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، وإلى فجر نوفمبر الذي صنع مجد الجزائر كلها.

أيها الأحبة.. أيها الأصدقاء.. إذا كان ما سنقوله في هذا اليوم الوطني للشهيد مقيّدا، فإني أوصي إخوتي الذين سيلقون محاضرات في هذا الموضوع، أن يؤكدوا بأن الشهداء الذين صنعوا مجد الجزائر يستحقون أن نصنع لهم قاموسًا هو جزء من الحضارة العظيمة والثقافة العريقة في تاريخ الجزائر، منذ آلاف السنين قبل المسيح، فمنطقة جيجل وكل الحضارات الجزائرية التي مرت عليها جزء من هذا المجد وهذا الشرف.

إذا نجحتم في هذا الموضوع صنعتم تاريخا وشرفا لكم، وحافظتم على قدسية رسالة الشهداء وقدسية نوفمبر وهكذا سيكون الشهيد في روضته يقول هؤلاء خير خلف لخير سلف، أما البكاء واتباع ماديات الحياة اليومية فهو ما يريده أبناء المدرسة الاستدمارية الفرنسية لتدمير البنية الأخلاقية والبنية التاريخية للجزائريين، إخوتي إننا أصحاب حق وأصحاب تاريخ وأصحاب حضارة وأصحاب لغات صنعنا بها مجد الأمة الإسلامية والعربية كما قالها الرئيس الراحل هواري بومدين في حوار مع الصحافي الفرنسي لما سأله قائلا: "أين هو صوت العرب بعد هزيمة 1973"، رد عليه الرئيس بومدين "توجد في العالم العربي عاصمتان هما الجزائر والقاهرة، وهذه الأخيرة أقولها احتراما لعبد الناصر"، فنحن لنا مجد في العالم الإسلامي، منه وساطة المصالحة بين إيران والعراق وهو ما لم

يغفره لنا بنو صهيون، فهم لم ينسوا تلك الوقفة التي وقفها الرئيس والشهيد صدام حسين وشاه إيران في الجزائر، وكانت هناك المصالحة التاريخية التي وضعت حدا للفكر الصهيوني الذي وصل إلى هدفه في الرباط، وهو حرب الشيعة والسنة، وتحقق هدفه بعد وفاة بومدين واغتيال صدام حسين.

إذن أيها الباحثون، أنتم لكم مسؤولية أمام الله وأمام التاريخ وأمام الشهداء هي حماية هذه الأجيال، نستطيع ألا نكون متفقين في مناهج سياسية.. في رؤى اقتصادية.. تكون أنت يمينيا وأكون أنا يساريا.. لكن الذي لا نقبله إطلاقا هو ألا نكون أبناء نوفمبر وأبناء العربية وأبناء الأمازيغية.. فنحمي وطننا من ذلك الغزو الفكري الذي يريده البعض لأبنائنا، لقد بقينا وحدنا الذين نستطيع أن نقول لبرنارد ليفي والصهيونية العالمية ومن يدور في فلكها: لا ولن تستطيع أن تجد من ينفذ أجنداتك لأننا أخذنا لقاح الوطنية من آبائنا الشهداء والمجاهدين.

في الأخير أقول للإخوة الساهرين على هذا الملتقى بارك الله فيكم، وأطلب من العلماء والباحثين الذين جاءونا اليوم أن يجعلوا في التوصيات التي سيخرج بها هذا الملتقى ضرورة بذل الجهد في كتابة تاريخ جيجل، وأعتز بأبنائي وبناتي لحبهم تاريخهم وتاريخ ولايتهم.

تحيا الجزائر.. المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأسرة الثورية لولاية جيجل

يقرؤها السّيد/ صالح بوالشعير - ابن شهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء.. السيد المحترم الأمين العام لولاية جيجل.. السيد المحترم رئيس المجلس الشعبي الولائي.. السيد الأمين الولائي لمنظمة المجاهدين.. السادة نواب الغرفتين والمنتخبين.. السيد مدير الأمن الولائي.. السيد قائد مجموعة الدرك الولائية.. السادة المديرين التنفيذيين والإطارات.. السادة الحضور..

بمناسبة الذكرى 27 لليوم الوطني للشهيد المصادف لـ 18 فبراير من كل سنة، يطيب لي باسم الأسرة الثورية وجمعية الوفاء والتواصل الثقافية أن أرحب بهذا الجمع الكريم وأقول لكم جميعا سعدتم صباحا وحللتم أهلا ونزلتم سهلا، وسلمتم وسلم هذا البلد الأمن.. إنها لمناسبة سعيدة لنترحم بكل فخر واعتزاز على أرواح الشهداء الذين هم أكرم منا جميعا، حيث خصهم الله عز وجل بالذكر في كثير من آياته الكريمة، من ذلك قوله تعالى: **"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم مّن ينتظر وما بدلو تبديلا"**، وقال أيضا **"ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون"** صدق الله العظيم.

إن الاحتفال باليوم الوطني للشهيد لا يقتصر على الرمزية فحسب، بل على ربط المبادئ التي ضحى من أجلها الشهداء بالقيم التي يجب أن تسود اليوم عند كل مواطن جزائري، وأحسن رد على أعدائنا بالخارج هو التمسك بقيم ثورة نوفمبر 1954 والشهداء الأبرار.. والحديث عن اليوم الوطني للشهيد 18 فبراير يعني قراءة صفحات المجد والخلود، وكذا بطولات هذه الحرية التي ينعم بها الجميع، وفي شهادتهم تلك وهبوا لنا الحياة.

لم أجد في الرجال أعلى وساما **** من شهيد مخضب بالدماء
وأنهم أوفـــوا العهـــود فهـل **** أنتم لميثاقهم من الأوفياء؟

إن أبطال الثورة سجلوا آثار تاريخهم في صفحات من ذهب، ومنهم الشهيد البطل محمد العربي بن مهيدي، الذي قال للجنرال بيجار أثناء استنطاقه: "**إننا سننتصر لأننا نمثل المستقبل الزاهر، وأنتم ستهزمون لأنكم تريدون إيقاف عجلة التاريخ**"، وقال أمام المحققين عند استنطاقه: "**أمرتُ فكري أن لا يقول لكم شيئا**"، وهو ما جعل السفاح بيجار يعترف بهذا البطل قائلا: "**لو كانت لي ثلة من أمثال العربي بن مهيدي لفتحت العالم كله**"، وهناك قصة تحضرني لأم بإحدى قرى منطقة القبائل الكبرى التي كان لها ولد وحيد، وكانت تحضه على الالتحاق بالثورة للجهاد في سبيل الله، وذلك عام 1956م، وبعد برهة من الزمن سقط شهيدا في ساحة الوغى فأتى به الفرنسيون ورموا جثمانه في ساحة القرية وهو مخضب بدمائه الزكية وجسده مليء برصاص العدو الآثم، ظنا منهم أن هذا يثني غيره عن الجهاد في سبيل الله، ولما وقعت الأم على فلذة كبدها ووحيدها أجهشت بالبكاء، فقال لها الضابط الفرنسي على لسان أحد الخونة لماذا تبكين ؟ **أنسيت أنك من دفعه لهذا المصير؟** وهنا رفعت رأسها في شموخ وتحدٍ قائلة في كبرياء الأبطال: "**أتظن أني أبكي لموته؟ كلا إنما أبكي على أن ليس لي ولد آخر يخلفه في المعركة مجاهدا في سبيل الله**".. أيها الحضور الكريم، لقد كانت الجزائر قبلة الثوار ونموذجا للأحرار والثورات التحريرية في العالم وهو ما جعل الزعيم الغيني أميكالكبرال المعجب بالثورة الجزائرية يقول: "**إذا كانت مكة قبلة للمسلمين والفاتيكان محجا للمسيحيين فإن الجزائر هي قلعة للأحرار والثوار**"، ومن هذا المنبر أدعوكم إلى التمسك برسالة الشهداء المقدسة والوحدة الوطنية وبيان أول نوفمبر 1954..

وفي الأخير دمتم في رعاية الله وحفظه ودام وطننا العزيز.

كلمة السيد/ أحمد كروم

الأمين العام لولاية جيجل - ممثلا عن السيد الوالي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

السيد الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء "الطيب الهواري".. السيد/ رئيس المجلس الشعبي الولائي.. السيدات والسادة/ نواب البرلمان بغرفتيه.. السادة إطارات الدولة، والمنتخبين المحليين.. السادة أعضاء الأسرة الثورية.. السادة الأساتذة الأجلاء.. أيها الجمع الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

أود في البداية أن أعبر لكم عن عميق سروري وبالغ سعادتي، وأنا أقف أمامكم لأحييكم وأرحب بكم جميعا، وأحضر معكم فعاليات هذا الملتقى الوطني الذي ينظمه المركز الثقافي الإسلامي -أحمد حماني- وقطاع الشؤون الدينية لولاية جيجل، بالتنسيق مع منظمة أبناء الشهداء، وجمعية الوفاء والتواصل الثقافية، والإذاعة الجزائرية من جيجل، وأخص بالترحيب ضيفنا الكريم السيد "الطيب الهواري" الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء والوفد المرافق له.

أيها الحضور الكريم.. ونحن نستعد في هذه الأيام للإحتفال بالذكرى السابعة والعشرين لليوم الوطني للشهيد، المصادف ليوم 18 فيفري من كل سنة، لايسعنا إلا أن ننحني أمام أرواح المليون ونصف مليون من شهدائنا الأبرار، الذين ضحوا من أجل هذا الوطن، وقدموا نفوسهم، وكل ما يملكون من غال ونفيس من أجل أن نعيش أيام الاستقلال في كنف الحرية والعزة والإزدهار.

وبهذه المناسبة كذلك، أوجه باسمي الخاص وباسم إطارات هذه الولاية المجاهدة، تحية إكبار وامتنان لكافة أعضاء الحركة الوطنية من مناضلين ومجاهدين، وكل أولئك الذين خصهم الله تعالى بقوله : **"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا"**.

إنه لشرف كبير أن تحتضن ولاية جيجل، هذا الجمع الكبير من المجاهدين، وأبناء الأسرة الثورية والأساتذة والباحثين، في إطار هذا الملتقى الوطني لدراسة موضوع من أهم المواضيع المتعلقة بتاريخنا الوطني المجيد، ألا وهو موضوع **"إسهام علماء مشايخ منطقة جيجل في الحركة الوطنية وثورة التحرير المباركة"**، هذا الموضوع الذي يكتسي الأهمية البالغة، لأنه سيذكرنا بالحقائق التاريخية الكبيرة التي تجهلها الجموع الغفيرة من الأجيال الصاعدة، سيقدم لنا نماذج حية عن مقاومة شيوخ الزوايا بمنطقة جيجل للاستدمار الفرنسي الغاشم، أمثال: زاوية مولاي الشقفة، وزاوية سي محمد بن فيالة، والتي كانت امتدادا لثورة الشيخ المقراني والحداد سنة 1871م.

كما سيعرفنا هذا الملتقى على دور النخبة في ميدان الإصلاح الديني، ومحاربة البدع والخرافات، والتي كان من أبرز شخصياتها: الشيخ أحمد الحبيباتني، والشيخ بلقاسم بن منيع، والشيخ مبارك الميلي، والشيخ محمد الصالح بن عتيق، والشيخ صالح بوحلي، والشيخ محمد الطاهر ساحلي، وهي فرصة أيضا لنتعرف على مساهمة العلماء والمشايخ في الثورة التحريرية المباركة، سواء في ميدان التعليم الديني والمحافظة على الشخصية الوطنية، أو في الإمامة، أو في اللجان الشرعية والقضاء الثوري، أو ضمن صفوف جيش التحرير الوطني كمجاهدين مسؤولين في الثورة التحريرية المباركة أمثال العلماء الشهداء: محمد الراهي، أحمد أوسياف، بوتسطة مولود، بلقاسم لبعيلي، زطال مسعود، مسعود شعراوي، زرماني رابح، وغيرهم.

أيها الحضور الكريم

لقد نجح المجاهدون والشهداء في تحقيق النصر ودحر الاستدمار بفضل تكاتف الشعب بأكمله مع قياداته، فكانوا صفا واحدا مترابطا، لا يعرف إلا حب الوطن والتضحية في سبيله، فلنكن جميعا كالجسد الواحد، متحابين، متضامنين من أجل عزة وكرامة هذا الوطن الغالي، الذي يبقى أمانة الشهداء بين أيدينا.

إننا يجب أن نعمل دوما على أن تكون هذه الملتقيات المباركة، محطات تذكرنا بالأيام الخالدة والتضحيات المجيدة، وتدفعنا للاستقامة على نهج المجاهدين، الذي سطره الشهداء بدمائهم، وتفرض علينا حراسة هذا النهج وتوريثه للأجيال الصاعدة، فما أحوجنا إلى مثل هذه الملتقيات، التي تتناول بالدراسة والتحليل جوانب مهمة في مسيرة الثورة التحريرية المباركة.

وفي الختام، أعلن – على بركة الله– الإفتتاح الرسمي لأشغال هذا الملتقى الوطني، وأتمنى لكم التوفيق والنجاح،

وفقنا الله جميعا لما فيه خير البلاد والعباد، والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

تحيا الجزائر

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

مخرج فيلم أسود الجزائر يشرح تفاصيله للوفد الرسمي

الوقوف لتحية النشيد الوطني الجزائري

جلسة الافتتاح الرسمي

تلاميذ المركز الثقافي الإسلامي يرحبون بالضيوف على طريقتهم

تكريم أسرتي الشهيدين (سي مسعود بن حمود زطال) و(سي أحمد بن علي أوسياف)

- أعمال الملتقى -

الجلسة الأولى

شيوخ الزوايا الدينيّة بمنطقة جيجل
ودورهم في المقاومة الوطنية

رئيس الجلسة/ د. كمال لعريبي

أ. عبد القادر بورمضان

جامعة 08 أوت 1945 قالمة

دور شيوخ الزوايا الدينية في مقاومات منطقة جيجل

- مقاومات 1864-1871 أنموذجا -

بعد تعرض الجزائر للغزو الفرنسي وسقوط العاصمة بموجب معاهدة الاستسلام 05 جويلية 1830م التي وقعها الداي حسين، باشرت القوات الفرنسية عمليات التوسع جنوبا شرقا وغربا، وبعد نجاحها في احتلال عنابة عام 1832م استطاعت بعد حملة سنة 1836 الفاشلة أن تحتل عاصمة الشرق الجزائري قسنطينة خلال الحملة الثانية خريف 1837م، ثم سيطرت على ميلة في جويلية 1837م وسكيكدة في أكتوبر 1838 واستمرت في إخضاع المناطق بالشمال القسنطيني ولكنها واجهت مقاومات عنيفة وشرسة من القبائل أين أدى شيوخ الزوايا دورا كبيرا في

إشعال فتيل هذه المقاومات والتحريض على الجهاد، فرغم احتلال فرنسا لجيجل سنة 1839م إلا أن المقاومات بالمنطقة لم تنطفأ طيلة المدة بين 1839 إلى 1871 فما هي أبرز هذه المقاومات ومن برز فيها من شيوخ الزوايا ودورهم؟

❖ ثورة الزواغة وفرجيوة (1864م):

قامت هذه الثورة بسبب تذمر السكان من إخضاع مناطق بابور وفرجيوة وتحطيم العائلات الكبيرة، كما أدى الإخوان الرحمانيون دورا في اندلاع هذه الثورة ضد التوسع الفرنسي بالمنطقة، وكان لاستغلال شركة فرنسية بالميلية غابات الفلين بالمنطقة كذلك عامل مهم في غضب السكان، وقامت هذه الثورة في ماي 1864م بقيادة مولاي محمد وحاصروا الزغاية شمال شرق فرجيوة وجمعوا 600 رجل من أولاد عسكر وفراح والعريس ولكن السلطات الفرنسية اعتقلت الحاج بوعكاز بن عاشور ومولاي محمد وأفراد عائلة بن عز الدين، ونفت بوعكاز نحو مدينة بو Pau جنوب فرنسا وبن عز الدين نحو كورسيكا ولم تتوقف الثورة، ففي أواخر سبتمبر 1864م هاجم الثوار القوات الفرنسية بواد الكبير وبابور.[1]

❖ ثورة أولاد عيدون – الميلية (1871م):

تعرضت فرنسا لهزيمة أمام بروسيا في موقعة سيدان 19 جويلية 1870 وقام الجيش بالإطاحة بالنظام الإمبراطوري وأعلن الجمهورية الثالثة في سبتمبر 1870، ونظرا لهذه الظروف بفرنسا لاحت بوادر مقاومات بدأت من الثورة التي قام بها جنود السبايس (الصبايحية) بسوق أهراس مطلع جانفي 1871 بقيادة الشيخ الكبلوتي وانتشرت الثورة ووصلت إلى أولاد عيدون.[2]

1- يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال وثائق، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص92-94.
2- يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص92.

ثار جنود الصباحية بمنطقة سوق أهراس بسبب رفضهم التجنيد للقتال بفرنسا مطلع جانفي 1871م، كما تزامن ذلك مع نداءات لطرد الفرنسيين بقبائل الحنانشة، وقد قاد هذه الثورة الشيخ "الكبلوتي"، حيث خربت وأحرقت عدة مزارع وقتل 14 معمرا وحوصرت مدينة سوق أهراس ثلاثة أيام 26-27-28 جانفي 1871 وبعدها خرج الصباحية نحو تونس بعائلاتهم ومواشيهم، وأعلنت السلطات الفرنسية حالة استنفار بسكيكدة وعنابة كما قتلت بعض أهالي سوق أهراس، وتزامنت هذه الأحداث أيضا مع سقوط العاصمة باريس بيد القوات بروسيا وانتشرت أخبار الهزيمة الفرنسية بين القبائل ومنها منطقة الميلية[1]، وعلى إثر أخبار الهزيمة الفرنسية أمام الألمان وأخبار ثورة الشيخ الكبلوتي ثار سكان منطقة أولاد عيدون بالميلية على الأوروبيين وأحرقوا بعض مزارعهم وأجبروهم على الاعتصام بقلعة المدينة، ما جعل السلطات الفرنسية تستنجد بسبعة فيالق وجنود البحرية لحرق المناطق الثائرة[2]، وانطلقت المعركة يوم 14 فيفري 1871 وشملت الوادي الكبير والقل، فقد حاصر الثوار برج الميلية الذي كان يشرف عليه النقيب سارجون (Sergent) وتحالف بعض القياد مثل السعودي وبن منيع معه ومع الجنرال بوجي (Pouget).[3]

حاصر الثوار بالميلية برج المدينة الذي كان يشرف عليه النقيب سارجون ولكن للأسف التف حول النقيب سارجون بعض القياد ومنهم القايد السعودي لمواجهة الثوار واستطاع مع فرقة أن يقتل سي بوبكر أحد الثائرين بالمنطقة، كما تحالف هؤلاء القياد مع فرقة الجنرال بوجي ودخلوا مدينة الميلية يوم 22 فيفري 1871م[4]، واستمر حصار برج الميلية 13 يوما حيث أعلنت

1- **Charles-André JULIEN**: histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation -1827/1871, CASBAT édition, Alger, 2005, p 476-477.

2- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005، ص 146.

3- علي خلاصي: جيجل تاريخ وحضارة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011، ص 307.

4- علي خلاصي: المرجع نفسه، ص 306.

الصحافة حالة انهيار السلطات الفرنسية[1] ووقعت معارك بين الثائرين أهمها معركة كاف الغراب ورزوزور يوم 26 فيفري 1871 وكانت في غير صالح الثوار حيث رهنت فرنسا حوالي 400 رجل[2]. وبالرغم من ذلك تواصلت الانتفاضات والهجومات في بني فرقان ووادي زهور وما كادت تنطفئ حتى بدت بوادر ثورة المقراني والقبائل الشرقية المساندة له.[3]

وقد حرضت السلطات الفرنسية ثلاثة قبائل معارضة لأولاد عيدون لكسر المقاومة بالميلية، ولكن وبمساهمة كبيرة من شيوخ الطريقة الرحمانية توسعت الثورة إلى مناطق القبائل حيث كتب الجنرال لالمون إلى الجنرال لاليست يخبره بأن الثوار يهاجمون المزارع والقرى فقد هاجموا جيجل وميلة والميلية.[4]

❖ ثورة المقراني وعزيز بن الحداد 1871 ودور مشايخ منطقة جيجل فيها

وفي سنة 1871م اندلعت ثورة المقراني بمجانة وانتشرت إلى شمال بجاية بعد انضمام سي عزيز الحداد لها حيث بعث برسائل إلى بعض أعيان ومقدمي الطريقة الرحمانية بالناحية الجنوبية والغربية لجيجل، وقد استجاب معظمهم لنداء الثورة ما عدا بعض الأعيان مثل عمر بن حبيلس قائد بني فوغال وبلقاسم بن منيع قائد بني عمران وبلقاسم بن حبيلس قائد بني عزيز، وقد

1– **Charles-André JULIEN**: histoire de l'Algérie contemporaine, Op.cit, p 477.

2– عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق، ص 148.

3– علي خلاصي: المرجع نفسه، ص 307.

4– **Charles-André JULIEN**: histoire de l'Algérie contemporaine, Op.cit, p 481-458-488.

استطاعت قوات الثوار بقيادة سي عزيز الحداد إخضاع عرش بني فوغال أواخر ماي 1871م، وشملت ثورة المقراني بذلك مثلث بجاية-سطيف-جيجل.(1)

امتدت ثورة المقراني بلهيبها إلى منطقة جيجل وأعراشها وجبالها، فبعد مارس وأفريل وصلت عملية التعبئة ثورة محمد المقراني وعزيز بن حداد إلى المنطقة يطلبون من القبائل النهوض للجهاد وطرد الكفار، وجاء في إحدى رسائل المقراني "**توكلوا على الله ورسوله وتقدموا بالجهاد لنصر دينكم عزما، وتأتوا لنا إلى برج مجانة منطقة بجاية**"، وكان لانضمام الشيخ عزيز بن حداد للثورة أثر معنوي كبير لما كان يتمتع به من نفوذ باعتباره أحد أقطاب الطريقة الرحمانية المنتشرة بالشمال القسنطيني ووادي الصومام، فهاجم مدينة جيجل يوم 01 جوان 1871 فاستنجد حاكمها بالحاكم العام للجزائر، وزوده بـ 4 كتائب من المشاة وكتيبتين من الزوارق، فأعاد عزيز تنظيم قواته وأسندها إلى الطيب بن خداش والقريشي بن سي سعدون وهاجم المدينة من جديد يوم 07 جوان 1871 ثم يوم 09 جوان ولكن القوات البحرية امتنعت على الثوار وصدتهم، وبعد شهر من حصار المدينة تقهقر المقاومون نحو الجبال المحيطة وقد تكبدوا تضحيات كبيرة، وفرضت السلطات الفرنسية عقوبات شديدة على سكان منطقة جيجل، وزجت بأفراد القبائل الثائرة بالمحاكم وكانت الأحكام بين الإعدام والمؤبد والغرامات المالية الباهظة.(2)
حقق الشيخ عزيز انتصارات كبيرة في الجنوب الجيجلي ضد أتباع الموالين للاستدمار بقيادة بلقاسم بن حبيلس وبعض من غرروا بهم من قبائل بني فوغال، حتى فرّ القياد إلى مدينة جيجل للاحتماء بالقوات الفرنسية فيما بدأت القبائل تتمرد، معجبة بقوة عزيز الذي بدأ في مراسلة شيوخ القبائل بالميلية وفرجيوة والقل بلغة عقائدية مبرزا انتصاراته على الفرنسيين، فكانت كرونولوجيا الأحداث كالآتي:

1- علي خوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، دالي إبراهيم، الجزائر، ط3، ص165
2- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث قسنطينة، ط1، 1991، ج1، ص68-69

- أواخر شهر ماي 1871 كان الشيخ عزيز مرابطا بجيشه في منطقة بن ياجيس جنوب جيجل ويراسل شيوخ المنطقة.
- يوم 1 جوان 1871 هاجم برج القايد بن منبع في تاكسنة وأحرقه وصادر ممتلكاته، ثم هاجم مدينة جيجل فاستنجد حاكمها بالحاكم العام بالجزائر الذي أرسل له نجدات بكتيبتين من الزواف و4 كتائب من المشاة بلغت في مجملها 1500 جندي.
- يوم 2 جوان 1871 غادر نحو عموشة جنوبا بعد رسالة مفاجئة وترك ثلاثة قادة وهم المقدم القريشي بن سي سعدون، عمر بن عرعور، والطيب بن مبارك بوالديس.
- يوم 7 جوان 1871 التحق القريشي والهاشمي بن سي العربي بن أمقران من سلمى، ومحمد بن سريج وولديه مختار ومدني، وإبراهيم بن بوصوفة من العوانة وأحمد بن علي بن شكير والمقدم عمر بن أمقران من بني سغوال من المنصورية، وأضرموا النار في برج القايد صالح بن بوسديرة وطاحونة المعمر موريل قرب جيجل وتوجهوا نحوها مدعمين بأعراش بن قايد وبني أحمد وبني عمران السفلية[1]، وتركوا فرقة عند واد جنجن لتحميهم من قبيلة بني بلدر وبني حبيبي، ولكن قوات القريشي توقفت عن سيرها بسبب مدافع القوات الفرنسية واشتبكت معها.
- يوم 9 جوان أعاد القريشي هجومه على مدينة جيجل على باب القنطرة، ولكن قوات الكولونيل بانيك والباخرتين الفرنسيتين منعت نيرانها الثوار من مواصلة هجومهم وصدتهم وألحقت أضرارا كبيرة بالثوار الذين ظلوا يحاصرون المدينة، فاستشهد نحو 40 ثائرا وجرح القريشي نفسه، وبقيت الهجومات مستمرة لحوالي الشهر، حتى وصلت النجدات الفرنسية من بجاية يوم 26 جوان 1871 وراحت تفك الحصار على المدينة وهي تعيث فسادا بالقتل والحرق والتدمير، ففر السكان وتقهقر الثوار.

[1]- علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، مرجع سابق، ص168-169

- يوم 11 جوان أعاد المجاهدون هجومهم من عدة جهات لإرباك الجيش الفرنسي ولكن تصدى لهم مرة أخرى العقيد بيهيك وفرقتين من الزواف واستشهد 56 مجاهدا وأصيب العشرات، حينها قرر القريشي وعمر بن مقران تعزيز قواتهما بغزوات على القبائل المجاورة أما بن عرعور فبقي يحاصر المدينة بـ500 رجل.
- يوم 12 جوان 1871 توجه القريشي بن سعدون وعمر بن أمقران إلى زاوية سيدي وارث في بني حبيبي للقاء شيخها محمد بن فيالة وهو أحد المقدمين الرحمانيين هناك، فالتقى برجال قبائل ضفتي الوادي الكبير الذين شاركوا في فيفري 1871 في حصار برج الميلية ومنهم قبيلة أولاد عيدون الذين تم نزع سلاحهم والتنكيل بهم من طرف المستعمر ووجدوا في بن فيالة قائدا لهم يعيد كرامتهم فبايعوه على النصرة.

وفي 20 جوان 1871 عاد سي عزيز إلى نواحي بجاية لدعم أخيه سي محمد بن الحداد، وترك أمر جيجل لخلفائه سي عمر بن عرعور وسي صالح بن شاطر وسي القريشي بن سعدون، فتقهقروا إلى الجبال المحيطة بعد خسائر كبيرة، وما زاد سوء أحوال المنطقة وصول جيش فرنسي من ميلة قوامه 3000 رجل إلى جيجل يوم 7 سبتمبر 1871 وشن حملات انتقامية ضد السكان المنتفضين، وبذلك يتضح أن قلة السلاح وضعف التخطيط حال دون نجاح الثورة.(1)

بعد فشل الدخول إلى مدينة جيجل، امتدت شرارة ثورة المقراني وسي عزيز الحداد إلى الأعراش الشرقية لمنطقة جيجل، وكان سي عزيز – قبل مغادرته إلى بجاية – قد راسل أعيانها للانضمام إلى الثورة، ومن بين من استجاب له مولاي الحسين مولى الشقفة الذي أعلن الجهاد يوم 20 جوان 1871 بسوق بني يدر ومحمد بن فيالة مقدم زاوية بني حبيبي الذي أعلن هوالآخر الجهاد في سوق الجمعة بني حبيبي، وفي 25 جوان 1871 اجتمعت أعراش المنطقة بهضبة (العروسة) عند بني فتح لتنظم المقاومة في منطقة الوادي الكبير بضفتيه اليسرى واليمنى وقام بن فيالة بجهود كبيرة

1- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، مرجع سابق، ص 58

للاتصال بالأعراش الواقعة على طريق قسنطينة سكيكدة ناشرا الثورة بين سكان تلك المناطق وقد انضم أغلبها للثورة وفعلا حدثت عدة هجمات خلال جويلية 1871م ضد المعمرين ومؤسسات العدو، وعاد لمهاجمة برج الميلية الذي كان محصنا بشكل جيد وذلك يومي 19 و20 جويلية 1871م، ثم التحق سي الحسين مولاي الشقفة في بني هارون وبني خطاب واستطاع كسب أعراش بني خطاب وبني فتح وأولاد عسكر وبني عافر وبني يدر وزواغة، وشكل بهم جيشا من المتطوعين وهاجم المعمرين بفرجيوة وميلة، واعترض قافلة فرنسية كانت متوجهة من قسنطينة إلى سطيف، ولقد وضعت فرنسا الاستدمارية استراتجية لمواجهة الثورة بالشمال القسنطني وهي (الأرض المحروقة) وجندت جيوشها لحرق قرى القبائل الثائرة سواء المحيطة بجيجل كبني عمران السفلية وبني أحمد وبني قايد أو أعراش الجهة الشرقية وذلك خلال نهاية شهر جويلية وشهر أوت 1871 وكانت الحملة تحت قيادة الجنرال دولاكروا الذي تتبع نفس الطريق الذي سلكه دو سانت أرنو سنة 1851، وذلك من ميلة اتجاه زواغة مرورا بوادي النجاة وبني خطاب وفج الأربعاء وأولاد عسكر وبني فتح وإلى بني عيشة حيث ألقي القبض هنالك على محمد بن فيالة والحسين مولاي الشقفة يوم 21 أوت 1871 ثم وصل إلى الميلية، وكان خلال هذه الحملة يقتل أعدادًا كثيرة من السكان وينهب أرزاقهم ويفرض الضرائب الباهظة عليهم حتى أنه قام يومي 4 و6 سبتمبر 1871 بحرق زاوية بني حبيبي لأولاد فيالة وزاوية بني يدر للحسين مولاي الشقفة، وزوايا الأعراش المحادية لها، وواصل دولاكروا طريقه حتى وصل إلى زيامة المنصورية يوم 16 سبتمبر 1871م.

هكذا انهزمت ثورة 1871 بمنطقة جيجل وجهاتها الغربية والشرقية والجنوبية لعدة أسباب أهمها التفوق المادي والخططي للعدو وسياسته الجهنمية ضد السكان، كما أن إلقاء القبض على قادة الثورة أثر سلبا على المقاومة، فسي عزيز بن الحداد استسلم يوم 30 جوان 1871 قرب تيزي وزو واعتقل أخوه محمد ببجاية، واستسلم أبوهما الشيخ محمد آمزيان الحداد قرب صدّوق،

وبعدهما استسلم محمد بن فيالة ومولاي الشقفة بالجهات الشرقية بجيجل، كما أن قلة أسلحة الثوار واندفاعهم دون تنظيم كان سببا في الفشل، إضافة إلى أن فقر السكان نتيجة القتل والنهب والتشريد جعلهم يستسلمون لسياسة العدو وهي (فرق تسد).

❖ مقاومة مولى الشقفة 1871:

انطلقت هذه الثورة بمنطقة جيجل وما جاورها وكانت بقيادة الشيخ الحسين بن أحمد الشريف الملقب بمولاي الشقفة[1]، وكان وراء هذه المقاومة وصول تأثيرات ثورة المقراني إلى الشمال القسنطيني، وسياسة المستعمر الظالمة لسكان المنطقة والبعد الديني المتمثل في الصراع بين الدين الإسلامي والمسيحي، فقد أعلن مولاي الشقفة انضمامه لمقاومة المقراني وذلك يوم 20 جوان 1871 بعد أن استطاع عزيز بن الحداد وأنصاره استمالته، وقد التف حوله الشيخ إبراهيم بن عمر من بني بلعيد والشيخ صالح بن صويلح من بني فرقان والشيخ اعمر بن رفاس من بني مسلم بواد زهور، بينما تكفل محمد بن فيالة والمقدم الحاج العربي بمهاجمة القوات الفرنسية بجيجل.

اشترك مع ثوار الزواغة في الهجوم على قافلة فرنسية متجهة من قسنطينة إلى سطيف يوم 4 جويلية 1871، وقد استطاع مولاي الشقفة كسب العديد من شيوخ القبائل إلى جانبه مثل قبائل بني بلعيد وبني فرقان وبني مسلم وغيرهم، كما وحّد صفوفه في جيجل مع الشيخ محمد بن فيالة مقدم الزاوية والحاج العربي وابن الحاج محمد الصديق، وقد توسعت الثورة فانتقلت إلى شمال شرق الميلية، رافقتها عمليات تحسيس لسكان تلك المناطق للانخراط في الثورة، حيث قام الشيخ محمد بن فيالة بمراسلة شيوخ القبائل لحثهم على حمل السلاح وتخريب منشئات العدو وفعلا تم تخريب السكة الحديدية بين سكيكدة وقسنطينة وحرق قرى المعمرين، وهاجم الثوار مدينة الميلية

1- يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص95.

يوم 04 جويلية 1871 وألحقوا بالفرنسيين خسائر مادية وبشرية معتبرة[1]، ثم تمركز الثوار شمال شرق الميلية وهاجموا المدينة، ثم التحق بهم مولاي الشقفة في بني هارون وبني خطاب، وسار بجيشه المكون من متطوعي أعراش بني خطاب وبني فتح وأولاد عسكر وبني عافر وبني يدر وزواغة وخاضوا معركة واد شرشاري بميلة يوم 27 جويلية 1871 ومات فيها عدد كبير من الطرفين، ليستقر مولاي الشقفة عند الزواغة وبني خطاب وبني فيالة في بني حبيبي، وفي أوت خاض المقدمان معركة بواد عجاج ضد الجنرال دولاكورا وأوبري وفولفي ثم انتقلوا إلى فج بابنان وسيدي معروف وجبل فوتي، ولكن مقاومة مولاي الشقفة ومحمد بن فيالة لم تصمد طويلا بسبب الاختلال الكبير في ميزان القوة العسكرية، فقد كانت فرنسا تملك خبرة كبيرة في حروبها بأوربا كما تملك أسلحة متطورة مثل المدفعية بينما كانت المقاومة الوطنية ضعيفة التخطيط قليلة الخبرة والتجربة قليلة العتاد العسكري.[2]

إن قلة الأسلحة وضعف التخطيط جعل الثوار يتفرقون عن المقدمين الرحمانيين فألقي القبض عليهما من القايد بلقاسم بن حبيلس وسلما للقوات الفرنسية يوم 21 أوت 1871م، وكان الثورة بقيادة القريشي بن سعدون وعمر بن عرعور قد استمرت إلى أن اعتقل سي القريشي في 14 أوت بفرجيوة، وهاجر بن عرعور إلى تونس، كما فشل أحمد باي بن الشيخ مسعود في الاستمرار في الثورة بجبال بوطالب، واستسلم يوم 21 أكتوبر 1871م بعد حصار من طرف الضباط الفرنسيين تيبودان وبوتفالي وفولفي[3]، وكان الجنرال دولاكورا في حملته من أوت إلى سبتمبر 1871م قد ارتكب مجازر بشعة ضد سكان المنطقة وأعراشها، من قتل ونهب.

1- يذكر يحي بوعزيز أن تاريخ الهجوم كان يوم 10 جويلية.
2- يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص95-96.
3- المرجع نفسه، ص96-97.

ملاحق الم

لقد أدت الزوايا الدينية دورا كبيرا في ثورات القبائل الصغرى ومقاوماتها مثل الزاوية الرحمانية التي استطاعت تعبئة السكان لصالح ثورة المقراني التي امتدت لتشمل مناطق جيجل والقل وبابور والوادي الكبير، وتحولت زوايا المقدمين بهذه المناطق إلى مراكز للمقاومة ومن أبرز الشيوخ المقاومين القريشي بن سعدون مقدم زاوية فرجيوة، والحسين بن أحمد الشريف مقدم زاوية مولاي الشقفة ببني بدر، والمقدم محمد بن الحداد شقيق سي عزيز بن الحداد، ولكن ضعف إستراتيجية مواجهة العدو جعلت هذه المقاومات تفشل، وأصبحت الزوايا ومنها الرحمانية تحت سيطرة المحتل الذي كان يرى بقاءها خطرًا على فرنسا، بوصفها توحد صف الجزائريين وتقودهم إلى الجهاد.[1]

وزبدة القول هو أن شيوخ الزوايا وأعلامها قد أدوا دورا كبيرا لا يستهان به في المقاومات الشعبية التي عرفتها المنطقة طيلة القرن التاسع عشر، وكانت الزوايا قلاعًا حصينة للمجاهدين والمناضلين في الحركة الوطنية، وإن أعلام منطقة جيجل مازالوا يحتاجون لمزيد من الدراسات للوصول إلى حقائق جديدة حول هؤلاء المشايخ والمقاومين أمثال الحسين مولاي الشقفة ومحمد بن فيالة والقريشي بن سعدون وبن مراجي وغيرهم كثيرون ممن أعطوا أحسن الأمثلة في التضحيات، والحقيقة إنه لا يخفى على أحد أن منطقة جيجل ونواحيها أدت دورا كبيرا في المقاومة الوطنية والثورة التحريرية لما تزخر به من مناعة طبيعية جعلتها مقبرة الغزاة على مر عصور التاريخ.

1- صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر 1925/1830، منشورات جامعة قالمة، 2010، ص 98-99.

ملاحق المداخلة/

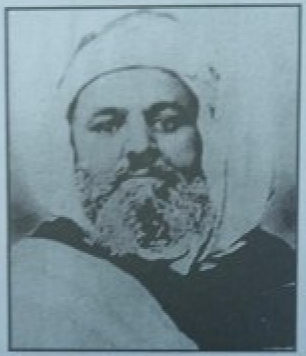

سي عزيز بن الشيخ محمد آمزيان الحداد

سوق أولاد عيدون والبرج الفرنسي بالميلية موضع الثورة

أ. الصادق زياني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مشايخ الزوايا والقيادات الميدانية لثورة 1871م
- الشيخ سي القريشي بن سعدون أنموذجا -

لقد تميزت الحقبة الممتدة ما بين 1851- 1871م في منطقة جيجل بمقاومة شعبية باسلة، وانتفاضات متواصلة امتدت على طول محيط جيجل، من ميلة وبجاية وحتى من نواحي سطيف وقسنطينة، شاركت فيها كل فئات المجتمع بما فيهم شيخ الزاوية، هذا الأخير كانت له إسهامات بارزة وبشتى السبل سواء الروحية أو الميدانية المباشرة من خلال قيادة المعارك. وبالرغم من الاستيلاء على جيجل من قبل المستعمر الفرنسي سنة 1839م كما يذهب إليه أغلب

المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن تاريخ احتلال جيجل[1]، إلا أن المقاومات الشعبية التي غذتها القومية الوطنية من جهة، والوازع الروحاني الديني من جهة أخرى، استمرت وعرفت طريقها إلى قلوب الشعب بفضل الحركة الدعوية المتواصلة، وإسهامات علماء جيجل وشيوخ زواياها في بلورتها.

ولعل الدراسات المتعلقة بهذه الفترة قليلة، لا لشيء سوى لأن جل الدراسات التي تناولت منطقة جيجل في هذه المرحلة بالذات (1851-1871م) كتبها الباحثون الفرنسيون[2]، وهي التي نقلت إلينا دور شيوخ الزوايا وإسهاماتهم في المقاومة الوطنية من داخل وخارج منطقة جيجل على السواء. وقد سبق للمنطقة أن شهدت قبل هذه الفترة انتفاضات متواصلة، انبرى لها المترجم الفرنسي لورنت شارل فيرو (Lorent Charles FERAUD) في مؤلفه (تاريخ جيجلي) خلال الفترة (1839- 1860م) بالعرض والتمحيص، ولكن من زاوية نظر استعمارية محضة، خاصة وأنه اشتهر في تلك الفترة بمترجم الحملات العسكرية الفرنسية.[3]

وبما أن الإشكالية المنهجية التي تطرح في الغالب تتعلق بافتقارنا للمعلومات الحقيقية من مؤرخينا بالذات، تتحدث عن أدوار شيوخ الزوايا في تلك المرحلة، ومساهماتهم في المقاومات الشعبية ضد المستعمر الغاشم، فإن ملاذ الباحثين سيتوجه لا محالة للبحث في المصادر البديلة

1- Philippe MARÇAIS : Texte Arabes de Djidjeli, Paris, presses Universitaires, 1954. "...L'armée Française occupa la ville 1839..." .

2- خلال البحث في موضوع المقاومة الوطنية بمنطقة جيجل، وجدت شحا كبيرا في الدراسات للمؤرخين الجزائريين، بل لم أجد -فيما بحثت- إلا أربع دراسات جزائرية هي: القبائل الحضرة عبر التاريخ (حسني فيطوني)؛ تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا (علي خنوف)، إضافة إلى كتب عامة عن تاريخ المنطقة ككتاب مدخل إلى تاريخ جيجل (صالح عباد).

3- هذا الكتاب قام بترجمته عبد الحميد سرحان عام 2010م، ويحمل في طياته الكثير من التناقضات، وبعض التوجهات الأحادية الاستعمارية، والروايات الشفوية، فهو نتاج مترجم الحملات الاستعمارية، وعليه فإنه لا يختلف كثيرا عن مؤلفات أصحاب البلاط الملكي التي دونها أصحابها في العهود السابقة، على أنه يبقى مفتاح الكثير من الباحثين في تاريخ جيجل في تلك الفترة بالذات لقلة المدونات المتعلقة بتلك الحقبة الزمنية من تاريخ المنطقة.

متمثلة في الدراسات الفرنسية، على أن الإشكالية الأساسية لدراسة هذا الموضوع هي: ما هي الأدوار التي أدتها الزاوية ومشايخها في الثورات الشعبية بمنطقة جيجل في الفترة بين (1851م، 1871م)؟ وهل كان لشيوخ الزوايا من خارج جيجل دور بارز في هذه الثورات؟ وهل يا ترى اقتصرت الإسهامات في الجانب الروحي فقط أم تعدته إلى المساهمة الميدانية بقيادة المعارك فعليا؟

أولا: الزوايا –مصدر الإصلاح الديني ومنبع الثورات على المستعمر –

يرجع مارسيل إيميري معظم الثورات الجزائرية التي وقعت خلال القرن التاسع عشر إلى تنظيم وتنفيذ الزوايا والجمعيات الدينية، ويقدم لنا بعضًا منها كالدرقاوية والتيجانية والرحمانية والطيبية[1]، فبفعل التأثير الروحي الذي أكسبها رفعة في المجتمع، أبقت هذه الزوايا على روح المقاومة حيّة، رافعة بذلك شعار "الأول في الخلاص ذات يوم".

وقد أكد فيتال هذا الكلام من منطلق البرهنة عليه، وهو الذي عاش قريبا من حركات الانتفاضة الشعبية، وغير بعيد عن منطقة جيجل حيث كان مستقرا بقسنطينة، إذ قال في تصريح أدلى به لصديقه إسماعيل عربان[2] سنة 1861م:" إن سلطتنا –أي فرنسا– في الجزائر ستزول كما زالت سلطة إسبانيا والبرتغال، لأن الوطنية والإسلام تثيران حماس الجزائريين كما لو كانتا كلمات سحرية"[3].

ولا غرو أن كل النصوص التاريخية أجمعت على تعلق الشعب الجزائري بشيوخ الزوايا وعلمائها، ويبرز ذلك في التفاهم الدائم حولها، إذ بداية من سنة 1845م عرفت الجزائر المستعمرة تحولات كبيرة في نشاط الزوايا، فبعد القادرية التي أسست لدولة الأمير عبد القادر

1– **مارسيل إيميري**، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر–مجموعة وثائق غير مطبوعة عن تاريخ الجزائر–، لاروس، باريس، 1951، ص 200–201

2– **إسماعيل عربان** : مترجم ومستشار نابليون وكان له تأثير كبير في توجهاته وأفكاره، وهو صاحب فكرة خلق " مملكة عربية و"جنسية جزائرية".

3– **أندري نوشي**، ميلاد الوطنية الجزائرية (1914–1954)، دي مينوي، باريس، 1962، ص 15–18.

الكبرى، جاء الدور على الزاوية الدرقاوية لنزع الخوف من نفوس الوطنيين والتحرك في ثورة ضد المستعمر الفرنسي[1]، وأما بمنطقة جيجل فلعل الزاوية الرحمانية، وفروعها زاوية شاو سيدي عبد الرحمن، وزاوية تاكسنة وتابابورت قد كان لهم التأثير البارز في الحركات والانتفاضات المتكررة لسكان جيجل[2].

لقد عرفت هذه الثورات التي تبنتها الزوايا عند الفرنسيين بـ"ثورات الطرق الدينية"، وقد حاول المؤرخون الغربيون وصفها بأبشع الأوصاف حتى أنهم رأوا بأنها قد أغرقت الجزائر الفرنسية في "النار والدم".[3] وإن إحساس المستعمر وتأكده من قوة التأثير الروحاني للمرابطين في نفس الفرد الجزائري عجل في استخدام القوة القصوى لردع هذا النفوذ والحد منه، ولعل ما ارتكبه الجنرال بيجو من كوارث على الجزائريين خير دليل على وقاحة وسذاجة هذا الغاشم المستبد.[4]

في الجزائر كانت الزوايا قبل الاحتلال الفرنسي تحتل مكانة مرموقة بين المدارس الثقافية، وتنتشر في العديد من المناطق داخل الحدود الجزائرية، وفي الوقت نفسه كانت نواة سرية ومنبتًا لأغلب قادة الثورات في القرن 19م، فالأمير عبد القادر نفسه ينتمي للزاوية القادرية، وكذلك الحداد إلى الزاوية الرحمانية وغيرهم من قادة الثورات[5]، في حين بلغ عدد هذه الزوايا في الجزائر قرابة 349

1- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط4، 1992، ص 44-46.

2- علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، دار للمنشورات الانيس، دالي براهيم، الجزائر، 2011، ط1، 150-152.

3- حول آراء الفرنسيين في ثورات الطرق والزوايا ينظر: ب. بوايه، احتلال الجزائر -مدخل الى الجزائر- مكتبة امريكا والشرق، باريس، 1967، ص 136.

4- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ، ج2، ص 46.

5- احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واثرها في الاصلاح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 162.

زاوية[1] كانت لها فروع كثيرة منتشرة، توارثتها عائلات بأكملها كما هو حال أسرة الحداد التي توارثت خلافة الزاوية الرحمانية، فنجد النجل يرث أفكار أبيه الدينية وحتى الثورية، وهو ما وصل مداه إلى منطقة جيجل عندما قاد عزيز وهو ابن الشيخ محمد آمزيان الحداد عمليات حصارها سنة 1871م.[2]

إن قدرة شيخ الزاوية على القيادة أبهر العدو الفرنسي، فأي ثورة حدثت في القرن 19م تقوم بها إحدى الجمعيات الدينية كانت تحت قيادة مرابط يجمع إليه السلطات الروحية والدينية والسياسية والعسكرية المنظمة. لقد كانت شخصية المرابط محترمة ومهابة، فقانون الزاوية يفرض على الناس إتباعه طاعته والانصياع لأوامره. وزاد دورها بعد الاحتلال عندما تحولت من الجانب الروحي -المرابط الديني- إلى الدور العسكري.[3]

لقد أشارت جريدة التايمز البريطانية إلى تعليق صدر عن جريدة "كونستيتوسيونال" الفرنسية بخصوص قوة المرابطين شيوخ الزوايا، ومدى نجاحهم في القيادة الميدانية للثورات فتقول: "إن هذه هي أول مرة في تاريخ احتلالنا للجزائر نُواجَه بمثل هذه الحالة"، ثم تعقب الجريدة نفسها على النتائج المخيبة للاستعمار نتيجة استهانته بهذه القوة الخفية، إذ كلفهم ذلك "ثمانمائة رجل بين قتيل وجريح في حين أن أحد عشر ألف جندي يعمل جاهدًا للقضاء على نفوذ هذه المقاومة".[4]

1- حاول شارل فيرو في مؤلف تاريخ جيجلي عرض أهم الزوايا التي استوطنت بمنطقة جيجل، وقدم لنا أوضاع الزوايا ومشائخها بكثير من التفصيل، كما عرج على المناطق المجاورة لجيجل مثل ميلة وبجاية، عارضا الشيخ والمرابطين بها .ينظر: **شارل فيرو**، تاريخ جيجلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، الجزائر، 2010، 53-72 وكذلك ص 213-222.

2- **Souzette GRANGER**, Au cœur des babors : Djijelli en petite Kabylie, Africa Nostra, 1950,p.20-25.

3- **الحركة الوطنية**، ج2، ص 50.

4- جريدة التايمز البريطانية، عدد 1849/11/27، ص3.

43/377

لقد كان للتضامن المنبثق من الجانب الروحي للزوايا تأثير إيجابي، بل كان كالسحر في نفوس سكان منطقة جيجل وما جاورها، ويذكر لنا فيرو ذلك فيقول : "لكن الحرب قد اندلعت من جديد، لقد انضم أحد المرابطين –السعيد بن غزالة– إلى المتحمس سي زغدود وحرض على الجهاد في القبائل المجاورة.. وكانوا يهاجمون بشراسة"[1]، وتواصل ذلك التضامن دون توقف بين قبائل المنطقة، ففي تاريخ معركة أولاد عبدون عام 1871م خير دليل على ذلك، إذ تضامنت قبائل بني تليلان مع أهلهم بمدينة الميلية يوم 15 فيفري 1871م في ثورتهم ضد الأوربيين.[2]

إن فكرة "يوم الخلاص قد حان" والتي انتشرت عام 1871م بتحريض من شيوخ الزوايا، قد بلغ صداها كل أهل المنطقة وما جاورها وغاص في نفوسهم، ولقد ساهم سي عزيز بن الحداد في نشر الفكرة[3]، بل كان الملّح عليها والمنفذ لها، فكان القائد الروحي والميداني بمنطقة جيجل، ومن بعده سي القريشي بن سعدون. وهكذا انتشرت كلمة الثورة وراجت فكرة الجهاد التي انبثقت من المرابطين، في المجالس والأماكن العامة والمساجد بفضل نشاط طلبة الزوايا مريديها، والإحصائيات تنقل إلينا 150.000 رجل تأثر بهذه الفكرة من القبائل القريبة والمجاورة.[4]

ثانيا: مشايخ زوايا جيجل والقيادة الميدانية للثورات (1851–1871م)

1– تاريخ جيجلي، ص 194.

2– ينظر: **عمار بوحوش**، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997، ط1، ص 146، وينظر أيضا: آثار **يحي بوعزيز** في الملتقيات (مع تاريخ الجزائر)، دار البصائر، الجزائر، 1993، ص 227، وغيرهم في هذا الموضوع كثير.

3– حول دور سي عزيز بن الحداد ينظر: **يحي بوعزيز**، دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871م ، وكذلك ينظر: **Souzette GRANGER**, Au cœur des babors, p.25-27..

4– المعرفة، نوفمبر، 1964، ص 12

44/377

لقد اجتمعت خصائص مشتركة في كل الثورات التي عرفتها منطقة جيجل خلال الفترة المتطرق إليها وما قبلها، إذ كان يقودها مرابط أو شيخ زاوية، بحيث تجتمع لديه سلطتان معًا دينية وسياسية ، بحيث مثلت روح المقاومة المستمرة عند الجزائريين منذ احتلال الجزائر، فاستطاع شيخ الزاوية أن يُحيط به أتباعا، وجههم من بعيد في ثوراتهم أحيانا، وقادهم بنفسه في ثوراتهم أحيانا الأخرى، وهذه الحال الثانية هي التي غلبت على الثورات التي قامت بمنطقة جيجل(1).

وقد ذكر شارل فيرو عددًا لا بأس به من شيوخ الزوايا الذين رفعوا التحدي وساروا ضد المستعمر، فنهضوا لقيادة ثورات دامت لسنوات عديدة، ومن الأمثلة التي يسوقها لنا مترجم الحملات الفرنسية مقاومة شيخ زاوية بني يدر سي لخضر مولى الشقفة لوصول الفرنسيين إلى قبيلته، لكن هذه المقاومة قوبلت بحزم من قبل المستعمر إذ حكم على هذا الشيخ بعد انهزامه عام 1843م بالسجن في قسنطينة ثم بالنفي إلى فرنسا.(2) ولعل أمثال مقاومة الشيخ لخضر مولى الشقفة كثر، يتحدث فيرو عنهم فيقول: "برز في بلاد القبائل الشرقية شخص يدعي أنه البودالي ابن الأحرش، ولم يكن هذا الرجل الذي ذاع صيته إلا مكيدة أو مؤامرة مرابطين كانت تقدمه لسكان جيجل على أنه كان يوحى إليه، ومرسل خصيصا لطرد المسيحيين من الجزائر".(3)

هذا عن بعض قياديي الثورات ما قبل الفترة المتطرق إليها، إلا أن إنجازات الزوايا وشيوخها كانت ولا زالت مستمرة، فخلال فترة حكم الجنرال ديفو Desvaux ، ثارت زوايا تبابورت والزواغة ضد المستعمر، ففي سنة 1864م قاد مقدم[4] زاوية سيدي عبد الرحمن معركة حاول فيها مهاجمة

1- الحركة الوطنية، ج2، ص 56.

2- فيرو، تاريخ جيجلي، ص 65.

3- المرجع نفسه، ص 195.

4- مصطلح المقدم يطلقه صاحب تاريخ جيجلي على شيخ الزاوية أو مرابطها، لكن في العصر الوسيط كانت لفظة ... تعني شيخ الفخذ أو البطن من القبيلة والذي توكل له مهمة تطبيق قرارات آيت الاربعين في بلاد القبائل. كما أطلق ... المصطلح على شيخ القبيلة ذاته ومتزعم اتحاد القبائل. ينظر في هذا :ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب اللبناني، ... 1961، ص 245-270؛ وينظر أيضا: رحال بوبريك، دراسات صحراوية–السلطة والمجتمع والدين.

برج قايد زواغة، لكن فرق الوادي الكبير ودائرة جيجل بمساعدة القياد من القضاء على هذه الثورة والقبض على زعيمها. لكن الأحداث تطورت بعدها بسنة حيث يقول في ذلك فيرو:" غير أن بعض التحرك ظهر في جبال بابور ...لقد استطاع الجنرال بريقيوت أن يدخل مع جنده إلى البابور في ربيع 1865 وعاقب المتمردين"[1].

أما التطورات التاريخية الكبرى التي كان بها تحول كبير بمنطقة جيجل، فكانت منذ امتداد أفكار الزاوية الرحمانية بقيادة سي عزيز بن الشيخ الحداد اليها، ففي سنة 1871م قاد هذا الشيخ بنفسه حملاته ضد العدو الفرنسي بمنطقة جيجل، وتذكر لنا صاحبة كتاب " Au cœur des babors" المراسلات التي بعثها الشيخ سي عزيز إلى شيوخ المناطق الملامسة غربا وجنوبا لمدينة جيجل، من أجل الانضمام اليه في انتفاضته[2].

لم يكن سي عزيز بن الحداد وحده من شيوخ الزوايا الذين ساروا في درب الثورة بمنطقة جيجل، فلعل سي الطاهر بن شاطر شيخ زاوية تاكسانة هو الآخر قد ساهم ميدانيا في ثورة شيوخ الزوايا، فهو من الأوائل الذين استجابوا لنداء سي عزيز بن الحداد لمساندته في ثورته، وينضاف إليهم الشيخ سي أحمد بن علي مقدم زاوية العوانة، والذي قاد بنفسه عملية الهجوم على منجم الرصاص بكافلو واحراقه بشكل تام[3].

إن المتتبع لحركة الانتفاضات، والثورات التي عرفتها جيجل خلال الفترة المطروقة سيقف عند حقيقة أكيدة هي أن هناك تواصل في أفكار شيوخ الزوايا، وتأثر مستمر خاصة من الزعماء التقليديين، فيشير فيرو إلى المراسلات التي كانت بين الزاوية القادرية وزوايا منطقة الوادي الصغير، .

1- فيرو، تاريخ جيجلي، ص 220.

2- تقدم لنا صاحبة الكتاب قائمة الأعراش الكبيرة والعائلات التي راسلها سي عزيز بن الحداد فتذكرهم كمايلي: .ouled asker, béni ider ,el aouana, beni foughal ينظر: **Souzette GRANGER**, Au cœur des babors, p.26.

3- علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل، ص 150-152.

وماكان لها من تأثير في اشعال نار الثورة بالمنطقة فيقول:" لكن الحرب قد اندلعت من جديد لقد انظم أحد المرابطين، باسم السعيد بن غزالة موفد من قبل الامير عبد القادر إلى المتحمس سي زغدود "[1]، ونرى ذلك التواصل يحدث من خلال الزاوية الرحمانية مع زوايا تاكسانة والعوانة وتابابورت، وغيرهم من زوايا جيجل، مما يوحي بتداخل* أدوار الزوايا حتى ولو كانت من خارج المنطقة، وهذا ما أنتج ثورة سنة 1871م قلبت موازين القوة في تلك الفترة لصالح رافعي لواء الجهاد ضد المستعمر الغاشم[2].

و الحق أن ما ذكرناه من شيوخ زوايا والذين ساهموا ميدانيا في قيادة الثورات، سينقص إذا عزلنا أدوار زاوية تابابورت وشيخها سي عمر بن عرعور، فعائلة بن عرعور من الشيوخ المرابطين وكانت لهم زاوية بجبال بابور، والظاهر أن فشل المقراني في ثورته بعدما كانوا له عونا، قد مد إلى زاويتهم نار الانتقام الاستعماري فتم احراقها بعد فشل ثورة الشيخ المقراني، لكن سي عمر بن عرعور المرابط كان قد ساهم في نقل الثورة حتى المنطقة الشرقية، أين تلقفها شيوخ الزوايا هناك[3].

ولا يمكن بأي حال من الاحوال أن نمر على شيوخ الزوايا ومساهماتهم في ثورات منطقة جيجل خلال الفترة (1851م1871م)، دون ذكر مساهمات زاوية بني حبيبي، وزاوية الشقفة في هذه الثورات بالمنطقة الشرقية لجيجل. لقد ذكرت التقارير الرسمية للجنرال دولاكرو أن هاتين الزاويتين كانتا مركزان للعصيان والتمرد الشعبي، مما عجل بإحراقهما[4]، ولعل هذا التصرف الجائر لم يكن الأول من نوعه، فقد أحرقت زوايا أخرى بفعل قربها أو مشاركتها المباشرة في الثورة، كما

1- تاريخ جيجلي، مرجع سابق، ص 194.

2- حول موضوع التواصل بين الزوايا وعلاقة الثورات المجاورة لجيجل ببعضها ينظر: **يحي بوعزيز**، ثورة 1871، ص 190،252.

3- يقدم لنا فيرو هذه العائلة فيقول : "الاسرة الاكثر تأثيرا ونفوذا في البقعة الجبلية لتابابورت دينية، وتسمى بوعرعور،... ومنذ مدة طويلة وهذه الاسرة على رأس الطريقة الدينية لسيدي ع الرحمن". ينظر في هذا : فيرو، تاريخ جيجلي، ص 72-74.و ينظر أيضا: تاريخ منطقة جيجل، ص150.

4- جريدة الاخبار، العدد3136، 25/06/ 1871.

حدث مع زاوية فرجيوة والتي مقدمها بن سعدون؛ وكذلك زاوية تابابورت بجبال بابور ومقدمها عمر بن عرعور[1].

ثالثا: المساهمات الثورية لمشائخ الزوايا في عيون المؤرخين الفرنسيين

في تقرير أعده الضابط Rinn وهو أحد ضباط المكاتب العربية حول تأثير الزوايا ومقدمي الطرق وبالأخص الرحمانية والتي تزعمها وامتدت بسببه الثورات ناحية جيجل سنة 1871م، قدم هذا الضابط الكثير من الدلالات عن مدى الأدوار التي أداها مقدمو الزوايا ومشائخها بمنطقة جيجل: "..سي عزيز الحداد صاحب طموح سياسي واسع شرع في الدعوة إلى الثورة التي خاضها الإخوان الرحمانيون.. وشملت جبال البابور والوادي الكبير"[2].

ويضيف Rinn العمليات التي قادها شيوخ هذه الزوايا وعدد المريدين فيقول:"حاصروا المراكز والقلاع العسكرية، في بجاية.. وجيجل، واستطاع رجال تلك الزاوية أن يجندوا ما يزيد عن مائة وعشرين ألف مقاتل"[3].

إن المنشور الصادر عن الحاكم العام بتاريخ 27 نوفمبر 1847م، والذي حمل في محتواه تعليمات صارمة لضباط المكاتب العربية بتقديم تقارير مفصلة-جوسسة سرية- على حركة الزوايا

1- أورد روبن .ن أهم ردود الفعل الفرنسية على ثورات الزوايا ومشائخها خلال سنة 1871م فيقول:" باث أمر الرحمانيين وزواياهم تحت وطأة المحتل حيث أحرقها وشتت عائلاتهم، وقتل ودمر وزرع الموت والخراب مثلما فعل في معركة عام 1857م".ينظر:

N.Robin, L'inserruction de la grande Kabylie en 1871, paris, 1901, pp. 418-457.

2- **L.RINN**, Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, 1891, p.119-200.

3- Idem.

ومشايخها، لقد استمرت هذه الملاحقات ضدهم لما اقتنعت السلطات الفرنسية بأن الزعماء الروحيين قد أصبحوا أكثر ميولا للعنف ضدهم[1].

إن السؤال الذي بقي يؤرق بال هؤلاء الضباط هو: هل كان الهدف من تلك الجماعات هو تحقيق الوحدة ضد المستعمر أو أنها كانت بهدف تعادي ليس إلا؟ والحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال عرفها المستعمر متأخرا. يلخصها كلود فاتن فيقول: "فعلا، لقد كانت الزوايا تشكل- آنذاك- أقطابا للمقاومة وخلايا للرفض ومراكز للثورات المسلحة ضدنا"[2].

لقد أطلق الكثير من المؤرخين مثل بوسكي، وبيرك اسم "النخبة التقليدية أو القديمة" على هذه الزوايا، ومهما كان اللقب الذي أطلق عليهم فقد تمكنوا من امتلاك سلطة قوية جمعت بين النظم الدينية والحركات السرية المناهضة للمستعمر[3]. فكل زاوية بمرابطها تمثل مركزا للتعليم والصدقة والعبادة، في حين عندما تقود ثورة فإن دورها يتحول لتصبح رباطا ومجمعا للجهاد، بل ملتقى لكلمة السر للثورة[4].

إن الانسياق وراء الدولة العثمانية كمرجع ديني، ومخرج من مخارج التضامن الإسلامي، جعل المؤرخ ج.ديبارمي ينظر إلى حركة الزوايا خلال 1871م على أنها جمعيات سرية غطاؤها التعليم الديني، وملاذها الباب العالي، فالجزائر في نظره كانت بفضل الزوايا ومقدميها أرضا مالجة بالأحداث، أما في محيطها الخارجي فهي حقل للدعاية من أوروبا والمشرق الإسلامي يقوده الباب العالي[5].

1- Circulaire du 27 novembre 1847(N°25)

2- **Claude VATIN**, puissance d'Etat et résistance Islamique en Algérie, paris, 1981, pp.245-246.

3- ج.هـ بوسكي، "النخبة الحاكمة في إفريقيا الشمالية منذ الاحتلال الفرنسي"، عالم الإسلام، م3، 1954، ص 15.

4- نفسه، ص 17؛ وينظر أيضا تعليق: **أبو القاسم سعد الله**، الحركة الوطنية، ج2، ص 63-64.

5- ج.ديبارمي "زعماء الرأي في الجزائر"، أفريقيا الفرنسية، عدد جانفي 1933، ص 18.

و بفعل انكشاف هذا الدور السري الثوري للزوايا فتح الفرنسيون عهدا جديدا مع تلك المنظمات السرية. استعملوا معها أولا طريقة "فرق تسد" لكي يضعفوا ويمنعوا أي تحالف مستقبل بين الجمعيات. في حين لجأت إلى أساليب رخيصة استطاعت بفضلها استمالة الكثيرين من شيوخ الزوايا إلى صفها، مما أدى ببعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن فشل شيوخ الزوايا العام 1871م بمنطقة جيجل، وفي ثورة المقراني وغيرها، قد انتهت بفضله الثورة مابعد هذه السنة[1].

فالكاتب الانجليزي باربور، والذي عرف عليه تعاطفه مع القضية الجزائرية، يقول بأن جيجل وكل المناطق الجزائرية الأخرى مابعد ثورة 1871م إلى العشرينيات من القرن العشرين: "أصبحت ساكنة نتيجة للتعب الجسمي والروحي"[2]. بل هناك من يرى بأن تأثيرات فشل شيوخ الزوايا في قيادة الثورة ضد فرنسا كماهو حال أندري نوشي والذي أكد رضا هؤلاء الشيوخ بالحكم الفرنسي ما بعد 1871م[3].

رابعا: الزوايا الوجه الآخر –الولاء للمستعمر–

إنه لمن المؤسف، بل من العار أن نتحدث عن هؤلاء الأشخاص الذين باعوا ضمائرهم مقابل مصالحهم الشخصية. لعل الحديث هنا عن الوجه الآخر لشيوخ الزوايا، لأناس باعوا وخانوا القضية فارتموا في أحضان المستبد الغاشم، واستعبدوا أنفسهم فملكها النصارى[4]. لقد أمضى الكثير من شيوخ الزوايا خلال الفترة المطروقة في بحثنا هذا وما قبله اتفاقيات مشتركة أو تحالفات

1– الحركة الوطنية، ج2، ص 64-65.

2– أورد آراؤه أبو القاسم سعد الله في الحركة الوطنية؛ للاستزادة ينظر: نيفيل باربور، مدخل إلى شمال-غرب إفريقيا، جامعة اوكسفورد، لندن، 1962، ط2، ص 215 ومابعدها.

3– الحركة الوطنية، ج2، ص 77.

4– تعليق كاتب المقال وهو مسئول عنه.

اعترفت فرنسا بعدها بالسلطة المالية والمعنوية لبعضها، مقابل الاعتراف من قبلهم على السيادة الفرنسية. وهذا يعني منع أتباعها ومريدوها من الثورة على فرنسا[1].

و لعل زاوية شلاطة خير الأمثلة على ذلك التقارب الذي حاولت فرنسا اصطناعه من أجل منع ثورة الزوايا من النجاح والانتشار؛ لقد تعامل الشيخ المقدم (بن علي الشريف) مع العدو الذي أسند إليه منصب-باشاغا- شلاطة سنة 1869م وأصبح بفعلها رئيسا مدنيا بدل الرئيس الروحي[2].

ويورد لنا فيرو مثالا آخر – نذكره بتحفظ – على مواقف بعض الزوايا من المقاومة الشعبية فيقول: "حوالي الساعة الرابعة كان مبعوثان من القائد سي الحسين مولى الشقفة يعرضان على المقدم روبيرت تقريرا بأن بني يدر بمساعدة وحدات قتالية لبعض القبائل قد عزموا على الهجوم غدرا... لكن لما كانت صرخات الحرب منبعثة من طرف القبائل تسمع من بعيد". لكن الملاحظ على هذه الرواية ذكر مولاي الحسين مولى الشقفة من قبل فيرو على أنه هو الباعث للأخبار وهو ما يجعل الرواية محل شك كبير، خاصة وأن التقارير المتعلقة بهذه الزاوية المنتمية للدرقاوية، والتي عرضها الأستاذ فركوس توضح بجلاء إن هذه الزاوية كانت محل مراقبة شديدة بفعل نشاط قياديها الثورية[3].

وقدمت لنا المؤرخة Souzette Granger في مؤلفها المذكور سلفا، الدور الايجابي العكسي الذي أداه سي عمار بن حبيلس في ثورة 1871م بجيجل، ففي تقريره الذي أعده إلى القائد العسكري لجيجل في 30 ماي 1871م عرض فيه بالتفصيل تحركات وقادة الثورة وأهم

1– بوسكي، مرجع سابق، ص 17.

2– صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص 290.

3– قادة الزوايا الذين كانوا تحت مراقبة ضباط المكاتب العربية بشكل دائم؛ عرضها فركوس في تاريخ الجزائر من خلال :

Cercle de djijell, raport de la 2eme quinzaine du mois de mai 1848.

2– **Souzette GRANGER**, Au cœur des babors, p.21-25.

أعراشهم وعائلاتهم[1] وبفضل هذه المعلومات كانت عمليات العقاب المطبقة من قبل المستعمر بعد القضاء على الثورة سهلة، لان تحديد المعاقبين قد تحدد سلفا. وبعيدا عن السرد التاريخي لكرونولوجيا الأحداث في هذه الثورة، والتي تعمدت الابتعاد عنها يظهر لنا جليا دور التحالفات التي كان المستعمر يقيمها مع هؤلاء الشيوخ والمقدمين[2].

خامسا: الشيخ سي القريشي بن سعدون أنموذج ثورة 1871م

يعتبر الشيخ المقدم القريشي بن سعدون أحد قامات المقاومة والثورة في منطقة جيجل، فهو ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، وكان شيخ زاوية فرجيوة بجبال ميلة، وبعد إحراقها من قبل المستعمر- كما ذكرنا سلفا- بمساعدة عامله بلقاسم بن حبيلس وزبانيته، كان من أتباع الشيخ سي عزيز بن الحداد وذراعه الأيمن[3].

خلال العمليات التي خاضها سي عزيز وأتباعه ضد المستدمر الفرنسي، اتخذ قادته الثلاثة لمساعدته في فتح جبهات جيجل وهم: سي صالح بن شاطر؛ وسي عمر بن عرعور؛ وسي القريشي بن سي سعدون، لكنه قرر منح هذا الأخير الخلافة على قيادة جيشه، بعدما عزم العودة إلى بجاية شهر جوان 1871م[4].

لقد ركزت المؤرخة سوزات على استخلاف سي عزيز بن الحداد للشيخ القريشي بعدما غادر المنطقة باتجاه بجاية، حيث استطاع هذا الرجل جمع أعراش بني قايد وبني أحمد وبني عمران، وشاركوا معه في عمليات حصار جيجل؛ وفي مقال لها وصفت جريدة " الجزائر فرنسية" نجاح سي

2– التقرير المفصل لـ سي عمار بن حبيلس نشره خنوف نقلا عن سوزات جرنجار. ينظر: تاريخ منطقة جيجل، ص 151-153.

3– **Si Azziz**, insurrection de 1871, mémoires d'un accusé, Si Azziz ben Mohamed ben cheikh el-Haddad à ses juges et ses défenseurs, Constantine, 1873, pp.59-61.

4– **Souzette GRANGER**, Au cœur des babors, p.22.

القريشي في خلافة سيده سي عزيز، وتفوقه الحربي، وظهر ذلك في اكتمال محاصرته لجيجل من كل الاتجاهات[1].

في الحقيقة أن الثورة التي نظمت من قبل سي عزيز وأتباعه كان لها صدى واسع في كل جيجل وما حولها، لكن للأسف فشلت ويشير صالح فركوس نقلا عن المؤرخ الفرنسي Rinn إلى أسباب فشلها فيقول : "كانت المعارك غير متكافئة، سواء بجبال البابور أو بعموشة أو بجيجل خلال شهر ماي وجوان1871م.. لم يكن بالإمكان وضع إستراتيجية عسكرية لخوض تلك المعارك، فضلا عن غياب السلاح والعتاد والمؤونة.. الأمر الذي أدى إلى الاستسلام"[2].

كما قدم لنا فرحات عباس رواية شفوية عن سبب فشل ثورات مسقط رأسه جيجل، نقلها لنا علي خنوف فيقول : "هناك في دوار بعيد، وفي كوخ من الخشب، كانت تجلس جدتي بالقرب من كانون مشتعل تحكي لنا ذكريات دخول الرومي إلى جيجل سنة 1839م ومجي، سانت أرنو وثورة 1871م ومصادرة الأملاك وكل الأمور التي رافقت مجيء الرومي.. جدي عباس يردد ويقول: لسنا نحن الذين انهزمنا بل بنادقنا.."[3].

بتاريخ 07 جوان 1871م تم استكمال التحضير النهائي للقوات، حيث قاد المعارك سي القريشي بن سعدون، وهاجم قلعة سان فيردان بالقرب من مستشفى جيجل القديم؛ وحاول الرجل الثاني بعد سي بن سعدون التوجه شرقا وصولا إلى الوادي الصغير، وهنا يذكر الدكتور صالح فركوس بأن المستعمر استخدم البوارج الحربية التي كانت ترسو بشواطئ جيجل، بعدما

1- مقال بجريدة الجزائر فرنسية، العدد 202، 20 جوان 1871م.

2- **L.RINN**, Histoire de L'insurrection de 1871, pp.410-418.

3- نقلها لنا **علي خنوف**. وينظر: **حميد عبد القادر**، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2006؛ وينظر أيضا: **علي تابليت**، فرحات عباس رجل دولة، دار ثالة للنشر، الجزائر، 2007.

و للاستزادة حول أحداث 1871 وظروفها ينظر: **فرحات عباس**، ليل الاستعمار، دار القصبة، الجزائر، 2002، ص 54-56.

استطاع المجاهدين حرق برج القايد صالح بن سديرة، والتوجه نحو قصر الطير لمواجهة الضابط بوفالي أحد ضباط المكاتب العربية[1].

في حين فشل أيضا الهجوم الاول الذي قاده سي بن سعدون في الجنوب، ففي عددها 3136 نشرت جريدة الاخبار بأن قادة الهجوم -و يقصد به سي القريشي بن سعدون – قد فشلوا في مسعاهم، وهو اقتحام المدينة والسيطرة عليها، وارجعت السبب إلى التفوق الواضح في السلاح والتنظيم العسكري بين القوتين[2]. كما اشارت سوزات في مؤلفها Au Coeur des babors، إلى جرح سي القريشي بن سعدون في نهاية اجتياح الثوار للجهة الجنوبية رفقة ستين آخر من قواته[3].

بفضل جهود أحد شيوخ الزوايا ممثلا في سي القريشي، اكتملت الصورة في أعين فرنسا كلها، بأن التأثير الروحاني لشيوخ الزوايا، هو كالسحر في نفوس الشعب، وما التفاف قبائل وعشائر جيجل حول شخصية سي بن سعدون لاستكمال الثورة بعد مغادرة سي عزيز، الا دليل على أن شيخ الزاوية قائد ميداني لا يستهان به في الثورات ضد المستعمر. وصدقت بذلك المقولة التي قالها الجزائريون للجنرال لامورسيير بعد انحزام الطريقة القادرية بسقوط دولة الأمير عبد القادر، لقد رددوا على مسامعه قائلين: "إن فرنسا ستمضي قدما، ولكنها ستضطر إلى التراجع، وعندئذ سنعود"[4].

لقد حصل المستعمر أخيرا على الإجابة التي كانت تؤرقه دائما، لقد أجابه عليها أحد قادتها والتي نقلها لنا كلود فتن : "فعلا إن الزوايا هي أقطاب المقاومة ومراكز الثورات..."، إن أسطورة فرنسا

1- تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 291. وينظر أيضا: **Souzette GRANGER**, Au cœur des babors, p.26-30.

2- جريدة الاخبار، العدد 3136، 25 جوان 1871م.

3- نقلها لنا **علي خنوف**، تاريخ منطقة جيجل، ص154.

4- الحركة الوطنية، ج2، ص 50-51.

التي لا تغلب قد انتهت العام 1870، حيث لم تعد هذه الأساطير تقنع الجزائريين، بل هي خرافات محاها وإلى الأبد ما نقله المؤرخ شارل أندري جوليان عما كان يردده قبائل المنطقة: "إن الجزائر كلها ستثور وإن هذه فرصة فذة لطرد الفرنسيين".

إن تأثر أمثال سي بن سعدون بالدعاية الدينية الوطنية الثورية التي انطلقت من عهد الحداد والمقراني، وبعدما رأى بأم عينيه زاويته وهي تحترق من بني جلدته، عرف حينها أن الالتفاف حول سي عزيز لتطهير جيجل من الخونة والظلم هو الغاية والمبتغى.

ومن خلال المرور بفصول هذه الدراسة، أمكننا الخروج بالاستنتاجات الآتي ذكرها:

- التأثير المتواصل والمستمر لشيخ الزاوية في المجتمع خلال القرن 19م.
- امتداد دور المشايخ إلى الدور الميداني وتخليهم نسبيا عن الجانب الروحي الإصلاحي.
- النظرة الفرنسية الأحادية لثورات شيوخ الزوايا، في ظل قلة التدوين التاريخي لأحداث المنطقة.
- الانقسام الحاصل في توجهات وأهداف شيوخ الزوايا، فيما يخص مواجهة الاستعمار أو الميل إليه.
- التواصل الخارجي لشيوخ الزوايا مع ثورات منطقة جيجل ومشاركتهم الميدانية فيها.
- أسباب انهزام وفشل مقاومة الزوايا للمستعمر ترتكز على عدم تكافؤ العتاد
- نتائج هذه المقاومة "حرق الزوايا، القتل، النفي، المصادرة.."

55/377

أ. مريم مالكي

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة

الزوايا الإصلاحية في الجزائر ودورها في الحراك الوطني

- زاوية مولاي أحمد العابد مولى الشقفة أنموذجا -

نظرة عامة عن ظهور الزوايا الإصلاحية بالجزائر:

لعل ظهور الزاوية في البلاد الإسلامية كان نتيجة لظروف تطلبها ذلك العصر الذي نشأت به فكان الرفض والمقاومة أساس بروزها بالشمال الإفريقي بداية من القرن 15م كنتيجة حتمية لما وصلت إليه الأوضاع السياسية والدينية بعد هزيمة الجيوش الموحدية بمعركة العقاب في

16 جويلية 1212م، وما نجم عن هذا الانهزام من حوادث ثم بعد سقوط الحكم الإسلامي بالأندلس سنة 1492م وهروب المسلمين واليهود باتجاه سواحل الشمال الإفريقي وتعقبهم إلى حدود الثغور المغاربية، وبذلك يكون الغزو المسيحي الصليبي لبلاد الإسلام (بني مرين، الزيانيين، الحفصيين) الباعث الأول لظهور المقاومة والتي تجسدت في الزوايا الصوفية.[1]

إذن فالزاوية في لغة المغرب هي الطريقة الصوفية والمرابطون هم الصوفية ولا نقصد في دراستنا هذه الزوايا المنحرفة الضالة منها، وإنما نقصد بذلك الزوايا الصالحة في الجزائر والمغرب كونها معدن العلم والهداية وأوتاد الدين والصلاح ومنبع اليقظة والنهضة، انشأت للتربية الإسلامية وتحفيظ القران وتعليم العلوم العربية والدينية للصغار والوعظ والإرشاد للكبار[2]

فكان منبعها إسلاميا أساسا بدء من الزاوية القادرية التي تنتسب إلى المولى عبد القادر بن الحسين بن صالح الجيلاني دفين بغداد في 1066م، والذي ينحدر بدوره من سلالة فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم وزوجها الإمام علي ابن ابي طالب أي من بيت الشرف النبوي ولذلك فان هذه الزاوية تصنف ضمن الزوايا الشريفية إلى جانبها أربع زوايا رئيسية أخرى هي الزاوية الدرقاوية، التيجانية، الطيبية، والزاوية الرحمانية[3]، وظلت طيلة قرن من الزمن تقود المقاومة الثقافية للمجتمع الجزائري ضد الكيان الأجنبي بفضل القائمين عليها من العلماء والفقهاء الذين جاهدوا من أجل الحفاظ على شخصية الأمة وتماسكها ووحدتها ضد النزعة الصليبية التي برزت جلية في المخطط التنصيري الذي انتهجه الكاردينال لافيجري والذي صرح وكتب يقول :" إن إدخال الأهالي في الديانة المسيحية واجب مقدس وأن أقل ما يجب فعله معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن "، هذا التصريح نحفظ لنا شهادة أحد السياسيين والقادة الفرنسيين الذين عملوا على

1- عمار يزلي: الثقافة في مواجهة الاحتلال، دراسة منشورات السهل، 2009، ص129

2- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى عام 1975م دراسة منشورات السهل، ص20.

3- عمار يزلي: المرجع السابق، ص130.

الحط من العقيدة الإسلامية ولغتها وهو ما حاول رؤساء الزوايا تجاوزه بأسلوبهم التقليدي في التعليم والمتمثل في حفظ المصنفات والتقيد بشروحها والتي مكنتهم من النهوض برسالة جليلة وهي تحصين الأجيال دينيا وثقافيا وتغذية روح المقاومة والرفض والتمرد على كل مخططات الاستدمار الفرنسي.[1]

كل هذه الطرق الصوفية منسوبة إلى أسماء مؤسسيها: عبد القادر الجيلاني، محمد بن عبد الرحمان الأزهري.. هدفها الوقوف في وجه الكفر والإلحاد، ومن ذلك الطريقة الرحمانية التي جمعت بين التربية والتعليم والتوجيه الديني، وإصلاح المجتمع وتوجيه الناس توجيها دينيا سليما وهي أيضا الطريقة التي وقفت ضد الاستدمار الفرنسي بقيادة رؤسائها.[2]

تنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الأول محمد بن عبد الرحمان 1728م- 1794م، وهو من مواليد قرية آيت اسماعيل على بعد كيلومترات إلى الشرق من مدينة ذراع الميزان بجبال جرجرة، وتلقى تعليمه في قرية ايت اراثن ثم أكمل تعليمه بمصر في الجامع الأزهر، وعاد إلى الجزائر واستقر في بجاية ثم انتقل إلى حي الحامة قرب العاصمة الجزائر وعاد الى مسقط راسه آيت اسماعيل وقد اشتهر محمد بن عبد الرحمان بالتقى والعلم والورع وأسس مدرسة دينية (المدرسة الحفناوية نسبة إلى أستاذ محمد بن عبد الرحمان في الأزهر —الشيخ محمد بن سالم الحفناوي).[3]

زاوية مولى الشقفة وإسهاماتها الفكرية والثورية:

1- نسبها:

1- **الجيلالي سلطاني**: دور الرحمانيين في المقاومة الوطنية، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007

2- **المرجع نفسه**، ص183.

3- **بسام العسيلي**: جهاد الشعب الجزائري، قادة الجزائر التاريخيون، دار العزة والكرامة للكتاب، طبعة خاصة، ج3، ص391.

تنتسب زاوية مولى الشقفة حسب الروايات إلى أحمد العابد، وهو رجلٌ من شرفاء المغرب يقالُ أنه من نسل عبد السّلام بن مشيش أحد مشاهير الأولياء بالمغرب الأقصى[1]، وقد اختلفت الروايات فيما يخص إقباله الى منطقة جيجل، حيث يذكر إنه انتقل إلى المنطقة في القرن 16م على متن قارب فأصابته عاصفة وتحطم قاربه، ونجا هو إلى ساحل قبيلة (الجناح) على قطعة خشبية من حطام القارب، تسمى لدى العامة (شقفة من القارب)، وعلى هذا الأساس أطلق عليه اسم (مولى الشقفة) ومعناها صاحب الشقفة[2]، فنزل عند شيوخ قبيلة (الجناح) ولكنهم رفضوه خوف تولّيه عليهم، فخرج من بينهم وانتقل إلى قبيلة (بني حبيبي) ونزل قرب سوقهم بمنطقة (أولاد معقل) وأنشأ هنالك زاويته المشهورة التي كانت تسمى (زاوية سيدي العابد).

خلف أحمد العابد ثلاثة أبناء ذكورا محمد وعبد الله وآخر لم تحتفظ الرواية باسمه، أما ابنه محمد بن أحمد العابد فقد ورث مشيخة أبيه ببني حبيبي إلى أن توفي ودفن بجبل حيان وضريحه موجود هنالك إلى اليوم وكان قد نبغ بين يدي سيدي أحمد العابد رجل من بني حبيبي اسمه (البصير)، وورث مشيخته عن ابنه عندما توفي فتغير اسم زاويته إلى (زاوية سيدي وارث)، وورث أبناء سيدي العابد وأحفاده مشيخة الزاوية في أسرة (بن فيالة) إلى دخول الفرنسيين، ومنهم الثائر سنة 1871م الشيخ (محمد بن فيالة)، وأخوه (علي بن فيالة)، وابنه (إبراهيم بن فيالة)، وأسرتهم اليوم معروفة في بني حبيبي، في حين انتقل ابنه الآخر عبد الله إلى جبل سدّات عند قبيلة (بني يدّر) وأسس زاوية مولى الشقفة، وبعده ابنه (محمد بن مبارك بن عبد الله بن أحمد العابد مولى الشقفة)، ومن بعده ابنه (أحمد الشريف بن محمد بن مبارك بن عبد الله بن أحمد العابد مولى الشقفة)، ومعه أخوه (الخضر بن محمد بن مبارك بن عبد الله بن أحمد العابد مولى الشقفة)، ثم ابنه (الحسين بن

1- **سفيان عبد اللطيف**: أصول قبائل منطقة جيجل من خلال المصادر، توميديا للطباعة والنشر، (قيد النشر) ص96.

2- **صالح عباد**: مدخل إلى تاريخ جيجل، المدينة والمنطقة من ما قبل التاريخ إلى 1871م، الطبعة الأولى، دار الألمعية، 2013، ص229.

أحمد الشريف بن محمد بن مبارك بن عبد الله بن أحمد العابد مولى الشقفة) الثائر إلى جانب ابن فيالة سنة 1871م.

أما أحمد العابد مولى الشقفة، فقد انتقل أخيرًا شرقًا إلى قبيلة (أولاد علي) وتزوج بامرأة منهم ونزل بجبل ظهر الداب في المكان المسمى (تالفدور)، واختلط بأهله من عرش (أولاد علي وبراهم) من قبيلة (أولاد عيدون)، وعرش (أولاد عجلة) من قبيلة (أولاد علي)، وترك الكثير من الأولاد منهم (المجذوب) و(الدربوش) و(بلْعابد) وغيرهم.. وقرّابته لا تزال هنالك في قمة جبل (ظهر الدّاب) كما هي يسمّيها الناس (سيدي العابد)، ثم توفي ودفن إلى جانب ابنه في دوار (حيان) بقبيلة بني حبيبي وقبره هنالك إلى اليوم كما هو مذكور.[1]

2- إسهاماتها الفكرية:

بما أن زاوية مولى الشقفة قد عملت تحت راية الزاوية الرحمانية فانه يمكن القول بأنها أداة لتحقيق الانسجام الاجتماعي والوطني من خلال الإلمام بأهداف ومبادىء الزاوية الرحمانية معتمدين في ذلك على الدين الإسلامي، وكان سي العابد مولى الشقفة عالما متصوفا يدرس علوم الدين في زاويته المشهورة والتي أقامها بقبيلة بني حبيبي، إضافة إلى زاوية (مولى الشقفة) التي برزت بالمنطقة تشرف على جزء كبير منه قبل وبعد الوجود الفرنسي. ويمكن القول أن هذه الزاوية تعتبر إحدى المراكز الثقافية التي حافظت على اللغة العربية والدين الإسلامي رغم التجاوزات والمضايقات التي لقيها أصحابها خلال التواجد الفرنسي، ورغم محاولاتهم لطمس الهوية الجزائرية لجعل الجزائر فرنسية، إلا أن ذلك لم يمنع رؤساءها ومريديها من نشر أفكارهم الدعوية الإصلاحية، وتجسيد الوحدة عبر كامل أ أنحاء الوطن بسرية تامة، وذلك بإيهام الاستدمار الفرنسي أن هدفهم هو تحفيظ القرآن الكريم ولا مجال لهم للتدخل في الوجود الفرنسي وسياسته.

1- سفيان عبد اللطيف: المرجع السابق، ص96.

3- إسهاماتها الثورية:

كان لعبد الله مولى الشقفة دور في مواجهة الدخلاء من المسيحيين، ومنها الغزو الإسباني على مدينة الجزائر فيما يسميه فيرو (حملة أورايلي) (Expédition d'Oreilly) سنة 1775. في العهد التركي، إذ أنه بعد استنجاد الباشا برجال القبائل انطلق إليه عبد الله مولى الشقفة في جمع كبير من قبائل بني بلّار وقادهم في المعركة التي انتصر فيها الأتراك، فكرمه الباشا تكريما عظيما بأوسمة ضخمة وأطلق اسمه على شارع في الجزائر العاصمة هو (شارع سيدي عبد الله).[1]

كما كان لها دور في ردّ الحملة الفرنسية على قسنطينة عام 1836م إذ يذكر الحاج أحمد باي أنه استدعى جيوش مقاطعة قسنطينة لمواجهة الفرنسيين، حيث التحق بهم مولى الشقفة ومعه أكثر من عشرة آلاف رجل وذلك بعد المعركة التي حدثت بمنطقة الصومعة والمنصورة.[2]

وقد برزت ثورتهم بمنطقة جيجل بعد الأحداث التي شهدتها ثورة أولاد عيدون، والجدير بالذكر والتنويه هو أن هذه الانتفاضة كان وراء قيامها الشيخ المقراني والحداد نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية، وما زادها لهيبا هو التهديد بانتزاع الأراضي من الأهالي.[3]

إذن فالغضب والتذمر كانا العاملين الأساسيين خلال ثورة 1871م لما كانت تعيشه المنطقة من أزمات وهو ما جرى سنة 1866م، 1867م، 1868م، حيث تعرض السكان إلى المجاعة والأمراض التي قضت على سبل العيش، ورغم أن أسبابها كانت طبيعية (انتشار الجائحة

1- شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ترجمة عبد الكريم سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، 2010، ص63.

2- محمد المهدي شعيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر، بلا ناشر، قسنطينة، 1950، ص433.

3- صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974 م، ص57.

والجراد)[1]، إلا أن تحيز السياسة الاستدمارية للعنصر الأوروبي من خلال السطو على موارد السكان والأهالي زاد من حدتها[2].

وبانهيار السلطة السياسية في باريس ووقوع نابليون الثالث أسيرا في يد الألمان بعد معركة سيدان، استولى المعمرون الأوروبيون على السلطة وبذلك انتهى عهد النظام العسكري في الجزائر وعوض بالنظام المدني بعد أن وافقت على ذلك الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 9 مارس 1870م[3]، في نفس هذه الفترة صدر مرسوم كريميو 24 أكتوبر 1870م الذي يقضي بمنح الجنسية الفرنسية لليهود.[4]

لقد كان لإعلان الشيخ الحداد الجهاد في "**صدوق**" أثره البالغ في جعلها ثورة شعبية انضم إليها كل الناس خاصة الإخوان الرحمانيين في عمالتي الجزائر وقسنطينة من حجوط ومليانة وشرشال غرب مدينة الجزائر إلى جيجل والقل شرقا، وشملت جبال البابور والوادي الكبير، كما أثرت ثورة المقراني على قيام انتفاضة 1871م رغم أنها لم تصل المنطقة إلا في مرحلتها الأخيرة بعد مقتل المقراني يوم 5 ماي 1871م[5]، ليكون انضمامها على يد سي العزيز الحداد بعد الانتصارات **التي لقيها إلى** جانب بومرزاق المقراني في نواحي بجاية وشمال سطيف، وبذلك وجه نشاطه الثوري باتجاه **الأعراش** الكبيرة وعمل على استمالتها مثل، أعراش تابابورت، وبني فوغال،

1- **صالح عباد**: المرجع السابق، ص338.

2- **عبد الوهاب بن خليف**: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، الطبعة الأولى، دار طليطلة، 2009م، الجزائر، ص85.

3- **بوحوش عمار**: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي 1997 م، ص143.

4- **بسام العسيلي**: محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، دار النفائس لبنان، الطبعة الأولى، 1982م، الطبعة الثالثة1990م، ص85.

5- **يحي بوعزيز**: ثورة1871م، دور عائلتي المقراني والحداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 236.

والعوانة، وبني عمران المطلة على مدينة جيجل من الناحيتين الغربية والجنوبية، فبعث برسائل عديدة إلى قادة شيوخ وأعيان تلك الأعراش يحثهم فيها على الانضمام إلى الثورة، فاستجاب لدعوته سي عمر بن عرعور قائد تابابورت، وسي صالح بن شاطر مقدم زاوية تاكسنة، وسي صالح بن بوشامة من شيوخ بني عمران، وابراهيم بوسولة من شيوخ بني خطاب، وسي أحمد بن علي من أعيان العوانة وقد أدى هؤلاء دورا أساسيا في امتداد ثورة 1871م إلى منطقة جيجل الغربية ثم امتدادها إلى المنطقة الشرقية، إضافة إلى هذا التأثير فإن سي عزيز عمل على إخضاع رؤساء بعض القبائل التي رفضت الانضمام للثورة ومن بينهم عمر بن حبيلس قائد بني فوغال، وبلقاسم بن منيع قائد بني عمران، رغم إنضمام الكثير من أفراد عرشيهما إلى الثورة[1]، ففي 28 ماي هاجم سي عزيز برج القائد بلقاسم بن حبيلس الذي كان غائبا ودمره ثم هاجم قرية بني فوغال، فانسحبوا بعد التفوق عليهم واتجهوا نحو منطقة جيجل، ثم واصل سي عزيز سيره باتجاه الميلية والقل وفرجيوة، وطلب منهم الانضمام، وقد أخذ زمام حركة التمرد بمنطقة الوادي الكبير سي الحسين بن الشريف مولى الشقفة بعد أن أصر عليه قريبه سي محمد بن فيالة[2].

وبعد عمليات الإخضاع التي قام بها سي عزيز في منطقة جيجل غادرها يوم 12 جوان 1871 وترك قيادة العمليات لمقدمي الزاوية وهم القريشي بن سيدي سعدون، عمر بوعرعور والطيب بن مبارك بورفيس وقد عرفت المنطقة خلالها العديد من العمليات[3]، ففي يوم 7 جوان 1871م هاجم حوالي ثلاثة آلاف مقاوم المدينة بعدما قسموا أنفسهم إلى صفين:

الصف الأول قاده سي صالح بن شاطر، وهاجم الناحية الشرقية ووصل إلى الوادي الصغير فقصفهم جيش المحتل بالمدافع من قلعة دوكان الواقعة بجانب ميناء الصيد الجديد، ومن البحر

1- **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، طبعة 2، 2011، ص165.

2- **مولود قايد**: المقراني، ترجمة بربارة، ط1، منشورات ميموني، 2013، ص 167.

3- **لويس رين**: إنتفاضة سنة 1871 م في الجزائر، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013، ص615.

الحربية الراسية بالخليج إضافة إلى استعمالهم للبنادق السريعة الطلقات والبعيدة المدى، في حين قاد سي القريشي بن سعدون الصف الثاني، وهاجم الناحية الجنوبية ووصل إلى قلعة سان فيردان بالقرب من مستشفى جيجل القديم، ولكن المهجومين فشلا بسبب تفوق جيش المحتل بالأسلحة الحديثة، وتدعي الصحف الصادرة حينذاك والكتب التاريخية بأن المهاجمين تفرقوا بعد تعرضهم للقصف بالمدافع، وكان عدد الذين سقطوا بالمعركة أربعين قتيلا وأكثر من ستين جريحا، ومن بين الجرحى سي القريشي بن سعدون[1]، وكان من المهاجمين قبائل بني عمران الجبالة، بني خطاب (الغرابة) وبني أحمد، وحدثت المعركة في ضفتي وادي القنطرة شرق مدينة جيجل، وتم انسحابهم بعد تدخل مدافع باخرتين راسيتين بالقرب من برج دوكان، وفقدوا حوالي 125 مقاوم حسب التقديرات الفرنسية[2].

ويوم 12 جوان خيم القريشي وعمر بن آمقران لدى بني حبيبي ثم اتجه إلى "زاوية سيدي وارث" لدعوة شيخها ومقدمها الرحماني محمد بن فيالة قرب مصب الوادي الكبير[3]، وقد حدثت معركة في نفس اليوم حاول خلالها الثوار تخريب قناة المياه التي تزود المدينة، فخرجت قوات المحتل إليهم ووقعت معركة طاحنة بين الطرفين على بعد ثلاث كيلومترات عن المدينة، وتدعي صحف المحتل بأن قواتهم قتلت أكثر من خمسين رجلا من الثوار وخمسين من الجرحى، أما خسائر المحتل فلا تتجاوز ثلاثة جرحى منهم ضابط من قوات الرُماة برتبة ليوطنا lieutnneu[4]، لكن هذه التقديرات لا يمكننا الجزم بصحتها نظرا للتناقض الذي يطغى على معظم الكتابات الفرنسية بين وصف المعارك بالشراسة في حين تقدر نتائجها لصالح الجيش الفرنسي، وربما يعود سبب ذلك إلى محاولة منهم إعطاء صورة عن القوة والشجاعة التي تميزهم عن غيرهم من الجزائريين.

1- علي خنوف: المرجع السابق، ص169.

2- صالح عباد: المرجع السابق، ص356.

3- لويس رين: المرجع السابق، ص615.

4- علي خنوف: المرجع السابق، ص170.

التجأ القريشي بعد تلك المعركة يوم 15 جوان إلى سوق الشقفة للإعلان عن الجهاد، وقد حضر الاجتماع مندوبو قبائل بني حبيبي وبني عمران السفلية والجناح وبني معمر وبني صالح، ومن جيجل، وبني بلعيد وبني مسلم ووادي زهور، ليعلن بعدها عن مهاجمة قائد أولاد عواط في اليوم الموالي[1]، قصد التحكم في معبر العنصر حيث بعثوا برسالة إلى ذلك القائد قصد السماح لهم بالمرور إلى الميلية سلميا، وإن قابلهم بالرفض سيكون أول المستهدفين، لكن هذا الأخير تجاهل هذه الدعوة الشيء الذي أربك بن فيالة، حيث رفض الهجوم على القائد خشية الانهزام فاستعان بالحسين مولى الشقفة قصد قيادة الثورة، هذا الأخير كان محجوزا تحت الإقامة الجبرية في ميلة، وتمت قيادة هذه الثورة من طرف الزعيم الأول بن فيالة الذي اتجه جنوبا باتجاه أولاد عسكر وبني فتح وزواغة وآراس، أما الزعيم الثاني فهو الشيخ بن عرعور الذي تزعم قبائل بني بلعيد، بني فرقان، مشاط وحتى سواحل القل[2].

حركة مولى الشقفة بالوادي الكبير 1871م:

من بين الأهداف التي شرع مولى الشقفة في تطبيقها هو القيام بتصفية أعدائه القدامى، ومنهم القايد خالفه بن عميرش الذي نزح إلى برج الطهر مع عائلته بعد أن تخلى عنه أنصاره، وتقرر اجتماع ممثلي القبائل في زاوية مولى الشقفة يوم 25 جوان، حيث بلغ عدد المقاتلين حوالي 6 آلاف انقسموا إلى قسمين: قسم يهاجم برج القايد بن عميرش، والقسم الثاني يسير نحو الميلية وتم اقتحام البرج يوم 26 جوان[3]، وقد اشترك الحسين مولى الشقفة مع ثوار الزواغة في اعتراض قافلة فرنسية كانت متجهة من قسنطينة إلى سطيف، وقد التف حوله كل من الشيخ ابراهيم بن

1- لويس رين: المرجع السابق، ص615.

2- **hosni KITOUNI** : la kabylie orientale dans l'histoire pays des kutama et guerre coloniale casbah alger, 2013.

3- صالح عباد: المرجع السابق، ص625.

عمر شيخ بني بلعيد والشيخ صالح بن صويلح شيخ بني فرقان والشيخ اعمر بن رفاس من بني مسلم وهم ينتمون إلى منطقة واد زهور[1].

ويوم 4 جويلية اجتمع حشد كبير بالقرب من مخيم رجاص، وتموقعت على الضفة اليسرى لوادي مايلة، وكان الكولونيل "لويس" يرغب في تفادي هجوم ليلي، فحدثت معركة بين الطرفين على الساعة الثالثة مساءا وبعد عودة الطابور إلى مخيمه انسحب الأهالي إلى وادي النجاة، ويذكر "رين" بأن وحدات الجيش الفرنسي شتتت الثوار وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم لكنه أكمل حديثه عن المعركة، حيث ذكر الكولونيل أنه لم يتمكن من مطاردة الثوار بسبب الإرهاق الذي أصاب قواته إثر المعركة التي تم خوضها، ومن خلال هذه التصريحات المتناقضة يمكننا التوصل إلى نتيجة وهي أن المعركة لم تكن لصالح الفرنسيين إنما كانت عكس ذلك.

ويوم 9 جويلية اتجهوا الى ميلة لمحاصرتها وهوجمت في اليوم الموالي[2]، ونظرا لأسوارها الحصينة التي يعود تشييدها إلى العصر الربري والروماني تم الدفاع عن المدينة دون صعوبة، وتم تحويل بعض المجموعات من قوات المهاجرين إلى المناطق السكانية المحايدة والتي تشمل قرية وادي العثمانية[3]، ونظرا لاضطراب الوضع بالنسبة للفرنسيين فقد عملوا على تحصين نواحي ميلة وفرجيوة منذ 12 جويلية، حيث ارتفع تعداد طابور إلى ألف وسبعمائة رجل تحت إمرة الكولونيل "أوبري" وفي هذه الفترة 13 جويلية اجتمع إلى جانب محمد بن فيالة بجوار مصب الوادي كل من

1- يحي بوعزيز: ثورات سكان زواغة، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام، السنة السابعة، العدد 39، دراسات ووثائق في الفكر والأدب، يونيو، يوليو، 1977م، ص17.

2- لويس رين: المرجع السابق، 628، 630.

3- مولود قايد: المرجع السابق، 169.

شيوخ واد زهور، وهم ابراهيم بن عمر شيخ بني بلعيد، وصالح بن صويلح شيخ بني فرقان، وعمر بن رفاس من بني مسلم[1].

و عين على رأس مجموعة من الثوار مقدم الزاوية سي عزيز للهجوم على جيجل، وفي 17 جويلية غادر الوادي الكبير على رأس وحدة من الجيش بعد تعرضه للعدو الذي يتكون من جنود المشاة والزواوة والرماة والقوم التابعين للعديد من القياد الذين احتلوا قمم الوادي فانسحب باتجاه جبال مشاط، ويوم 20 جويلية هاجم قرية العجالقية (الصبايجية) وبرج الميلية، ولكن مدافع العدو أبقته على مسافة بعيدة فعاود الهجوم في اليوم الموالي لكنه انسحب مرة أخرى وقصد آل العشاش وبني تليلان وبني قايد[2].

معركة بني موية 27 جويلية 1871م:

قبل توجه الثوار إلى ميلة قصد الهجوم عليها مرة أخرى عمد مولى الشقفة لتضليل السلطات الاستدمارية بتوجيه رسائل توحي بأنه سيقوم بتخريب خط السكك الحديدية والقرى الواقعة بين سكيكدة وقسنطينة وبوصول هذه الرسائل إلى السلطات تقرر إرسال تشكيلة من الجنود الزواوة إلى قرية بيزو ووضعت عربات مصفحة لمراقبة السكة، وكان غرض مولى الشقفة من هذه المناورة هو الوصول إلى ميلة دون مواجهة.

فتوجه محمد بن فيالة بمحاذاة قمم بني موية إلى فرعهم بني هارون حيث كان مولى الشقفة ينتظره رفقة بني فتح وبني خطاب بغرض تجديد الهجوم على ميلة والسطو على الممتلكات ومخازن الغلال في منطقة بني هارون التي يملكها القياد والشيوخ والجنود السبايس وبقية الأعوان

1- لويس رين: المرجع السابق، 793

2- مولود قايد: المرجع السابق، ص165، 168.

التابعين لفرنسا، حيث التقى مع قوات النقيب" فيلو villot " بجبل بني موية[1]، وحصلت معركة كبيرة بممر واد شرشالي انتهت بمقتل عدد كبير من الطرفين وعلى إثرها استقر مولى الشقفة في الزواغة وبني خطاب، واستقر بن فيالة عند أهله بني حبيبي، وأشعل الثوار الحرائق في غابات الوادي الكبير[2]، ويوم 29 اشتبك طابور (أوبري) من جديد مع الوحدات التابعة لمولى الشقفة ومحمد بن فيالة بالوادي الكبير قرب (شوف الاثنين) من بني خطاب، حيث هوجمت القوات الفرنسية، وبعد الفشل الذي لحقهم انسحبوا نحو الزواغة وعسكرت قوات (أوبري) في سيدي مروان لمراقبة تحركات المنتفضين وحماية وادي ميلة[3].

ورغم الشراسة التي اتصف بها المستعمر إلا أن ذلك لم يزد الثوار إلا هيجانا حيث استأنفت الاشتباكات وبرز ذلك من خلال محاولاتهم لردع الظلم والطغيان، إذ أنه في اليوم الثاني من شهر أوت أسندت قيادة المقاومين إلى شخص يدعي **"بوبقرة"** الذي حشد جموعا من بني فرقان وبني بلعيد وبني مسلم وبني عواط من بعض القرى في منطقة الميلية لمهاجمة مؤسسة بونوغة، ورغم الفشل الذي لحقهم إلا أنهم قاموا بهجوم آخر في اليوم الموالي على قافلة إمداد كانت تتوجه إلى القل[4]، وتوالت الهجومات على البرج إلى غاية يوم 6 أوت ليقوم النقيب (بونت) في اليوم الموالي بالانقضاض على الثوار، ووقع الاشتباك بين الطرفين وأعيدت الكرة في اليوم الثامن في حين خيم الجنرال (دولاكروا) في (عين النخلة) عند أولاد دباب وبعث إلى الرحمانيين يعرض عليهم شروطا إلا أنها لم تقبل لثقلها، فاجتمع مولى الشقفة وبن فيالة بفج بابنان، فخرج (دولاكروا) إليهما يوم 9 أوت ووقعت معركة ضخمة بمنطقة بهلول وفي غابة باردو قرب فج بابنان، ولم يتم

1- **لويس رين:** المرجع السابق، ص795.

2- **يحي بوعزيز:** ثورات سكان زواغة، المرجع السابق، ص17.

3- **صالح عباد:** المرجع السابق، ص359.

4- **مولود قايد:** المرجع السابق، ص165 168.

الاستسلام حيث أعاد مولى الشقفة وبن فيالة تنظيم وحداتهم لدى بني خطاب في حين قام دولاكروا بعمليات تخريب القرى وترويع السكان لدفعهم إلى الاستسلام[1]، وهو ما حدث لكل من أهالي زواغة وأولاد عسكر والقبائل التابعة لفج الأربعاء، من بينهم قبائل بني بدر وقبائل بني حبيبي وأولاد علي وبني عيشة في منطقة العروسة، وأولاد عواط وتايلمام والجناح التابعة لناحية الوادي الكبير، وفي 21 أوت أعلن الفرنسيون أن كلاً من مولى الشقفة وبن فيالة قد استسلما وألقى عليهما بلقاسم بن حبيلس القبض وقادهما أسيرين لدى الوحدات الفرنسية، وتم سجنهما بالميلية ثم بقسنطينة ثم نفيا إلى فرنسا وتوفيا هناك، وبذلك انتهت هذه الانتفاضة[2].

تحت شعار الإسلام والعروبة عمل أصحاب الزوايا على مواجهة الطرقية من جهة وأيدي المستعمر من جهة ثانية، وبتلك الأفكار الإسلامية انتشرت مبادئها لتغرسها في عقول الجزائريين، وهذه الزوايا في مجملها تعطي لمحة عن قوة التصدي التي امتلكها أصحابها فهي تعكس ما كان يتسم به هؤلاء من أخلاق دينية إنسانية استطاعت أن تحرك بها أمة بأكملها لتجاهد وتناضل وتحارب من أجل الإسلام والأرض، وتجدر الإشارة إلى أن الزاوية الرحمانية كان لها الفضل في جمع قبائل بني بدر، بني حبيبي، أولاد عسكر بني فتح وزواغة وغيرهم...

1- لويس رين: المرجع السابق، ص108.

2- لويس رين: المرجع السابق، ص195.

ملاحق البحث:

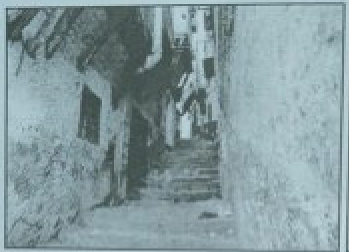

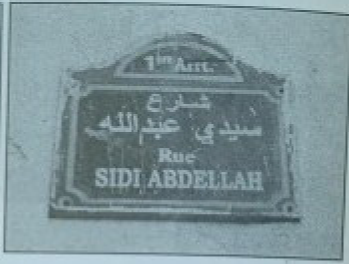

شارع سيدي عبد الله مولى الشقفة وحوانيته التي تعود إلى 1775م بالجزائر العاصمة

صورة محاكمة قادة ثورات 1871م بقسنطينة

أ. محمد الأمين شرويك

جامعة عمار ثليجي الأغواط

التصوف والصوفية والزوايا الدينيّة
- الإثر في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية -

لا يمكن حصر الذرائع التي أطلقتها فرنسا لتبرير احتلالها الجزائر في رد الاعتبار إثر حادثة المروحة، أو الإبقاء على قيمة المجد الفرنسي وإنما ما خفي كان أعظم، فلقد مثلت الحملة الصليبية والقضاء على الإسلام بتنصير الضفة الجنوبية للمتوسط هدفا رئيسا لغزو الجزائر من طرف الفرنسيس، وكذا القضاء على واحدة من أقوى الدعائم التي كانت ترتكز عليها الخلافة الإسلامية العثمانية آنذاك.

إن الوصول إلى ضرورة التغيير الذي كان ينشده الجزائريون، في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية لم يتجسد على أرض الواقع إلا عندما برز على الساحة رواد لفكر التغيير

واستطاعوا عن طريق ما ورثوه عن أجدادهم من علم ووعي، ودعوة إلى الجهاد أن يستخدموه ضد الغاصبين لأرضهم بداية من الوطأة الأولى للاحتلال الفرنسي بلد الجزائر، ولعل صولاتهم وجولاتهم لدليل واضح على أثر التربية الروحية المطبوع في أنفسهم وهذا ما جعلهم بحق أعلاما للسياسة الاستقلالية، وروادا للوطنية، وقادة للحرب والثورة نحو التحرر والانعتاق.

الأدوار المختلفة للمؤسسات الدينية الصوفية:

1- الدفاع عن الإسلام

جاء في الرسالة التي بعث بها الحاج عبد القادر ابن محي الدين أمير المؤمنين إلى لويس فيليب ملك الإفرنسيين: «فإنه منذ ظهور الإسلام كان المسلمون والمسيحيون في حرب، وقد كان هذا يعتبر واجبا مقدسا لدى الطرفين ولكن المسيحيين بعد أن نسوا دينهم ومبادئهم، أصبحوا ينظرون إلى الحرب مجرد وسيلة للتوسع الدنيوي أما بالنسبة إلى المسلمين الحقيقيين فهم على النقيض من ذلك، ينظرون إلى الحرب ضد المسيحيين على أنها مجرد التزام ديني، وهل هناك أهم من هذا الالتزام حينما جاء المسيحيون للاعتداء على أرض إسلامية... ».(1)

وفي الحقيقة أن الصراع الذي كان قائما بين الدولة العثمانية الإسلامية وبين الدول المسيحية الأوربية قد انعكس على الجزائر لأن الأسطول الجزائري القوي يعتبر في نظر الدول المسيحية امتدادا للأسطول العثماني المسيطر على منطقة المشرق الإسلامي، إذ شكل ذلك دفاعا عن حوزة الإسلام وهذا ما دفع الدول المسيحية في أوربا أن تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر وفي استانبول.(2)

1- بسام العسيلي: الأمير عبد القادر الجزائري، بيروت، دار النفائس، الطبعة الثالثة، 1986م، ص 171

2- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005م، ص ص 83-86.

إنّ الحملة الفرنسية ضد الجزائر قد قرّرها شارل العاشر اليسوعي المتحمس، وباركها البابا وأيّدتها الكنيسة في فرنسا وفي غيرها من أوربا، وبعد نجاح الحملة تهاطل على الجزائر المبشرون وأخذت السلطات العسكرية تهدم المساجد وتحوّل بعضها إلى كنائس وتستولي على الأوقاف الدينية، وكلّ هذا يعطي للغزو الفرنسي طابعًا صليبيًا واضحًا، ولا يختلف كثيرًا[3] عن الطابع الصليبي الذي ميّز الحروب الصليبية القديمة المعروفة في المشرق ثم الأندلس.

ثمّ إنّ القوانين الاستثنائية التي أصدرتها السلطات الاستدمارية بشأن الجزائريين كانت كلها تقوم على الروح الصليبية، ولو كانت في ظاهرها تخفي ذلك، ويدخل في ذلك قانون إلغاء القضاء الإسلامي، وقانون الجنسية الصادر سنة 1865م، وإهمال التعليم الإسلامي، وإطلاق الحرية للمسيرين، لا سيما منظمة الآباء البيض والإخوان البيض وتسليط المستشرقين الفرنسيين للطعن في الإسلام وتراثه، وعدم تطبيق مبدأ "فصل الدّين عن الدولة" بالنسبة للإسلام كلّ ذلك وغيره من القوانين الاستثنائية تجعل من الوجود الفرنسي ليس مجرّد سلطة احتلال سياسي واستغلال اقتصادي ولكن قوة صليبية تحمل معها أضغان الماضي بكل بشاعته.

فبماذا ردّ الجزائريون على ذلك؟ إنّ المقاومة التي أعلنوها في المدن والأرياف كانت بالأساس دينية أيضًا، أي أنها كانت من جنس الفعل، فالغزو الصليبي قابلوه بإعلان الجهاد، ولو أنّ الفرنسيين غزوا الجزائر اقتصاديًا واستراتيجيًا كما فعل نظرائهم الإنجليز بالهند مثلاً، لكان من المحتمل أن تكون ردود الفعل الجزائرية غير دينية، ومع ذلك فالجهاد بالمفهوم الجزائري عندئذٍ كان يحوي المعنى الديني المحض، أي الحرب في سبيل الله وحده وطلب الشهادة أملاً في دخول الجنّة ويحوي أيضًا المعنى السياسي الصافي وهو الحرب في سبيل تحرير الوطن من الغازي المغتصب، أملاً في العيش الكريم وابتغاء للحرية، وهذا المفهوم للجهاد وهو عين الوطنية أو هو الوطنية السياسية كما سماها بعض الباحثين، ومفهوم الجهاد في الإسلام لا يخرج أيضًا عن الدّين والسياسة،خلافًا لما تعته به أعداء الإسلام وهو الحرب المقدسة «La Guerre «Holy War

« Sainte فالجهاد الحقيقي يعني طلب الشهادة وطلب الحرية معاً، وفي الحديث الشريف (أطلب الموت توهب لك الحياة).

وبعد أن سيطر الاستدماريون على الجزائر مدنًا وأريافًا بطرق مختلفة، شملت التقتيل والتهجير والنفي والإرهاب والترويع،.. وهي الطرق التي لخصوها في كلمتين "حكم السيف: Le régime du Sabre"، وبعد السيطرة التامة التفتوا إلى مكامن الخطر في نظرهم وجندوا لها سلاحهم الجديد، وهو ليس السلاح المادي ولكنه السلاح المعنوي، فلقد لاحظوا أثناء التصاقهم بالشعب الجزائري مدى التلاحم والارتباط العضوي بين أجزائه في السراء والضراء ولاحظوا أيضًا أنّ مادة ذلك التلاحم والارتباط هو الدّين.

فعملوا على تفتيت تلك المادة بإثارة النّعرات القبلية والجهوية والعائلية وقد ظهرت آثار هذه السياسة بالخصوص في ميدان التعليم وميدان التشريع، فلم يعد الجزائريون يتلقون تعليمًا واحدًا ولا يحصلون على نفس الاهتمام، ولا يخضعون لتشريع إسلامي واحد، ومن الواضح أنّ هذه السياسة تتماشى تمامًا مع الأهداف الصليبية (الدينية) من جهة، والرومانية (السياسية) من جهة أخرى.

كما لاحظ الخبراء الفرنسيون أنّ زعماء حركة الجهاد التي تولت محاربتهم كانوا ينبثقون من المعاقل الدينية المنتشرة عبر الوطن، ونعني بها الزوايا والمعاهد الإسلامية التي كانت منذ قرون تعتني بالجهاد عند الخطر وتعتني بالعلم والتصوّف عند السلم، ولم تكن الطرق الصوفية المرتكزة حول الزوايا والمعاهد كلها طرقًا محاربة أو مجاهدة من حيث المبدأ، ولم تكن كلها أيضًا ناشرة للعلم عمليًا، ولكن أغلبها كان كذلك زمن التسلط الاستدماري -الصليبي-. ومن أبرز تلك الطرق في القرن الماضي: القادرية، والرحمانية، والشيخية، وقد أنجبت الأولى "الأمير عبد القادر"، والثانية "لالا فاطمة نسومر، والشيخ الحداد" والثالثة "الشيخ بوعمامة".

إنّ خبراء الاستدمار قد تفطنوا إلى الدور العدائي المزدوج الذي لعبته الطرق الصوفية

ضدهم، فعملوا على تقليم أظافرها وتدجينها، ونعني بالدور العدائي المزدوج مايلي:

1- المحافظة على الوحدة الوطنية بالمحافظة على القيم والتعاليم الإسلامية.

2- الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد دفاعًا عن الدّين والوطن. (1)

يذكر الأستاذ "عبد القادر بوطالب" في كتابه "الأمير عبد القادر وتكوين الأمة الجزائرية" تحت عنوان "معنى الجهاد" أنّه يجب للحديث عن هذا المعنى تحديد المشاعر العميقة التي أدّت بالأمير عبد القادر إلى أدى دور كبير في المقاومة ضد الاحتلال والمبادرة إلى ذلك، والتي يعزوها كثيراً من المؤرخين الغربيين إلى: "الحزم الديني" والمؤدية إلى الدعوة إلى الجهاد أو الحرب المقدسة الموجهة إلى القبائل.

بالنسبة للأمير عبد القادر فإنّ مفهوم الجهاد هنا، هو الدعوة التي أطلقها قائد الأمة الجزائرية مخاطبًا المشاعر الدينية من أجل الدفاع عن القيم والأرض.

إنّ الغرب يصوّر الإسلام على أنّه دين حرب، ويعطي للجهاد معنى العدائية، لكن العداء كان دائمًا ملتصق بالجهة الغربية، وأنّ من محاسن الإسلام احترام آراء الآخرين. (2)

لقد تكفل الفاتيكان بالإشراف على العلمية التبشيرية في العالم وفيما يتعلق بالجزائر فقد تجلى دور كل من البابا بيوس التاسع Pie 9 والبابا قريغوار الثالث عشر Grégoire13 وهما اللذان صادف اعتلاؤهما كرسي البابوية انطلاق حملة التنصير في الجزائر والتي شرع فيها الكاردينال لافيجري La Vigérie بواسطة جمعية الآباء البيض والأخوات البيضاوات، ولقد دعماه ماديًا ومعنويًا من أجل نشر المسيحية في الجزائر ونشرها في إفريقيا من جديد وعمومًا ترى سلطات الفاتيكان في عملية التبشير في الجزائر إحياء للحروب الصليبية.

1- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1990م، الجزء الثالث، ص ص 19-18.

2- **Abdelkader BOUTALEB** : l'emir abdelkader et la formation de la nation algérienne, Algérie édition, dahleb, 2009, p p 66-67.

إنّ الفرنسيين، وفي مقدمتهم المبشرون من الآباء البيض وغيرهم، راهنوا على إسلام سكان منطقة جرجرة وجعلوه مطيّة البلوغ لمآربهم التنصيرية وذلك بحجّة أنّ الإسلام لم ينفذ إلى أعماق نفوسهم غير أنّ هذا الدّين وقف لهم حجر عثرة، إذ كان المنبع الذي استمد منه الجزائريون أسباب رفضهم لكلّ محاولات الإدماج والتنصير، ولا أدل على ذلك من إعلانهم الجهاد ضد المحتلين إبان ثورة المقراني سنة 1871م، وقد لعب رجال الدّين المسلمون وأتباع الطرق الصوفية في منطقة جرجرة، دوراً كبيراً في شنّ الحملات المضادة للتبشير المسيحي وللمبشرين بعد هذه الثورة.[1]

2-الدور الثقافي والاجتماعي للطرق الصوفية:

لقد قام العلماء وشيوخ الزوايا بالدعوة إلى الجهاد ومنع الأجنبي من احتلال الجزائر ومصادرة ثقافته[2]، فلقد عمل الأمير عبد القادر الجزائري منذ البداية على تنظيم التعليم العام ونشره بين القبائل وقد تحدث عن ذلك بقوله: «كان من واجبي كحاكم مسلم أن أدعم علوم الدّين وأن أبعثها، لذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل، فكان الأطفال في هذه المدارس يتعلمون بدون مقابل العبادات والصلاة وحفظ تعاليم القرآن وفروضه ومعرفة القراءة والكتابة والحساب بصورة جيّدة، وكان الّذين يريدون مواصلة تعليمهم بعد ذلك يرسلون إلى الزوايا والمساجد لتعلّم التاريخ وعلوم الدّين،... وخصّصت للطلبة رواتب على حسب معارفهم ودرجاتهم، وظهر أنّ العلم هام جدّا فعملت على تشجيعه، ولكي أساعد الطلبة على دراستهم بذلت أقصى جهدٍ ممكن للمحافظة على الكتب والمخطوطات من الضياع».[3]

1- محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى1904، الجزائر، منشورات دحلب، ص ص 206 – 207 – 290

2- عمراوي احميدة: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، دار الهدى، 2005م، ص 74.

3- بسام العسيلي: المرجع السابق،ص-ص: 57- 58.

إن ثقافة المجتمع الجزائر إسلامية محافظة بالدرجة الأولى، وتقوم الزاوية بأكثر من دور في هذا المجتمع، والسؤال المطروح هو هل يمكن الحديث عن دور المؤسسات الثقافية العربية الإسلامية بقيادة الزاوية في الحفاظ على مُشكِّلاتِ هذا المجتمع؟

كانت الزوايا بمثابة مراكز تعليمية ثقافية ومتعددة المهام؛ إذا كان لها دور علمي وديني واجتماعي وسياسي في المجتمع الجزائري، بما كانت للطرق الصوفية سلطة روحية ودينية ومدنية وقضائية وعن طريقها كان لها من الولاء الشعبي ما يضاهي بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم القائم، فهي كانت نعمة لقيامها بدور فضّ النزاعات والحفاظ على التماسك الاجتماعي ونشر الأمن وإطعام المعوزين.

وكان اهتمام الجزائريين بالمساجد كبيرا، وكذلك بالمدارس والزوايا والكتب والمكتبات والوقف والرحلات العلمية إلى خارج الجزائر، إذ كانت المدن الجزائرية مثل قسنطينة تضاهي في بعض الفترات كل من مدينة فاس وتلمسان والقاهرة من حيث العلماء والتعليم إذ كانت مساجدها وزواياها وبيوتها الكبيرة تعج بالمكتبات الّتي تحتوي على كتب المشارقة والأندلسيين بالإضافة إلى التآليف المحلية.

لقد تولت الطرقية المتصوفة نشر الثقافة، وبهذا تكون الطرقية قد لعبت في الماضي دوراً إيجابيًا في تأطير مجتمع مفكك، بتلقينها له مبادئ الإسلام وإقامة تنظيمات شرعية فيه، ولهذا اعتمدت الثقافة العربية الإسلامية في تطورها النسبي والعددي على ذاتيتها أولاً، وعلى المجتمع الإسلامي الجزائري ثانياً؛ انطلاقاً من المؤسسات الثقافية المحصورة في المساجد والمدارس والزوايا التي تولت مهمة نشر الدّين والتعليم العربي الإسلامي، وقد وصف المفكرون ومنهم حمدان بن عثمان خوجة الجانب الفكري بأن طاقات كامنة فكرية كانت في أوساط المجتمع الجزائري الذين اعتنوا بالعلوم والآداب فكان منهم الشعراء وأساتذة في التاريخ ومشرعون وكانت المهام العلمية والدينية في يد الحضر الشيوخ (الأعيان) من الجزائريين.

مما سبق يمكن القول إنّ للطرقية بواسطة زواياها أكثر من دور فاعل في الحياة السياسية والاجتماعية، وإنّ الزاوية في الجزائر كانت أساس الحياة الاجتماعية وكان الاهتمام الشعبي كبيرًا بالزوايا إذ تمكنت من أن تحافظ على قيم المجتمع العربي الإسلامي فهي كانت حصنًا منيعًا ضدّ الشوائب الدخيلة على عادات وتقاليد الشعب الجزائري، فالزاوية أنشئت لتحافظ على الطريق السوي وتوحيد الأمة بمعرفة الله عزّ وجلّ.[1]

رغم التضييق على الزوايا ماليًا وتربويًا حتى أصبحت محاصرة، إلاّ أنّ بعضها ولد في عهد الاستدمار نفسه مثل زاوية الحامل وزاوية عميش.

وحين نتحدث عن الزوايا في منطقة زواوة سنعرف أنّ هناك نموذجًا آخر للمؤسسة التعليمية، فقد كانت للزوايا هناك أراضي خاصة يحرثها الأهالي وتذهب محاصيلها إلى طلبة الزاوية كما يدفع الأهالي عشر المحاصيل للزاوية فالتعليم هنا مجاني، والطلبة كانوا يتناولون فيها طعامهم أيضًا، وقد لاحظ البعض أنّ هذا النمط من الحياة هو الذي جعل العرب يهتمون بالحياة الفكرية أكثر من اهتمامهم بالأعمال اليدوية.

ومن هنا كان للطرق الصوفية السبق في المحافظة على الهوية الوطنية والقيم الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة والفقه مما ساهم في التحضير للقيام بالثورة المظفرة.[2]

كما لا ننسى ما لعبته صحف التصوف الجزائرية في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري، من تربية وثقافة إسلامية، وتطهيره من الآفات الاجتماعية.

إنّ من جملة ما أولت له هذه الصحف في صدارة اهتماماتها الجانب الاجتماعي فلقد حظي هذا الجانب بقدر كبير من العناية والتحليل ففي "صحيفة البلاغ" التي جاء فيها أنه تبعا لما

1- عمراوي احميدة: من الملتقيات التاريخية الجزائرية، الجزائر، دار الهدى، الطبعة الثانية، 1427هـ/ 2007م، ص ص: 29- 31- 35.

2- الطرق الصوفية: الأغواط ثقافة وحضارة، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية الأغواط، 2007، ص 10.

كان يتطلبه من ضرورة المعالجة والسعي الدؤوب من رجال الطرق الصوفية في سبيل إنقاذ المجتمع والآفات التي تهدده بالتعليم الذي تراه السبيل الوحيد إلى الإصلاح الذي ينشده المسلمون بغية رأب صدعها، وتتوجه بالدعوة الحارة إلى العلماء بأن يوقفوا أنفسهم على تعليم إخوانهم وخصوصا أرباب الزوايا ومعاهد الدروس لنفوذ كلماتهم في مسامع أتباعهم، وتخلص البلاغ إلى أنه لا يستقيم للمسلمين أمر ولا يرتفع لهم شأن مع جهلهم.

كما تصرح جريدة الرشاد بأنها جريدة دينية إرشادية إخبارية دفاعية أسبوعية، إن كل غرض من الأغراض المذكورة له مدلوله الخاص بالظرف الزماني والواقع الاجتماعي، وجهود العلماء في محاربة الجهل والوعظ والإرشاد نحو أفراد الأمة.

وجاء في المقال الافتتاحي لجريدة "المرشد" لمؤسسها الشيخ عدة بن تونس[1] ما يلي: «... لا غرض لنا من إصدارها إلا إحياء للقلوب وتنوير البصائر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة عساه أن ينتبه الغافل»، وبحسب مجمع الموضوعات التي تطرقت إليها المجلة نجدها ترد على أعداء التصوف الإسلامي كما ساهمت في نشر قيم الإسلام وتعاليمه السمحة.

المبحث الثاني: مقاومة الطرق الصوفية للاحتلال الفرنسي –المقاومات الشعبية–

1– دور الطرق الصوفية في الثورات الشعبية المسلحة

لقد كان للفراغ الذي أحدثه انهيار السلطة السياسية أن أوجد حالة من الاضطراب الشديد في الأذهان وفي السلوكات بفعل المفاجأة ولكنها لم تدم طويلا (بضعة أسابيع فقط)، إذ سرعان ما تبلور اتجاه عام شمل جميع مناطق البلاد والذي يدعوا إلى مجابهة العدو والتصدي له بقوة

1– ولد في مدينة مستغانم سنة 1898م ونشأ في الزاوية العلوية وفيها تلقى تعليمه ومنها استمد توجهه الفكري وبرعاية الأب الروحي الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي أخذ العلوم الدينية والطريقة الصوفية لديه وحظي بمنزلة عالية، ولما تولى شؤون الزاوية والقيام بمهام الطريقة وفق منهج السلف قام بإنشاء عدة زوايا في الجزائر وخارجها من أجل التربية والوعظ. ينظر: **محمد الطاهر آيت علجت**، صحف التصوف الجزائرية من 1338 إلى 1373ه 1920 إلى 1955م ديوان للمطبوعات الجامعية، 1422هـ–2001م، ص ص: 180– 181.

السلاح، وهو الاتجاه الذي واكب سير المقاومة المسلّحة منذ عام 1830م حتى سنة 1847م، وهيَ الفترة التي يمكن تسميتها بفترة المقاومة الوطنية المنظمة ضد الاحتلال.

لم يحظ لحد الآن تاريخ المقاومة بما يستحقّه من التسجيل والدرس، فلا تزال معرفتنا عنها تتسم بالنقص الشديد إذ لا تعدوا كونها معرفة شريطية لسلسلة من الأحداث والوقائع بدون تحليل وفحص وتدقيق، ولا يعود ذلك إلى نقص في المادة الوثائقية فهي متوفّرة على الأقل من الجانب المادي، وإنما السبب ضخامة المهمة التي تتعدّى إمكانية فرد أو مجموعة من الأفراد والتي تحتاج إلى جهد وطني معاً لإنجاز هذه المهمّة التي هيَ دين للسلف على الخلف.[1]

لقد اعتصم بمختلف أرجاء البلاد معظم المقاومين الجزائريين الكبار والصغار والبسطاء وذوي الشأن وتحوّلت الجبال والهضاب والسهول والواحات إلى معاقل الكفاح المسلّحة طوال سبعين عما تقريبا، برز خلالها زعماء وأبطال بذلوا النفس والنفيس وقادوا جماهير السكان إلى الجهاد المقدّس.

لقد قبل الأمير عبد القادر الإمارة في وقت الشدة والضيق، قصد رفع الظلم عن الجزائريين، ودفعا لفساد وإرهاب الاستدمار الفرنسي، وبيّن أن الإمارة تعني الطاعة والولاء والالتزام بأحكام القرآن والسنة واجتهاد الراشدين الأوائل... والمساواة والعدل.

بدأ نشاطه العسكري باستخدام المباغتة في الهجوم على جيوش الاحتلال الفرنسي ومن خلال أسلوب حرب العصابات بوحدات صغيرة وفي مواقع جد صعبة جغرافيا وتكتيكيا لإرباك قوات المحتل وإرهاب ضبّاطه وجنوده وسبب له انخفاضا في المعنويات، إضافة إلى ما غنمه من أسلحة وذخيرة.

1- جمال قنان: قضايا وصراعات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الطبعة الأولى، ص 102.

كما ألحق بالعدو هزائم متعددة في معارك "خنق النطاح" الأولى والثانية، وبرج المعنى في المنطقة الوهرانية خلال عام 1832م.

لقد حدّد الأمير أولويات المقاومة المسلّحة إثر تأسيس الدولة الوطنية:

1- توحيد الجزائريين حول مبدأ الجهاد لنصرة الإسلام والوطن.

2- تطهير الجبهة الجزائرية من الخونة والمتخاذلين.

3- مواجهة الاستدمار الفرنسي الصليبي والظالم.

وعمل على التضييق على الفرنسيين للاعتراف بسيادة الجزائر كدولة والأمير قائدها، وتحقيق رسالة الإسلام في الجزائر، عدلا وتسامحا، وتنمية بين جميع الجزائريين وجميع الذمم.

ففي واحة الزعاطشة جنوب غرب بسكرة، برز الشيخ بوزيان والحاج موسى الأغواطي وغيرهما عام 1849م وقادوا ثورة بطولية بلغت الذروة في التضحية والفداء.

وفي الأغواط، وورقلة، وتقرت، وحوض واد سوف برز الشريف محمّد بن عبد الله، ورفاقه في مطلع عقد الخمسينيات وخاضوا معارك بطولية ضدّ كتائب الجيش الفرنسي.

وخلال أحداث الشريف بن عبد الله برز الثائر بن ناصر بن شهرة، بحركته الثورية في كل من الواحات من جنوب "فقيق" غربا إلى إقليم الجريد التونسي شرقا، وتعاون مع ثوار أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني في الستينيات كما تعاون مع ثوار المقراني والحداد عام 1871م عندما امتدت ثورتهم إلى الصحراء.

وفي أواخر الستينيات ظهر الشريف بوشوشة بحربه الثورية في إطار ما عرف بجماعة "المداقانا" وتعاون مع بن شهرة والمقرانيين وأثاروا كل سكان الواحات الصحراوية انطلاقا من عين صالح.

وفي جبال "جرجرة" و"البابور" و"حوض الصومام" برز الشريف بوبغلة، والشريف بوصبع، وبوحمارة ومولاي براهيم والحاج عمر ولالة فاطمة نسومر وخاضوا حروبا طاحنة ضد قوات جيش الاحتلال الفرنسي وفتكوا بالكثير منها وكلفوها خسائر كثيرة ولم تستطع أن تتوغل

إلى أعماق جرجرة وقراها إلا بعد أن جند عشرات الآلاف من الجنود، وكلّفوا الجنرال "راندون" باقتحام المنطقة في ربيع وصيف 1857م.

وفي جبال الحضنة، وبريكة، و"الخنقة"، و"بسكرة"، برز محمد بن وختاش البراكتي، و"الشيخ الصادق الرحماني، أواخر عقد الخمسينيات وقاد جماهير السكّان إلى الكفاح المسلّح ضد القوات الاستدمارية في معظم مناطق الهضاب العليا الشرقية وأبدوا من الشجاعة والبطولة ما جعل شعراء الملحون يتغنّون بمعاركهم ومنها "معركة أم حام".

وفي الغرب الوهراني برز الإخوة الأربعة: محمد، سليمان، أحمد، قدور، زعماء لثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت عام 1864م وامتدت إلى عام 1883م وعمّت كل الغرب الوهراني، ومعظم واحات الصحراء الجنوبية من فقيق غربا إلى واد سوف شرقا وتدعمت الثورة بعمّي الإخوة الأربعة: سي الأعلى، وسي الزبير، وبإبراهيم بن عبد الله، والفضيل بن علي، في مناطق أولاد نايل والحضنة كما تدعمت بثورة سكان عروش فليتة بجبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة بزعامة الشيخ المتصوف "سي الأزرق بلحاج" وسي عبد العزيز، وعمت كل المنطقة ومدّ زعماؤها أيديهم إلى ثوار أولاد سيدي الشيخ وتضامنوا معهم ضد قوات جيش الاحتلال الفرنسي.

وفي الوقت الذي اندلعت فيه ثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني عام 1864م، اندلعت ثورة سكان الزواغة وفرجيوة بجبال البابور، والشمال القسنطيني؛ بزعامة وقيادة زعماء أسرة أولاد بن عز الدين في الزوافة، وأسرة بن عاشور في فرجيوة، وكان ضمن حوافزهم للثورة ثورة إخوانهم في الغرب الوهراني.

وفي أواخر عام 1870م اندلعت حركة ابن خدومة في منطقة سور الغزلان وامتدت إلى جبال جرجرة وحوض الصومام وكانت بمثابة بداية وتمهيد لثوره المقراني والحداد عام 1871م التي عمّت كل الشرق الجزائري ووسطه، من مليانة وحجوط، وشرشال غربا، إلى القل وسوق اهراس شرقا وإلى عين الطيبة في أعماق الصحراء جنوبا، وتجنّد فيها كل السكان وخاضوا أكثر من 340 معركة كبيرة فضلا عن صغار المعارك، ودامت ثورتهم هذه قرابة العام كبّدوا فيها العدو الفرنسي

خسائر فادحة في الأرواح والإمكانات ومن أبرز زعمائها الباشاغا محمد المقراني، وأخوه بومزراق، الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد، وإبناه: الشيخ عزيز والشيخ محمد الجعدي، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وزعماء عائلة رزقي، وأولاد خليفة، بالشريعة وتبسة، وسكان "بالازمة" في الاوراس.

وشارك في هذه الثورة حتى الصبايحية الموظفون لدى القوات الفرنسية في زمالات: مجير والطارف وعين قطّار وبوحجاز، في وسط البلاد وشرقها.

وفي عام 1876م اندلعت ثورة سكان واحة العامري جنوب شرق بسكرة بزعامة الشيخ محمد يحي والمقدم الرحماني الشيخ عايش وأبدى السكّان بطولة وشجاعة منقطعة النظير رغم العزلة وانعدام المؤن والأسلحة.

و بعد ثلاث سنوات من هذه الثورة اندلعت ثورة سكّان جبال الأوراس الغربية عام 1879م بزعامة الشيخ المقدّم الرحماني "محمد أمزيان" وتحوّلت جبال وشعاب المنطقة وقراها إلى معاقل للثوار والمجاهدين الذين ضحوا بما لديهم لإنجاح القضية الوطنية.

وفي عام 1881م اندلعت ثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الوهراني مرّة أخرى كاستئناف وامتداد لثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى عام 1864م، ودامت إلى مطلع القرن العشرين.(1)

لكل ثورة ومقاومة أسبابها ويمكن استنباط ذلك من خلال المقارنة بأسباب ثورة معيّنة فقد تشابهت هذه الدوافع في كل الانتفاضات المسلّحة في الجزائر ضد العدو الفرنسي.

لقد عجّل تفاعل العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية باندلاع الثورات التي يمكن حصرها فيما يلي:

1- يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1999م، ص ص 310-314.

- رفض الشعب الجزائري التواجد الاستدماري الفرنسي في بلاده، الاستدمار الذي جاء لتنصير البلد فهم أعداء خارجون عن الملّة يجب طردهم.

- الانتقاص من قيمة السكان لاسيما الأسر العريقة، والعمل على تحطيم نفوذها السياسي والاجتماعي.

- فرض الضرائب الباهضة والغير معقولة إلى جانب مصادرة الأراضي والأملاك العقارية والحيوانية من طرف السلطات الاستدمارية.

- النوايا المبيّتة ضدّ الأفراد خاصة المؤثرين منهم.

- سوء معاملة ضباط المكاتب العربية للسكان.

يذكر شارل اندري جوليان في كتابه "تاريخ الجزائر المعاصر" أنّه من الصعب جدّا التحكّم في القوى الدينية بالجزائر، ثقافة تقديس الولي الصالح كانت مترسّخة في المجتمع الجزائري، هذا الأخير الذي عرف بالمرابطين أي الذين اتّخذوا أماكن للرباط بمعنى الجهاد، والأخطر من المرابطين هناك أتباع الطرق الصوفية والذين يمارسون شعائر الدين بالزوايا.(1)

لقد لعب شيوخ الزوايا دورا بارزا في المقاومة الجزائرية وارتبطت كل الثورات بسيوف الدين واعتمدت عليهم في تجنيد الناس لها، وحفزهم على حمل السلاح، لأن الجزائريين لم يفرّقوا في تلك الفترة بين الدين والوطنية خاصة اتجاه الغازي الأوروبي المسيحي النصراني.(2)

2- ردود فعل الإدارة الاستدمارية من نشاط الطرق الصوفية:

لقد شرعت الإدارة الاستدمارية منذ الأيام الأولى لاتصالها على أرض الجزائر في تحطيم وتدمير البناء العقائدي الفكري للمجتمع الجزائري المتمثل في الدين الإسلامي واللغة العربية.

1- **Charles-André JULIEN**, Histoire de l'Algérie contemporaine, Alger, Casbah edition, 2005, p15.

2- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 135.

والسعي من وراء ذلك إلى إحداث فئات اجتماعية منسلخة عن عاداتها وتقاليدها للقيام بأدوار ومهام معينة داخل هذا المجتمع.

إن أول المؤسسات التي وجهت إليها الضربات، المساجد بتحويلها إلى كنائس وثكنات فمثلا قامت سلطات الاحتلال سنة 1830م بغلق 13 مسجدا كبيرا و108 مسجدا صغيرا و32 جامعا و12 زاوية وقامت بتحويل جامع كتشاوة إلى كاتدرائية في 18 ديسمبر 1832م.

كما استولت على الأوقاف الإسلامية، وهذا رغم تعهد "دي بورمون" باحترام شؤون الدين الإسلامي في وثيقة الاستسلام التي وقعها الداي حسين، إذ أصدرت السلطات الفرنسية في سبتمبر 1830 قرارا أممت بموجبه أوقاف الممتلكات الإسلامية، أوقاف مكة والمدينة وكذا الحبوس الخاصة بالتعليم القرآني، وبمجرد حلول سنة 1844م حتى أصبحت معظم الأوقاف الجزائرية تحت إشراف السلطات الفرنسية، إذ أنها أصدرت يوم أول أكتوبر 1844م قرار ينص على أن الوقف لم يعد يتمتع بصفة المناعة، وانه أصبح يخضع لأحكام المعاملات المتعلقة بالأملاك العقارية وهذا يسمح للأوربيين بالاستيلاء على الكثير من أراضي الوقف التي كانت تشكل نصف الأراضي الصالحة للزراعة خلال تلك الفترة.

إن الإدارة الاستدمارية بضربها الأوقاف الإسلامية تكون قد وجهت ضربة قوية للتعليم العربي الإسلامي باعتبار الأوقاف الركيزة الأساسية لهذا التعليم، وقد كتب دي توكفيل في أحد تقاريره سنة 1847م واصفا هذا الأمر قائلا: «لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال - أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد لحاجات الإحسان والتعليم العام- ذلك بأن حولناها جزئيا عن استعمالاتها السابقة وانقضاء المؤسسات الخيرية، تركنا المدارس تتداعى وبعثرنا الحلقات الدراسية، لقد انطفأت الأنوار من حواسنا، وتوقف توظيف رجال الدين ورجال القانون وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا وأكثر فوضى، وأكثر جهلا، واشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا».

وسعت سلطات الاحتلال إلى تشويه القضاء الإسلامي، وأصدرت في ذلك جملة من القوانين منها قرار 28 فبراير 1841م الذي ينص على تحجيم دور القاضي المسلم، إذ نزعت منه سلطة إصدار الأحكام في الجنايات والجنح وأوكلت هذه المهمة للقضاء الفرنسي.

يضاف إلى القوانين التعسفية السابقة قانون 31 أكتوبر 1845م الذي ينص على مصادرة أراضي كل من يقوم بعمل عدائي ضد الفرنسيين، وكذلك قرار الحاكم العام الجنرال بيجو في 18 أفريل 1846م بمصادرة أراضي السور وأراضي الأعراش، وكان الهدف من وراء ذلك سياسيا قصد عزل الشعب عن المقاومة التي كان يقودها الأمير عبد القادر رحمه الله آنذاك.[1]

وللمرء أن يتساءل كيف وجدت فرنسا صعوبة في فهم "الإسلام الجزائري" اللهم إلا إذا كانت تعتبره إسلاما خاصا بالجزائريين وحدهم؟ إن بطش العسكريين بالمدنيين الجزائريين والوحشية التي انتهجوها في غلق أبواب المساجد، وفي مصادرة الأوقاف الإسلامية، وتهديم المقابر، وغلق الزوايا التي كانت تمثل المصدر الوحيد لتثقيف الشعب وتوعيته، جعل الجزائريين يبتعدون عن فرنسا وصعوبة بسط نفوذها بسهولة على الجزائر.

لقد حاربت فرنسا الإسلام في الجزائر بشتى الوسائل، فمنعت الكتاتيب القرآنية التابعة للزوايا من أداء رسالتها وقيدت نشاط الفقهاء، وأضعفت الركن الخامس من أركان الإسلام فحددت جوازات السفر الخاصة بالحج ومنعته.

ومن هذا المنطلق أصبح المرابطون "الطرق والجمعيات الدينية" العدو اللدود للإدارة الفرنسية، ونظرا للدور السياسي والعسكري الذي لعبته وضعتها إدارة الاحتلال تحت رقابة الشرطة المباشرة، كما عملت على سجن رؤسائها ونفي قادتها من أصحاب النفوذ والتأثير على الجماهير الشعبية، ونادى المعمرون من جهتهم بشل حركة هذه الجمعيات، فقد اتهمت الإدارة الفرنسية سنة

1- الغالي الغربي وآخرون: العدوان الفرنسي على الجزائر... الخلفيات والأبعاد، الجزائر، دار هومة، 2007م، ص ص 214-217.

86/377

1870م الطريقة التجانية بالمساعي المضادة للسيادة الفرنسية، ونفت شيخها إلى فرنسا إلى أن أطلق سراحه سنة 1881م.[1]

شيئا فشيئا اكتشف الفرنسيون أهمية الجمعيات الدينية في الحياة الجزائرية، ثم بدؤوا يساومونها لكي يضغطوا عن طريقها بقبضتهم على الأهالي، فبعد سقوط الحكومة الجزائرية لم يبق إلا الجمعيات الدينية كسلطة جزائرية ذات نفوذ، وكان لهذا الاكتشاف علاقة بثورة 1845م التي لعبت فيها تلك الجمعيات دورا حاسما.

وبعد هذه الثورة غيّرت فرنسا سياستها مع تلك المنظمات الشبه سرية، فاستعملت معها طريقة "فرق تسد" لكي يضعفوا ويمنعوا أي تحالف مستقبلا بين هذه الجمعيات ودخلوا ثانيا مع بعضها في مفاوضات انتهت إلى اعتراف فرنسا بسلطتها المالية والمعنوية لقاء محافظة الجمعيات المعنية على الأمن والنظام.[2]

ومع الاحتلال الفرنسي انحسر التعليم من المدن والمناطق البعيدة عن مراكز الاحتلال وانحسرت بذلك المادة الثقافية التي كان يتلقاها الأولاد في مدارسهم: "الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسيرة والتصوف والحساب...وعلم الفلك"، وانحسر عدد المدرسين بفعل الحرب والإرهاب والهجرة إلى الخارج ... ومع ذلك فإن الإدارة الاستدمارية أصدرت بتاريخ 18 أكتوبر 1892م مرسوما يقضي بعدم فتح مدارس عربية إلا برخصة من الحكومة وكان هذا المرسوم غطاءا لإغلاق ما تبقى من مدارس، حيث كانت الرخصة تشترط أن يكون طالبها "مخلص لفرنسا" وينتمي لطريقة مخلصة لفرنسا وبعد ذلك يشترط أن لا يزيد عدد

1- عبد الكريم بوصفصاف: التصوف في الجزائر المدارس والفروع، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، منشورات جامعة أدرار، المطبعة العربية، 2008 – 2009 م، الجزء الأول، ص ص 28-29.

2- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية في الجزائر 1900-1930، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1992، الجزء 2، ص ص: 63-64.

التلاميذ عن ثمانية وهناك رخص تفرض عدم قبوله أكثر من تلميذين في المدرسة.. وأن تجري الدروس خارج أوقات التعليم في المدارس العامة "الفرنسية".[1]

يذكر المؤرخ "شارل روبير أجرون" في كتابه "الجزائريون المسلمون وفرنسا": عندما يتكلم عن الازدواجية في معاملة رجال الدين والطرق الصوفية، والزعماء الروحيون وما يمثلونه من مؤسسات دينية، وتمسك الجزائريين بدين الأجداد: «... لم يكن من الممكن التراجع عن تقاليد راسخة في النفوس وفي نفس الوقت الذي شهد جهر الإدارة بحياد الدولة في المجالات الدينية، شهد أيضا إصرارها على الاستمرار في التدخل لتحقيق هدف واضح رغم تغطيته وهو إذلال وتدمير الإسلام أو على الأقل إحلال اللائكية في العقول.[2]

حورب الأئمة وشيوخ الزوايا ووضع حد لنشاطهم الديني والثقافي، وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة ونفي الكثير منهم وشردوا إلى مناطق نائية داخل البلاد، وأرغم البعض على الاشتغال بالجوسسة لصالح الشرطة الفرنسية، وتم إغلاق الكثير من الزوايا وتهديم البعض منها خاصة التي شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي.

والكتاتيب القرآنية والمعَمّرات أغلق الكثير منها بدعوى عدم وجود رخصة لها من إدارات الشرطة واستهدف رجالها بالملاحقات القضائية والمتابعات القمعية من طرف الشرطة والضباط والعسكريين ومصالح المخابرات السرية وشردوا وابعدوا.[3]

لقد أثبتت الزوايا والطرق الصوفية بحق، أنها جديرة بالدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية بأبعادها الإسلامية والعربية والثقافية، وأنها مثلت الملاذ الوحيد للشعب الجزائري إثر اجبار السلطة

1- صالح عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر 1830-1962م، الجزائر، مطبعة دحلب، الطبعة الثانية، 1992م، الجزء الأول، ص 212-213.

2- شارل روبير أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ترجمة م. حاج مسعود، وا. بكلي، الجزائر، دار الرائد للكتاب، 2007م، الجز الأول، ص 580.

3- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 140-141.

88/377

للحفاظ عليه من الاندثار مقارنة بقوة المستعمر الفرنسي، الذي جند جيوشا من العسكر وأخرى من المدنيين أخطرهم رجال الصليب وحملة لواء التنصير.

لقد كان للمبادئ التي غرستها المؤسسات الدينية وشيوخها الأثر في تربية الناس وحمعهم على الجهاد في سبيل الله بالسيف والقلم، بل يمكن القول أن الفضل يعود إليها بعد الله عز وجل في حماية الدين والوطن وما عانه منه رجالها ونساؤها من قمع وتهجير وقتل وهدم المؤسسات المساجد والزوايا فلم يثنهم ذلك عن مواصلة الكفاح والتضحية ونقل الرسالة جيلا بعد جيل.

المبحث الثالث: مساهمة الزوايا والطرق الصوفية في تبلور الفكر الاستقلالي الثوري.

1- المساهمة في إطلاق الوعي السياسي الشعبي

إن الرؤية المصالية ليست نابعة من مفاهيم نظرية بل هي انعكاس للشروط الموضوعية التي تعبر عنها، خلافا لبعض أنصاره، لم يكن مصالي يعير كبير اهتمام للمسائل الأيديولوجية، ولم يدع قط أدى دور المفكر السياسي، لقد كان أساسا رجل أعمال، أما مفهومه للعروبة والإسلام فيختلف عن مفهوم العلماء ويقترب أكثر من إسلام الطرق الصوفية.

إن انتساب الإسلام الشعبوي إلى الطرق الصوفية جعله يؤكد على تعبئة الجماهير واللجوء إلى العنف ورفض كل صيَغ التعاون مع العدو، مثله الأعلى في ذلك الجهاد في سبيل الله وقد كان يجاري تطلعات الشعب ولا يعارض معتقداته.(1)

ورغم اختفاء الأمير خالد وصحيفة الإقدام من الميدان فقد واصل زملاؤه المؤمنون برسالته والمعجبون بأفكاره نشاطهم وأخذت صحف التقدم، والإسلام و"المنبر" وغيرها، تنشر المقالات الطويلة في شرح أوضاع الجزائر وحالة شعبها بقيادة محرريها: الدكتور بلقاسم بن التهامي

1- محمد حربي: الثورة الجزائرية.. سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، الجزائر، موفم للنشر، 2006م، ص 125.

والصادق دندان، وفيكتور سيلمان، وساعدت هذه الصحف في نشر الوعي بين العمال الجزائريين الذين كثرت هجرتهم إلى فرنسا بعد الحرب.

وكان من بين المعجبين بحركة الأمير خالد عدد من العمال الجزائريين الذين يحملون ثقافة متوسطة وتتقدم في نفوسهم شعلة الوطنية، ودعا هؤلاء الإخوان إلى مؤتمر لعمال شمالي إفريقيا عقدوه في 07 ديسمبر عام 1924م ودرسوا فيه مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية وبرزت من خلال المؤتمر أفكار عديدة تدعوا كلها إلى تحقيق حرية القول والصحافة، والتجول للدعاية لصالح شمالي إفريقيا وإلغاء القوانين الأهلية الجائرة.

وتمخض عن المؤتمر تأسيس هيئة "نجم شمال إفريقيا" في بداية عام 1925 للدفاع عن مصالح العمال الأفارقة المرتبطة بالسياسة، والتي حوّلت وبسرعة هذه المنظمة إلى هيئة سياسية ابتداء من مارس 1926 وتولت الدفاع عن قضايا شمال إفريقيا العامة، وأسست "جريدة الأمة"، للتعبير عن أهدافها، وإبلاغ صوت شعوب المغرب العربي إلى ضمير الشعب الفرنسي، وأخذت منذ هذا الحين تظهر وتبرز فكرة الاستقلال لبلدان شمال إفريقيا والمطالبة بتحقيقه صراحة.

وفي عام 1933م عاد نجم شمال إفريقيا إلى الظهور تحت تسمية "نجم شمال إفريقيا الجليل" إثر ضغط السلطات الاستدمارية عليه وعقد أعضاؤه مؤتمرا للمطالبة بتحقيق إجراءات عاجلة قبل الاستقلال:

- إلغاء جميع القوانين الأهلية الاستثنائية وإصدار عفو عام على جميع المساجين السياسيين.
- إطلاق حرية التنقل في فرنسا وخارجها وحرية الصحافة والاجتماعات، وتأليف الأحزاب، والهيئات ونقابات العمال.
- تحقيق إجبارية التعليم العربي وجعل اللغة العربية رسمية في الدراسة، وإفساح المجال للطلاب الجزائريين لكي يلتحقوا بمختلف المعاهد والمستويات، واحترام تعاليم القرآن كمركز للشخصية

الإسلامية.

- تمكين الجزائريين من التمتع بكل الحقوق وقوانين العمل وتعويضهم عن البطالة.

وتجدر الإشارة إلى الشهادة التي أدلى بها "شكيب أرسلان" والتي كتبها بخط يده على إحدى البطاقات التضامنية الحاملة لصورة "مصالي أحمد الحاج": والتي يبعث تضامنا مع زعماء وحزب الشعب المحكوم عليهم بسنتين سجنا بعد محاكمة الحزب في 5 نوفمبر 1937 م، وجاءت في عبارة: «المجاهد الأكبر الأستاذ مصالي الحاج رئيس حزب الشعب الجزائري، سجين بربروس ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرر الإسلام منذ زمن طويل» "شكيب ارسلان".(1)

لقد تميز النجم بعرض برنامجه الوطني على الجبهة الشعبية: «إن سياسة الإدماج لا يمكن أن تتحقق لأنها منبوذة من طرف العقل والعدالة والتاريخ، والحل الوحيد هو الانعتاق الكامل لإفريقيا الشمالية» ندد النجم بسياسة الارتباط وبث الشعار "برلمان جزائري واستقلال" وكثف حملته ضد سياسة المؤتمر الاسلامي.(2)

ويتطرق مشروع بلوم-فيوليت إلى نقطتين جوهريتين وهما:

1- ارتقاء النخبة المسلمة إلى المواطنة الفرنسية وقدرت بـ: 21000 شخص.

2- ممارسة الأهالي لحقوقهم السياسية.

1- **إبراهيم مهديد**: نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب الجزائري 1926- 1936م، وهران، منشورات دار الأديب، الطبعة الأولى، 2007م، ص 111.

2- **محفوظ قداش**: جزائر الجزائريين، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 2008، ص ص، 314- 315- 317- 318.

وكان يعني هذا من ناحية تمكين "الأهالي الجزائريين" من الدخول للهيكل الانتخابي الموحد من الفرنسيين.

وفي هذا الإطار جند النجم صحيفة "الأمة" وكثّف من إصدار المناشير التي تدين محتوى مشروع فيوليت من الناحية الوطنية، ففي "عقيدة النجم" «أن اندثار مقومات الشعب الجزائري تبدأ من قبول المشروع الحكومي، فلذلك لا يمكن للشعب الجزائري أن يقبل تحت أي شكل كان محوه وذوبانه عن طريق الاندماج، فوحدة هذا الشعب بنفس اللغة والدين والعادات والتقاليد تفرض عليه أن لا يتنازل عن جنسيته –العربية الإسلامية- من أجل ورقة تصويت. لذلك فإنه سيبقى كتلة متراصة بجميع فئاته، سيقود الصراع المنظم لنزع حريته الوطنية».

ومن زاوية أخرى فإن توطيد حزب الشعب الجزائري، كان يعتمد بالدرجة الأولى، إما وطنيا أو محليا على نشر إيديولوجيته المستوحات من برنامجه السياسي وسط الجماهير الجزائرية للتعريف بمبادئ الحزب وأهدافه.

وإن كان نجم الشمال الإفريقي يطالب، إضافة إلى الحريات الديمقراطية، تأسيس جمعية تمثيلية تنتخب بالاقتراع العام، فإننا نجد فيما بعد حزب الشعب الجزائري يتمادى في مطالبه بتناوله، من جديد مسألة البرلمان الجزائري المنتخب بالاقتراع العام بدون تمييز عرقي أو ديني، كما أنه رفض من جهة ثاني سياسة الاندماج أو الفرنسة التي بنى عليها مشروع بلوم-فيولت، واعتبر رفض الاندماج والمطالبة بالتحرير من طرف حزب الشعب بين أفريل 1937م وحتى جويلية 1939م بمثابة الفكرتين القوتين في برنامجه السياسي.

ولقد نشر المكتب السياسي تصريحا عند تأسيس "الحزب" يوم 11 مارس 1937م فتناول فيه برنامجه السياسي؛ حيث أوضح: «أنه سوف يناضل حينا لتحسن الوضع المادي والأخلاقي في الجزائر... بدون تمييز عرقي أو ديني» موضحا: «أن لا اندماج، ولا تقسيم، ولكن تحرر... إن حزب الشعب الجزائري يرفض كل سياسة اندماجية... وهذه السياسة لا يمكن أن تتحقق لا قانونيا ولا سياسيا ولا تاريخيا... وبرفضه الاندماج سيعمل حزب الشعب الجزائري

لتحرير الجزائر كاملة».[1]

2- المساهمة في ثورة الفاتح من نوفمبر المباركة:

يمكن أن يساهم التصوف الإسلامي في ترسيخ الهوية الثقافية للأمة، وأن يدعم قضية الإيمان والعمل الصالح، وأن يقلل من الخلافات بين الفرق والأحزاب، وأن يساهم بما فيه من زهد معتدل –على تحسين الوضع الاقتصادي، بالتقليل من الاستهلاك والإسراف والتركيز على الإنتاج المفيد النافع، ويستطيع التصوف أ يساهم في دعم الثورات، كما حدث في الجزائر مع ثورة الفاتح من تشرين الثاني نوفمبر 1954م حيث وقفت الكثير من الزوايا موقفا إيجابيا من الثورة، ودعمتها بالمال والرجال والسلاح والإيواء، وهم عمل استراتيجي بتعزيز الثورة ودفعها إلى الأمام.[2]

لقد اعتلى مذكرات حسين آيت أحمد إهداء قدمه إلى المرأة الجزائرية حارسة الثقافة الشعبية، وصاحبة الدور الفعال في تثبيت الشخصية والمقاومة الجزائرية، والى المناضلين والمناضلات.

ويتحدث أيضا عن إسلام الطرق الصوفية الذي كان الأفضل بالنسبة لهم، والذي كون فيهم الوعي الشخصي، وروح المسؤولية والتضامن الاجتماعي.

ويختم مذكراته بالحديث عن بدء سبيل الثورة والذي كان يتضح أمامه، بالآمال التي تتنامى في شعب مقاوم من اجل استقلاله.[3]

إن الذين أشعلوا فتيل الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954م، خرجوا من صلب الجزائر العميقة، عاشوا محنها ومآسيها، وعرفوا آلامها وأمانيها، وخبروا قدراتها البشرية، ومخزونها التاريخي الحضاري، واقتنعوا أن لا خلاص لهم من محنتهم إلا التمسك بالعروة الوثقى، بأصالتهم وقيمهم

1- **إبراهيم مهديد:** المرجع السابق، ص ص 76- 90، 103- 104.

2- **عبد الكريم بوصفصاف:** التصوف في الجزائر المدارس والفروع، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ص 8- 9.

3- Hocine **AIT-AHMED**, memoire d'un combatant l'esprit d'independance 1942-1952, alger, edition barzakh, Décembre 2009, p p .7-10-227.

الدينية، وثوابتهم الأخلاقية والوطنية؛ ونفض الغبار على الترصبات الذي أحدثها ليل الاستدمار الدامس، وتفعيل منجم الإرث التاريخي وتحريك وتنشيط الهمم.

وجاءوا بكلمة "الجهاد" مصطلحا، وعمموا مرادفتها ومشتقاتها "الأخ، الشهيد، الفدائي، الله أكبر" في أي عمل يريدون إنجازه.

وردا صريحا وواضحا على ادعاءات السلطات الاستدمارية وتخبطها في تحديد هوية الثورة الجزائرية بوصفها تمرد، عصيان، غليان، أعمال شغب...، ولو جاءت جبهة التحرير الوطني بغير هذا لما اجتمع الناس حولها، واعتبروها ضربا من ضروب التنافس السياسي العقيم الذي طبع الحركة الوطنية في تلك الفترة.(1)

إن مصطلح الجهاد والمجاهد والشهيد وحب الاستشهاد قد استعملت من قبل شيوخ الزوايا وعلمائها لدفع أعضائها للقتال والدفاع عن الأرض، وتداولتها ثورة أول نوفمبر مستلهمة من التجربة التاريخية لنضال الشعب الجزائري ضد الوجود الاستدماري طوال فترة الاحتلال انطلاقا من أن للثورة الجزائرية بعدا شعبيا، ذلك البعد الذي أعطاها القوة المحركة المتواصلة، باعتبار أن القواعد الشعبية هي المحرك الرئيس لها. فالتف الجزائريون باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية، والعقائدية، فنجد العدد الكبير من أعضاء الزوايا ومعلميها ومحبيها وأساتذتها وطلبتها قد شاركوا في الكفاح المسلح. ومن أهم ما يجب ذكره هنا أن الكثير من مناضلي الحركة الوطنية والثورة الجزائرية قد تعلموا في مدارس أبجديات القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم قبل الالتحاق بمدارس جمعية العلماء أو المدارس الفرنسية. ألم ينتسب مصالي الحاج إلى الطريقة الدرقاوية في شبابه؟ ألم يعش آيت أحمد في بيئة دينية تقليدية، فقد كان جده الشيخ محمد الحسني المتوفى سنة 1901م مرابطا وأحد شيوخ الطريقة الرحمانية. ألم يترعرع الرئيس السابق أحمد بن بلة في وسط ديني محافظ، فقد كان والده مقدم الطريقة المكحلية في مدينة مغنية، إن أتباع الزوايا لم يترددوا في الالتحاق

1- الهادي أحمد تمام درواز: صقور الصحراء، الجزائر، دار هومة، 2006م، ص ص 13- 14

بالثورة وتدعيمها بكل الإمكانات المتاحة لديهم. ومن المواقف المشرفة لأفراد وأسرة الهاشمي شريف شيخ الطريقة القادرية بواد سوف ما قام به أحد الأبناء حين تورع بقصر الباي بتونس الذي اشتراه عام 1946م إلى الثورة التحريرية حيث رفع فيه علم الجزائر ونصبت فيه أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية.(1)

لم تجد فرنسا في مواجهتها إلا المؤسسات الطرقية بعد انهيار سلطة الحكم وعجزها عن المقاومة، حيث خلفت الزوايا أنظمة الحكم هذه وعمّرت الفراغ الذي تركه انهيارها لغاية اندلاع ثورة أول نوفمبر والدور الذي لعبته الزوايا بإمدادها بفلول المجاهدين بفضل ما كانت تحتوي عليه التشكيلة البشرية التي كانت تضمها في صفوفها من ذلك أن مصالي الحاج أبو الحركة الوطنية ينتمي إلى الزاوية العلوية، والحسين آيت أحمد يفتخر بانتسابه للزاوية الرحمانية. كما أن أحمد بن بلة يقول عن نفسه في إشارة إلى اعتزازه بانتمائه الطرقي أن الأوراد والذكر لا يزال رنينها في أذنه وكذلك الشأن بالنسبة للعقيد لطفي وغيرهم كثير.(2)

ومن أهم أدبيات الثورة التحريرية والتي استخلصت العبر من الماضي، نجد بيان أول نوفمبر الخالد، الذي يؤكد على إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية، ومعنى هذا أن الموقف الوطني بقي ثابتا رغم البعد الزماني، والذي لم يهضم فكرة اختفاء الدولة الجزائرية أبدا. لقد ظلت فكرة استرجاع الجزائر تعتمل وتختمر في الوجدان الوطني منذ إلغاء الكيان الدولي للجزائر يوم 05 جويلية 1830م، ذلك أن الجزائر لم تستسلم في نظر الجزائريين لمجرد الانهزام في معركة اسطوالي وتسليم مفاتيح القصبة لأن الكيان

1- محمد مجاود: دور الزوايا في المقاومة والثورة التحريرية، أعمال الملتقى الوطني الثاني: دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، تلمسان 03-04 جوان 2006م، الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، ص ص 162- 163.

2- محمد مكحلي: دور الزوايا الإصلاحي في تحضير ثورة التحرير، أعمال الملتقى الوطني الأول: دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، وهران 30- 26 ماي 2005م، الجزائر منشورات وزارة المجاهدين، 2007م، ص 281.

الجزائري الدولي كان قائما عشية العدوان الفرنسي، وكان للجزائريين الشعور الوطني المشترك بالمقومات القومية للأمية.

ومما جاء عن "جيش التحرير الوطني" في وثيقة الصومام 20 أوت 1956م أن هذا الجيش يتمتع بالحب العميق للشعب الجزائري والتأييد الشديد، والتضامن الفعال، إذ أن نشاط جيش التحرير الوطني قلب الجو السياسي وأيقظ الشعب، وخلصه من روعه وأزال عنه ريبته، وبعث في الجزائريين الشعور بكرامة القومية. وكوّن اتحادا روحيا وسياسيا بينهم فحصل ذلك الإجماع الوطني الذي يغذي الكفاح المسلح ويجعل انتصار الحرية حتما لابد منه. من أجل هذا شرعت جبهة التحرير الوطني –وكانت موفقة– في تعبئة جميع العزائم الوطنية.[1]

الزوايا مؤسسات دينية وتعليمية معترف بها، فهي بيوت للعبادة والعلم واستقبال الغرباء، وكثير منها كان يقوم بالتعليم وإقراء القرآن. ومعظم الزوايا التي كانت تقوم بهذا الدور كانت في الأرياف والمناطق النائية، وهي التي كانت تقدم الغذاء الروحي للشعب أمام الجفاف الذي عانت منه التربية والتعليم طبقا للثقافة العربية الإسلامية، وهي التي حافظت على مصادر التراث الوطني كالمخطوطات، وكانت تستقبل أفواج التلاميذ الذين لم يجدوا مكانا لهم في المدارس الأهلية "فرنكو ميزولمان" أو الذين لم يرغب آباؤهم في إرسالهم إلى هذه المدارس. أما الغذاء الروحي المحض فكانت الزوايا تقوم به باستقبال "المقدمين" والمريدين وإنشاد الأذكار وإقامة الحضرة و"الزردات" (الولائم) التي هي تجمعات للتعارف والإعلام والتجنيد والتمويل. كما كانت الزوايا تقوم بدور اجتماعي هام هو الإصلاح بين الناس والمحافظة على الاستقرار الذي هو من أساس السلم الاجتماعي والإنتاج الاقتصادي. وقد صدق من أسماها "حراس الظل" لأنها حافظت على الهوية والثقافة الوطنية دون ضجيج ولا ادعاء.

1– إبراهيم مياسي: لمحات من جهاد الشعب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، ص ص 321، 323– 324.

حقيقة إن الفرنسيين حاولوا توظيف الزاوية لتحقيق مآرب سياسية خاصة بهم ولكن الزاوية كانت أيضا تستفيد منهم المحافظة على دورها الاجتماعي والعلمي والاقتصادي. وقد بقيت الزوايا مؤسسات فاعلة طيلة عهد الثورة ولعب بعضها دورا إيجابيا لصالح الثورة رجعت به إلى سالف عهدها في المقاومة، ولذلك عانت التخريب والاضطهاد، واضطر بعض زعمائها إلى الاغتراب وانظم مريدوها إلى الثورة وأبلوا فيها البلاء الحسن.

يتساءل الدارسون لتاريخ الثورة عن موقف رجال الطرق الصوفية، ونحن إلى الآن لم تدرس هذا الموضوع دراسة علمية تاريخية ولم نجد من سلط عليه الأضواء الكافية، ولكننا وجدنا بعض المواقف المتحمسة أو المحسوبة على الاتجاه الإيجابي.

فبعد مرور سنتين على الثورة وجهت ثلاث زوايا برقية إلى رئيس الحكومة الفرنسية تطلب الاعتراف بالجنسية الجزائرية. وهذه الزوايا هي: الزاوية السحنونية في بني وغليس وشيخها هو محمد السعيد الشريف أمقران، وزاوية تومليكين في تغزيرت وشيخها محمد الطاهر آيت عيسى، وزاية سيدي منصور في أزفون وشيخها محمد الشريف الضاوي. وجميع هذه الزوايا ترجع إلى الطريقة الرحمانية، وكلها أيضا في القبائل، إن هؤلاء الشيوخ طالبوا رئيس الحكومة "جي موليه" قائلين إن سياسة الاندماج لا يقبلها المسلمون لأن لهم دينهم وتاريخهم وذاتيتهم... أما الحل فيكمن في الاعتراف بالجنسية الجزائرية لمصلحة الجميع، وفي نظرهم أن هذا لا يتنافى مع الصداقة بين الجزائر وفرنسا.

والملاحظ أن هذه البرقية أرسلت بعد اشتداد الثورة، وبعد أن طلبت الجبهة من الجميع اتخاذ مواقف صريحة وواضحة، أثناء التحضير لعقد مؤتمر الصومام.

وصاحب الزاوية السحنونية هو محمد السعيد الشريف السحنوني، كما قلنا، وهو من زعماء الطريقة الرحمانية، ووالد أخينا علي مقران السحنوني، وقد اشتهرت هذه الزاوية بالعلم والكفاح في حوض الصومام. وجد العائلة هو السعيد أمقران الذي قاوم الاحتلال أثناء ثورة 1871م واستشهد في بني براثن "ئات براثن" ومن هذه العائلة محمد وعلي السحنوني اللذان شاركا

في الثورة المقرانية وحكم عليه بالنفي من الجزائر، ثم هرب إلى الحجاز "للمدينة المنورة" وفيها تزوج وتوفي.

أما الشيخ محمد الشريف السحنوني المعاصر لثورة نوفمبر فقد فكر عند اشتداد الضغط عليه، في الهجرة بعائلته إلى الحجاز، وتعرض للتعذيب والإهانة والتشريد، ولم يجتمع شمله بأسرته إلا بعد الاستقلال، فدخل السجن عدة مرات آخرها سنة 1958م حين ألقوا عليه القبض في منزله بسطيف، وتعرضت زاويته في "تعراست" لهجوم عسكري خرب الزاوية وما فيها، وكان عدد طلابها حوالي خمسين "50" طالبا فساقوهم إلى السجن حيث عذبوا وأهينوا.[1]

لقد تميز الشيخ محمد بلقايد "رحمه الله" بشدة مناهضته للاستدمار ومناصبته العداء منذ طفولته ذلك لأنه نشأ في أسرة تميزت بأصالتها العربية وشدة تمسكها بها، فلما اندلعت ثورة التحرير المجيدة كان رحمه الله في طليعة المنخرطين في صفوف جبهة التحرير الوطني مع المجاهدين الأوائل واتخذ من الزاوية الهبرية التي كان شيخا عليها ملجأ للمجاهدين، وقد تفطنت السلطات الاستدمارية لذلك فضيقت الخناق على الشيخ ثم أقدمت على غلق الزاوية، فنقل الشيخ محمد بلقايد نشاطه إلى مسجد سيدي بن مرزوق، واتخذ منه مقرا للتربية الجهادية ومركزا لتخزين الأسلحة وتكوين المجاهدين والفدائيين من الطلبة والمريدين فصارت الزاوية مدرسة لتخريج المجاهدين، منهم الزعيم البطل المجاهد "ابن عمرو بن دلهم" الذي كان أول شهيد يسقط في ميدان الشرف عام 1955م بمنطقة مغنية، وهو رحمه الله بن مقدم الطريقة الهبرية بها. أما أول شهيد من الطريقة البلقائدية الهبرية فهو المجاهد "أحمد بلقايد" الذي استشهد عام 1956م بتلمسان.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمر لم يقتصر على تكوين الرجال وإعدادهم لمقاومة الاستدمار فحسب، بل أن الزاوية تعدى دورها إلى تكوين النساء أيضا، فتلك السيدة الفاضلة والمجاهدة

1- **أبو القاسم سعد الله**: تاريخ الجزائر الثقافي، مرحلة الثورة 1954- 1962م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الطبعة الأولى، 2007م، ص ص 45- 46، 604- 605.

لطيفة بلقايد بنت محمد الصغير التي التحقت بالجبل وانخرطت في صفوف جيش التحرير بمنطقة سعيدة وكان والدها مناضلا في حزب الشعب.[1]

تتضح أهمية الزوايا في المحافظة على الوحدة الوطنية، الوحدة الترابية للجزائر خاصة في 1960م، فلقد حاول الضابط "ميشال دوبرمون" في منطقة الهقار ان يلملم شتات التوارق وإقناعهم بمحاولة الانفصال عن الجزائر، يعني إقامة دولة التوارق تبدأ من الأغواط وتمتد على حدود توقرت وورقلة وتشمل كذلك جانبا من الحدود الغربية لليبيا وشمال النيجر ومالي كذلك، ومحاولة فصل الصحراء الجزائرية عن الوطن الأم، وحاول الضابط "دوبري" أن يقنع الحاج الباي أخامون في تمنراست أن يكون هو رئيس هذه الدولة التي نعتوها بالإسلامية طبعا لماذا؟ لأن التوارق كان لديهم امتداد روحي، وولاء كبير لزاوية ملاهبة بإقليم تيديكلت، ولكن الحاج أخامون نظرا لتربيته الروحية رفض هذا الطرح وقال مقولته الشهيرة: " أنا جزائري وبنالي ما بنال الجزائريين"، وبعد مفاوضات عسيرة، حيث استقبل شخصيا من طرف الرئيس "ديغول" صرح الحاج أخامون قائلا: «أريد شيئا واحدا وهو عدم الانفصال عن الجزائر»، يعني البقاء على الوحدة الوطنية لماذا؟ لان زاوية الملاهبة كانت تربطها علاقات ممتازة مع هذا الباي، خاصة الهباوي والوالي الذي كان ينشط في منطقة "تيت" بتمنراست وتجمعه علاقات كبيرة مع خلية جبهة التحرير الوطني بشمال مالي.[2]

وجدت المنطقة الرابعة عند اندلاع الثورة التحريرية المباركة في زاوية الوزانة،- والتي تعد من أبرز الزوايا في محيط متيجة والجزائر والعاصمة- ، وجدت كل الدعم وبدون تردد، والفضل يعود إلى الشهيد والعقيد بوقاسمي الطيب الملقب بالشيخ الطيب الجغلالي الذي كان من حفظة القرآن

1- الحبيب بن عودة: دور الزوايا والطرق الصوفية أثناء ثورة التحرير الكبرى، الملتقى الوطني الأول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، ص ص 152-153-155.

2- أحمد الحميدي: دور زوايا منطقة توات في ثورة التحرير بالجنوب الكبير، الملتقى الوطني الأول: دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المرجع السابق، ص ص 185-186.

الكريم، ومثله العقيد علي ملاح، سي الشريف، وتنظيمه للمنطقة كان منذ سنة 1947م وخاصة في المنطقة الممتدة من عين الدفلة إلى زكار بشرشال، إلى متيجة، وتابلاط، وبني سليمان، والمدية كما يعود الفضل إلى أهلها وخاصة شيخها الطيب الوزاني الذي وجدت فيه القيادات الأولى لطلائع جيش التحرير الوطني وفي زاويته كل الدعم والإسناد الروحي والمادي. وعند دخول الفرق الأولى لجيش التحرير الوطني خاصة بالجبال وهذا منذ مطلع سنة 1955م سعى الشيخ الطيب الجلالي إلى توزيعها من المدية والبليدة إلى زاوية الوزانة على بعض العائلات التي كان يثق بها، هذا وقد أدت الزاوية دورا كبيرا في عملية الدعم اللوجيستيكي وخاصة التموين، إذ سعى سكانها للتبرع ولو بالقليل من الطعام والدواء لجيش التحرير وهذا قبل بدء عملية الاشتراك " 3 Franc".(1)

عندما نتناول الطرق الصوفية وعلاقاتها مع الاستعمار الفرنسي، يجب التأكيد على أن قراءة تاريخ هذه الطرق يعتمد على التحرر من كتاب " قزافيه xavier" و"كابولاني capolani" اللذان حاولا الإساءة إلى الطرق الصوفية بتأليف كتاب في ذلك سنة 1890م، والأمر ليس هذه الفكرة، أن الطرق والزوايا فيها قلوب الرحمة وفيها الروحانيات وفيها أسرارها. والقادة في الطرق والتصوف هم بحر، لذا يجب أن نكون حذرين لأن الفرنسيين وخاصة سفاراتهم كانت مجندة مكتبا خاصا للاختراق والتشويه، ولكن رغم ذلك فإن التراث الروحي استطاع أن ينجو من القبضة الإستخباراتية والإدارية الفرنسية وان سقط بعض من البشر في هذا الأمر، ودليل ذلك أن هذا التراث واصل سقي الذاكرة وسقي القلوب ونحن حوله الآن مجتمعين لأنه تراث انجابي وهو جزء منا لأن ذاكرة الأجداد صنعت الكثير منه.(2)

1- **عبد العزيز بوكنة**: دور زاوية الوزانة في دعم الثورة التحريرية، الملتقى الوطني الثاني: دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المرجع السابق، ص ص: 234-235.

2- **محمد طيبي**، المساندة الروحية للحركات الجهادية في الجزائر، الملتقى الوطني الثاني: دور الزوايا ابن المقاومة والثورة التحريرية، المرجع السابق، ص: 32.

إن وضع الزوايا وأهلها من أصحاب الطرق الصوفية في امتحان عصيب –كالذي وضعوا فيه ابتداء بالمقاومين الأُوَائل وحتى ظهور الحركة الوطنية بتشكيلاتها المختلفة، وصولا إلى إعلان بداية الكفاح المسلح ضد العدو الغاشم –إن وضعها في الامتحان هذا أبان على أن هذه المؤسسات العتيدة كانت جديرة بالمسؤولية التي أنشئت من أجلها، والتي من بينها حماية مقومات الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية، إذ ومنذ الوهلة الأولى لاندلاع ثورة الفاتح المباركة كانت الزوايا وطلبتها ومريديها، ومن قبلهم شيوخها قد وهبوا أنفسهم فداءا لهذا الوطن، وإن تعددت طرق المشاركة فقد أوصل هذا الجهد المعتبر إلى استقلال الجزائر.

الجلسة الثانية

علماء الإحياء الديني بمنطقة جيجل وإسهاماتهم في بعث الوطنية الجزائرية

رئيس الجلسة/ أ. يوسف صوكو

أ. رابح زغدان

مدير الثقافة متقاعد

دور علماء جيجل ومشايخها
- في تأسيس الحركة الجمعوية والمدارس الحرّة -

إن التاريخ هو المعيار الوحيد الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل. هو ذاكرة الشعوب وزاد الأمة الذي لا يفنى. والشعب الذي لا ذاكرة له ... لا يستطيع أن يبني حاضرا مزدهرا أو يتطلع إلى مستقبل واعد. ولعل أخطر ما يهدد مسيرة الأمم هو سيادة ثقافة النسيان، وعند الحديث عن تاريخ جيجل الثقافي ينبغي علينا التوقف عند أعلامها وعلمائها ورجال الإصلاح بها والمؤسسات والجمعيات الثقافية.

إن مرحلة نهضة الوعي القومي خاصة الإصلاحي منه ممثلا في الزيارة التاريخية للمصلح العظيم العلامة **الشيخ محمد عبده** سنة 1903 للجزائر، ووصول نسمات التحرر الفكري

والعلمي من كبار علماء الأمة الإسلامية أمثال العلامة **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأحمد أمين وعبد الحميد بن باديس** وغيرهم من العلماء، وبروز الماجدين الثلاثة وهم نادي الترقي بالجزائر وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونجم شمال إفريقيا، ثُلَّتُهم فيما بعد النهضة السياسية والإعلامية التي شهدتها الجزائر بعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

جيجل لم تكن بعيدة عن ذلك رغم أن الجزائر أمة من الأمم وقع عليها الاحتلال وعمل على إدماجها بكليتها ذاتًا وأخلاقًا ولغة ونظامًا في قبضة المحتل، وأصبحت وإياه جزءا واحدا كما يراها هو أي المستدمر الفرنسي، وكان ذلك مخالفا لنواميس الطبيعة وسنن الله في كونه ولن تجد لسنة الله تبديلا، فالجزائر سواء أحرزت أو لم تحرز على الحقوق السياسية ستبقى رغم كل شيء جزائرية إسلامية ولن تتقدم ولن تنهض من كبوتها إلا على طريق الجزائرية والعروبة والإسلام، وهو ما خلصت إليه المقاومة الشعبية وثورة أول نوفمبر المجيدة (1954-1962).

لقد كانت منطقة جيجل في خضم ذلك كله معطاءة، وبرز منها رجال من علماء الإصلاح والسياسة والجهاد، كان لهم الدور الكبير في المقاومة الوطنية ومحاربة الشرك والطغيان وتربية الأجيال وبناء الوطن الجزائري، ومنهم:

- **العلامة الشيخ مبارك الميلي (1898-1944)**: هو مبارك محمد الهلالي الميلي (نسبة إلى الميلية)، والذي يعد من أبرز الكتاب في العصر الحاضر علاوة على أنه من كبار المؤرخين وأحد المصلحين المخلصين، من آثاره الجليلة كتاب (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) وكتاب (رسالة الشرك ومظاهره)، عضو مؤسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كتب عدة مقالات في صحف مختلفة كالمنتقد والشهاب والبصائر، يمتاز في تعليم طلبته بدقة التحليل وعمق التفكير حتى أطلق عليه لقب (فيلسوف الحركة الإصلاحية).
- **الشيخ محمد الطاهر ساحلي الجيجلي (1904-1990م)**: هو محمد الطاهر ساحلي بن

صالح بن أحمد، ويعد من رجال الإصلاح، كرس حياته لخدمة العلم والتربية والإمامة، برز نشاطه التعليمي بمدينة جيجل بعد مساهمته في بناء (مدرسة الحياة) إلى جانب المحسن بن خلاف وبعض الأعيان من سكان المنطقة السباقين للانضمام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فنعم المعلم والإمام والمجاهد الذي كرس حياته لخدمة هذا الوطن والحفاظ على الهوية الوطنية، وكثيرا ما كان يردد الشيخ قبل وفاته فيما معناه: (لقد قضيت 60 عاما في الجهاد الأكبر ألا وهو تربية النشأ وإمامة المصلين) وتخليدا له أُطْلِقَ اسمه على المسجد العتيق لمدينة جيجل.

- **الشيخ بلقاسم بن منيع التاكساني (1875-1954م)**: هو بلقاسم بن عبد الله بن بوجمعة بن منيع، يعد من الرواد المدافعين عن الشخصية الإسلامية الجزائرية، فهو شاعر وفقيه ومدرس بمسقط رأسه تاكسنة. ألتحق بزاوية سيدي حسين القشي مدرّسًا، وحجّ بيت الله الحرام رفقة عدد كبير من رجال الدين والإصلاح منهم الشيخ أحمد لحبيباتني ومحمد الطاهر ساحلي وغيرهم سنة 1933م، كان للشيخ اهتمام كبير بالشعر، فنظم أشعارا في مختلف الأغراض كالمديح والشوق لمكة المكرمة والمدينة المنورة والرثاء ..إلخ، وهو خريج جامع الزيتونة كرس حياته لنشر العلم بين أبنائه وانتصب للتدريس وكان يجتهد لتحفيظ القرآن الكريم وعلوم الدين لتلاميذه وجمهوره وجعل من أهدافه الكبرى إنشاء مرافق تعليمية وتعبدية فكان لا ينزل قريةً إلا ويدعوهم إلى تلاوة كتاب الله، أو بناء مسجد يذكر فيه اسم الله، وكان يعتبر إنشاء المساجد والكتاتيب مظهرا من مظاهر تماسك المجتمع، وظل الشيخ بلقاسم بن منيع على جهاده في ميدان التربية والتعليم والإمامة والإصلاح الاجتماعي والإرشاد الديني، خلف من ورائه علماء رفعوا رايته ومن أشهرهم محمد الطاهر ساحلي ومحمد منيع وأحمد بورزاق ومحمد العربي بن التباني وسليمان بشنون ولخضر علاوة شهير ..إلخ وتكريما له وتقديرا للخدمات الجليلة التي قدمها للمجتمع أطلقت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف اسمه على المسجد الذي أسسه ودرّسَ فيه بمقر بلدية تاكسنة، وبذلك سُجّل اسمه في سجل الخالدين بالذاكرة الجماعية للأمة.

- **الشيخ محمد الصالح بن عتيق (1903-1993م)**: هو محمد الصالح هيدوك الشهير بابن عتيق (نسبة إلى دوار العتقة بالميلية)، هو العالم العامل والمؤدب اللبيب والخطيب البارع والمصلح الثائر. بحيث كان للشيخ مكانة كبيرة ضمن رجال العلم ورجال الثورة، مكانته عظيمة في قلوب الناس، وضع النواة الأولى لبناء مدرسة بالميلية ومن المنخرطين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقام بالإمامة والوعظ والإرشاد في عدة مدن جزائرية وبالمهجر، ساهم في بناء عدة مدارس واعتقل وسُجن إبان الثورة التحريرية المباركة، واصل نضاله بعد الاستقلال في التدريس والإدارة وكان عضوا نشيطا بالمجلس الإسلامي الأعلى بإلقائه الدروس والمحاضرات والخطب بمختلف جهات الوطن. الرجل في رحلته التعليمية بعد الكتاتيب وزاوية الشيخ بورصاص ثم الشيخ الزواري ثم الشيخ بن زقوطة بقسنطينة، التحق فيما بعد رفقة بعض زملائه بالجامع الأخضر أين انخرط في سلك تلاميذ ابن باديس وتعلم علوم العربية والتاريخ والفقه والتوحيد وغيرها من علوم عصره، وتأثر كثيرا بدروس الشيخ مبارك الميلي حتى كان لا يكاد يفارقه. ثم ارتحل إلى تونس للدراسات العليا سنة 1927م حيث تحصل على شهادة التطويع العالمية. عاد إلى أرض الوطن والانخراط في حركة الإصلاح وصفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والعمل تحت لوائها في ميدان التربية والتعليم والدعوة والإرشاد، أرسله ابن باديس فيما بعد إلى مدينة بني عباس سنة 1935 ليقوم بوظيفة الإمامة والوعظ والإرشاد هناك حيث أسس مدرسة للتعليم بمساهمة أعيان المدينة وتولى إدارتها، أرسله فيما بعد بن باديس للعمل خارج الوطن والهجرة إلى فرنسا للمساهمة في تعليم الجالية الجزائرية بالخارج، فساهم هناك في إنشاء المدارس والأندية وإلقاء الدروس والمحاضرات الدينية، ثم عاد إلى أرض الوطن وانتقل إلى عدة مدن جزائرية للتدريس بما مثل البرج وسكيكدة والميلية وقسنطينة والبليدة وتيهرت ...إلخ. واستمر نضاله بعد الاستقلال في عدة مناصب إدارية بوزارة الشؤون الدينية وفي قطاع التعليم وبصفته عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى ومقرر لجنة الفتوى، ومن أبرز آثاره المكتوبة المذكرات التي طبعها في الثمانينات في كتاب تحت عنوان (أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية الجزائرية) وأعيد طبعها في الأونة الأخيرة، وعدة مقالات صحفية

وأبحاث ومحاضرات وتعد حياة الرجل طويلة ومليئة بالكفاح والنضال هذا هو الشيخ محمد الصالح بن عتيق الذي شهد له وأشاد بأعماله الشهيد العقيد عميروش والشيخ أحمد حماني والشهيد سويداني بوجمعة والشهيد عيسات إيدير..إلخ

- **الشيخ محمد الزاهي الميلي (1904-1960م)**: هو محمد بن عبد الله الزاهي الميلي (نسبة إلى الميلية)، كرس حياته في خدمة العلم والإصلاح في (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، اشتغل بالتجارة وعمل مدرسا في التعليم، فأسس مدارس وجمعيات وعُرِفَ برحلته من باريس إلى قسنطينة أين التحق بصفوف الثورة المجيدة للجهاد، كُلِّفَ من طرف جيش التحرير الوطني بالتوجيه والتنظيم والشؤون العامة، كما عُهِدَ إليه تنظيم لجنة العدل بالولاية التاريخية الثانية بالمنطقة الثانية أين سقط شهيدا بمعركة زياغة بمنطقة أولاد علي بنواحي الميلية، فكان مثلا يحتذى به في طلب العلم والشهادة في سبيل الله والوطن، كتب عدة مقالات في عدة جرائد كالبصائر والشهاب ...إلخ.

وعن رحلته التعليمية بعد تعلمه في الكتاتيب بمسقط رأسه، انتقل إلى مدينة ميلة أين تعلم مبادئ العلوم العقلية والنقلية وإتقان حفظ القرآن الكريم، رفض التجنيد الإجباري وارتحل إلى تونس لطلب العلم وانتسب هناك إلى جامع الزيتونة لمواصلة الدراسة فيه وذلك عام 1927م رفقة أسماء لامعة تخرجت من جامع الزيتونة منها محمد الصالح بن عتيق ومحمد الطاهر الجيجلي وعبد القادر الياجوري والصديق سعدي والطاهر تليلي ...إلخ. بعدها سافر نحو المشرق وعرج على القاهرة ودخل فلسطين ثم رجع من رحلته إلى أرض الوطن سنة 1935م، أين كرس حياته لخدمة العلم وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانتصب للتدريس بمدينة حجوطثم انتقل إلى المهجر رفقة الشيخ الفضيل الورتلاني ومحمد الصالح بن عتيق والسعيد صالحي وحمزة بوكوشة والهادي السنوسي وسعيد البيباني، وكان الشيخ محمد الزاهي يتقن الفرنسية كتابةً ونطقاً بطريقة عصامية، فكان يشرف على نادٍ بناحية من نواحي باريس واستمر هناك إلى سنة 1939م. عاد بعدها إلى قسنطينة واشتغل بمهنة التجارة والتعليم فأسس مدارس وشكل الجمعيات وساهم بفتح الشُّعَب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودرس بمعهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة، ومن أشهر

المتخرجين على يديه الدكتور أبو العيد دودو والأستاذ حسين كرواش والأستاذ أحمد ثنيو. وتكريما له وتخليدا لنضاله وجهاده أطلقت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف اسمه عن المسجد المركزي لبلدية العنصر ولاية جيجل. وقد شهد له الشيخ أحمد حماني فقال فيه: (قبل أن يكون مرشدي فتح لي قلبه فرأيت فيه الصفاء والمودة والإكبار فأعجبت به وبخلقه) وقد كتبت الشهادة لهذا الشيخ الجليل في ثورة أول نوفمبر المباركة.

- **العلامة الشيخ أحمد حماني (1915-1998):** هو أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني جده محمد أحد تلامذة الشيخ أحمد لحبيباتني، كرس حياته للعلم والجهاد والعمل، ساهم في الحفاظ على الهوية الوطنية للشعب الجزائري وصاحب الجهود الإصلاحية والفتاوى المرجعية ومدرس الأجيال ومجاهدا إبان ثورة أول نوفمبر المباركة، انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكتب في عدة جرائد مختلفة، سجن إبان الثورة التحريرية وترك إرثا ثقافيا بالمكتبة الجزائرية، كما تقلد منصب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى. في خضم ذلك كان نشيطا في حياته العلمية بحيث انتقل من مسقط رأسه إلى قسنطينة سنة 1930م وحفظ القرآن بجامع سيدي محمد النجار ثم درس بالزاوية الطيبية والزاويات العيساوية في سنة 1931م. انخرط الشيخ حماني في سلك طلبة الإمام عبد الحميد بن باديس لمدة 03 سنوات فدرس بجامعة الأخضر النحو والصرف والأدب والفقه والتوحيد والتفسير فأتقن بتفوق المبادئ الأولى في الدين والعربية والسلوك. ارتحللطلب العلم الى تونس فانتظم في سلك طلبة الجامع الأعظم بالزيتونة لمدة عشر سنوات فتحصل على الأهلية ثم التحصيل ثم العالمية. كان شديد الارتباط بجماعة الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكتب بجريدة الشهاب والبصائر كما انتخب أمينا عاما لجمعية الطلبة الجزائريين بتونس بجانب المرحوم الأستاذ الشاذلي المكي، وبعد عودته إلى قسنطينة سنة 1944م عين أحمد حماني على رأس إدارة معهد عبد الحميد بن باديس، انخرط في صفوف الثورة التحريرية بعد اندلاعها مباشرة وسجن حتى الاستقلال. واصل نشاطه العلمي والعملي بعد الاستقلال بمعهد ابن باديس بقسنطينة ثم مفتشا عاما للتعليم العربي وأستاذا مساعدا بكلية الآداب بجامعة

الجزائر ثم رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، وبموجبه مَثَّلَ الجزائر في العديد من الملتقيات العلمية في تونس ومصر وليبيا والسعودية وإيران ...إلخ، وكان عضوا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي. كما أشرف على تنظيم الدعوة في المساجد وأصدر الفتاوى وجاهد بالفكر والعلم واللسان والنصيحة والمشورة ومن آثاره تآليف نافعة ومصنفات مفيدة بلغت من التحقيق والإجادة مكانة مرموقة ترفعه إلى مستوى العلماء الكبار من حيث العمق والإحاطة وطول النفس، ومن هذه المؤلفات صراع بين السنة والبدعة، الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام، استشارة شرعية ومباحث فقهية، رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية، الفتاوى في جزئين وشهداء وعلماء معهد ابن باديس. هذا بالإضافة إلى عشرات المحاضرات والمقالات المنشورة في مختلف المجلات والصحف داخل الوطن وخارجه. يضاف إلى ذلك كله أحاديثه في الإذاعة التييقدمها على الأثير وعلى الشاشة. عرف الرجل أحمد حماني بعفة العلماء وزهد الفقهاء وجرأته في المواقف والصدع بالحق، وكان صارما في كل فتاواه لا يراقبه فيها إلا الله سبحانه وتعالى.

- **الشيخ علي مرحوم المسلمي (1915–1985م):** علي بن أحمد مرحوم المسلمي (نسبة إلى بني مسلم بجيجل) رجل من رجال الإصلاح الذين أفنوا عمرهم في خدمة الأمة الجزائرية بعلمهم المنير ونضالهم المرير سياسيا وتربويا وثقافيا وإعلاميا. انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودرَّسَ في عدة مدارس بجهات كثيرة من الوطن، وهو صهر الشهيد العربي بن مهيدي، تجول بقلمه في عدة مجلات وجرائد وحاضر في عدة ملتقيات فكرية وثقافية، ومن آثاره (ذكريات من التاريخ الإسلامي).

- **الشيخ مصطفى بن عبادة (1908–1992م):** هو مصطفى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبادة، كرس حياته في خدمة التربية والتعليم درّس بمدرسة جمعية العلماء بأولاد علال بالشقفة وبمدرسة الحياة بمدينة جيجل، وكُلف بتقديم الدروس والمحاضرات والوعظ والإرشاد والإمامة بعدة مساجد، كون العديد من التلاميذ في المدارس الحكومية بعد الاستقلال وكان ذلك مسعاه وهدفه في الحياة فحققه.

- الشيخ موسى بن خلاف (1918-2007م): هو موسى ابن الطاهر بن خلاف كان طالبا للعلم في مسقط رأسه ثم التحق بالزيتونة والأزهر الشريف والزاوية الحملاوية تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اشتغل بالفلاحة ثم ساهم بمساعدة الثوار إبان الثورة التحريرية وسُجن عدة مرات، اشتغل في حقل التعليم بعد الاستقلال، انتقل إلى فرنسا أين عمل هناك مترجما ومفتيا بمسجد باريس إلى جانب عباس ابن الشيخ الحسين ودليل بو بكر وتيجاني هدام، كتب في عدة صحف ومجلات وألقى دروس الوعظ والإرشاد في إذاعة وقناة تليفزيونية بفرنسا، ترجم كتاب الشباب الجزائري لفرحات عباس، تقلد عدة مناصب بقطاع التربية ثم مفتشا بوزارة الشؤون الدينية.

- سي محمد خطاب الفرقاني (1904-1964م): رجل محسن ومصلح كرس حياته لخدمة وطنه وحلمه وحدة المغرب العربي الكبير، ساهم في تمويل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالأموال ونظام الثورة الجزائرية وبناء عدة مدارس حرة بمختلف أنحاء الوطن ومعهد بن باديس بقسنطينة. الرجل قدم للثورة الجزائرية الكثير من الأموال والإمكانيات وما شهادة الشخصيات الثورية على الرجل إلا دليل على ثوريته وحبه للوطن، ذكره الشيخ البشير الإبراهيمي في كتابه "آثار البشير الإبراهيمي" وأعماله الخيرة للثورة الجزائرية والتعليم والشعب الجزائري بصفة عامة.

هذا إلى جانب شخصيات وعلماء وشيوخ آخرين منهم أحسن بولحبال، محمود بن دويدة، محمد الصالح بوحلي، محمد الميلي، بورنان الميلي، الطاهر الأطرش الميلي، الشريف حماني، وبوالأنوار بن عتيق وعمر بن ظافر ومصطفى الجيجلي والسعيد هلال وميمون والعربي رولة والعجرود يوسف والعربي كبيش وغيرهم.. كثير من مشايخ ومدرسين في الكتاتيب بكل قرية وبكل مدينة في منطقة جيجل كل هؤلاء نجد آثارهم في مقالات بالبصائر والشهاب ومجلات أخرى.

أما عن الجمعيات والنوادي الثقافية فقد عرفت هذه النوادي والجمعيات والمدارس الحرة والأحزاب تطورا كبيرا في مستوى التنظيم والوعي الوطني خاصة بعد تنظيم احتفالات الذكرى المئوية

للمستدمر الفرنسي وهي مرور مائة سنة على احتلال الجزائر (1830-1930م)، هذه الاحتفالات كان لها الأثر السلبيالكبير في نفوس الشعب الجزائري وهو ما دفعه إلى تنظيم أبنائه في النوادي المختلفة والجمعيات والمدارس الحرة والأحزاب السياسية للتعبير كل حسب طريقته وبتفاوت في الآراء والأفكار تعبيرا عن رفضهم لهذا المستدمر الذي سلبه حريته وأرضه.

أهم الجمعيات التي تأسست بجيجل:

مدرسة التهذيب:

أنشأت هذه المدرسة على يد الشيخ العلاّمة محمد بن مصطفى دريوش عام 1922م وراء المسجد الكبير بتطوع من صاحب الأرض التاجر (أعراب بن يوسف)، وكانت في البداية تتكون من قسم واحد، ولكنها كانت قطبا جامعًا تخرج منه خلق كثير أشهرهم محمد الصالح بن عتيق، وأحمد حماني، والصادق حماني، وابنه نور الدين دريوش، ومحمّد بن سعيد بن فطيمة وغيرهم.. ثم في عام 1933م عاد الشيخ (محمد الصالح ابن عتيق) إلى الميلية عالما من الزيتونة، وحاملاً لاعتماد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فضم جهوده إلى جهود الشيخ دريوش وأسسا (مدرسة التهذيب)، وكان فيها عدد من كبار العلماء مدرّسين منهم الشيخ الصادق حماني والشيخ عمار بوصبيعة القلي والشيخ عمر حماني والشيخ بوالأنوار بوشعيب والشيخ الحسين بوقجوجة والشيخ علي جاو، ثم انتقل مديرها الشيخ ابن عتيق إلى تيهرت عام 1934م وترك مديرا عليها الشيخ عمار القلّي، ولكن الإدارة الاستدمارية أغلقتها عام 1944م بعدما تخرج منها خلق كثير، فعاد إليها ابن عتيق واستنجد بالمحسن (سي محمد خطاب الفرقاني)، فبنى لهم مدرسة جديدة كبيرة وواسعة حملت اسم (مدرسة التهذيب)، وبقيت تدرّس وتخرج العلماء حتى تم إغلاقها بقرار الحاكم الاستدماري بالميليّة جان رينو عام 1955م.

مدرسة الحياة:

تأسست هذه الجمعية سنة 1933م من طرف مجموعة من أعيان جيجل، هدفها بناء مدرسة للتعليم العربي الحر، أشرف عليها الإمام محمد الطاهر ساحلي وبن خلاف ووضع حجرها الأساسي الشيخ عبد الحميد بن باديس، هدفهم من إنشاء هذه المدرسة بعدما لاحظ المؤسسون أمدينة جيجل في حاجة ماسة إلى هذه المؤسسة التعليمية للدفاع عن اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف ومقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، وهذا ما كانت تدعو إليه الحركة الإصلاحية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي أسسها الإمام عبد الحميد بن باديس تعبيرا عن الانتماء السياسي للخط الوطني الذي بات يدافع عن هذا الوطن في إطار المقاومة الوطنية ذات الجذور العميقة في المدن والأرياف.

جمعية الناصرية للموسيقى والآداب:

تأسست سنة 1934م وهي تعتني بالأدب ومختلف الفنون، هدفها تنظيم ملتقيات وإحياء الحفلات وتنظيم الرحلات والمحاضرات باللغة العربية والفرنسية لأبناء الشعب الجزائري. فبعد موافقة أعضاء الجمعية المؤسسين وأعضاء مجلس الإدارة المنتخب تشكلت عناصر مؤسسة لهذه الجمعية تحت رئاسة محفوظ الفرقاني ومجموعة من شباب المنطقة. هذه الجمعية قامت بعدة نشاطات ثقافية وأدبية وتعتبر من الجمعيات الأولى التي برزت إلى الوجود بولاية جيجل بعد (جمعية إقبال 1919م) و(مدرسة التهذيب 1922م) و(مدرسة الحياة 1933م).

جمعية المؤونة:

هذه الجمعية تأسست سنة 1939م ومن أعضائها المؤسسين مسعود سكفالي ويوسف حساين ومولود بوبزاري وعمار شطاب والطاهر لونيس والطيب شاوتي وحمو طبيل وعمار بلال وأعضاء مساعدون آخرون. ومن أهدافها الأعمال الخيرية والاجتماعية والثقافية والتربوية ومساعدة الفقراء والمحتاجين عند الحاجة وفي الأوقات المستعجلة من العائلات المسلمة كما كان لها مهام نقابية للدفاع عن حقوق العمال، أسسها مجموعة من شباب مدينة جيجل. تلي هذه الجمعيات

إنشاء جمعيات محلية بكل من الميلية والطاهير وبعض المدن الأخرى. في هذه المرحلة أيضا برز دور براعم الكشافة الإسلامية بجيجل وقدمت خدمات كبيرة في مختلف المناسبات وكانت بحق مدرسة لتربية مختلف الأجيال ولازالت حتى اليوم. أما في مجال الرياضة فقد أنشأ فريق شباب جيجل (JSD) الذي أدى دورا كبيرا عبر محطات هامة من تاريخه حتى أصبح نجما ساطعا في شمال إفريقيا وقدم الكثير من الأبطال في مختلف الرياضات وقائمة كبيرة من الشهداء الرياضيين بهذه المدينة إبان الثورة التحريرية المباركة.

مدرسة محمّد خطاب الفرقاني (فرع معهد ابن باديس):

أنشئت هذه المدرسة عام 1948م، على أنقاض بيت للفساد بناه المستدمر الفرنسي بحي الخناق من مدينة الميلية، واحتج الناس عليه من خلال نواديهم فأغلق فجمع الناس المال لشرائه وتحويله إلى مدرسة ثانية، فلما نزل المحسن (سي محمد خطاب) ببيت أهله في الميلية سمع بقضية المدرسة، فكلّم الشيخ البشير الإبراهيمي أن يعتذر للناس المحسنين في أن يتكفل سي خطاب بكل تكاليف المدرسة، وجعلها فرعا ابتدائيا لمعهد ابن باديس بقسنطينة، فوافقه الابراهيمي ومنح واشترى سي خطاب الأرض ما عليها من البناء والغراس تقدر مساحتها بـ 2250 متر مربع من امرأة تسمى (خديجة بوخاريص) وهي بجالية أرملة ابن المدينة المرحوم الطاهر بودغدغ ورثت عنه هذه القطعة وعليها منزل من 16 غرفة، وقد تم عقد شراء القطعة لصالح (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) في 21 ماي 1948م بسعر يقدر بـ(450.000,00 فرنك)، وانطلق مشروع بناء المدرسة، وفرغ منها عام 1950م حيث افتتحت في شهر أكتوبر وأطلق عليها اسم (مدرسة محمد خطاب) بحضور رئيس جمعية العلماء البشير الابراهيمي وابراهيم الكتني ومحمد الطاهر ساحلي ومحمد الصالح بن عتيق وغيرهم.. وعين لها بن عتيق مديرًا والشيخ مسعود زطال ناظرًا، والشيخ عمار بوصبيعة مدرّسًا، والشيخ عمر حماني مدرّسًا وغيرهم.. تخرج من مدرسة خطاب مئات الطلبة التحقوا بمعهد ابن باديس ثم بجامع الزيتونة، كما التحق أكثر من 40 منهم بالثورة التحريرية

ومنهم المجاهدون والشهداء، حتى تم إغلاقها بأمر من حاكم الميلية المستدمر جان رينو سنة 1955م.

ملاحق البحث:

مدرسة التهذيب الميلية التي بناها سي محمد خطاب عام 1944م

رجـلا الجزائر بـالمليـة

مقطع من جريدة البصائر يتحدث عن زيارة الإبراهيمي وخطّاب للميلية

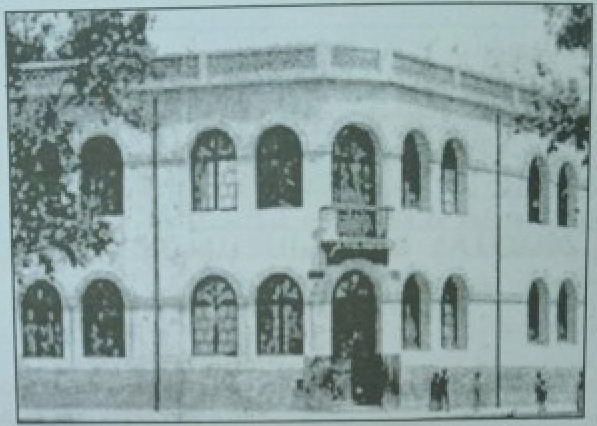

مدرسة الحياة التي تأسست عام 1933م بمدينة جيجل

عيد رأس السنة الهجرية

احتفال مدرسة الحياة بجيجل

مقطع من جريدة البصائر يتحدث عن افتتاح مدرسة الحياة بجيجل

N O T I C E

la société " M'DERSAT EL HAYAT "

te de la création : [illegible] MAI 1933

clarée à la Préfecture : 20 JUIN 1933

t de la société : Enseignement religieux, diffusion du Coran - construction à Djidjelli d'une Médersa

ndance politique : Affiliée aux Oulémas, tendance nationaliste

ège de la Société : 42 rue de Marsan à Djidjelli

Membres actifs et honoraires influents :

...NI Mohamed Tahar	,	Professeur,
...ALLEF Messaoud	,	Président
...SSAOUI Mohamed	,	Vice- Président
...TANI Ali	,	Secrétaire
...MANI Abdelhafid	,	Secrétaire - Adjoint
...AY Amar	,	Trésorier
...DOU Ali	,	Trésorier- Adjoint

Est-elle subventionnée NON.

مقرر تأسيس جمعية مدرسة الحياة بمدينة جيجل

J'ai l'honneur d'appeler votre attention sur le Groupement dénommé " LA JEUNESSE SPORTIVE DJIDJELLIENNE " dirigé par des membres dociles de l'Association des Ulémas et qui organise des matchs de foot-ball dont les recettes sont versées à la Caisse de la " Médersa EL HAYAT ".

Je vous serais obligé de vouloir bien veiller à ce que cette Société observe strictement les règlements actuellement en vigueur sur les associations et se conforme en particulier, aux instructions de M. Le Gouverneur Général en date du 18 Mars 1936, N° 1.593 fixant à trois le minimum des joueurs européens devant figurer dans une équipe de foot-ball ./.

Pour le PREFET

LE SECRETAIRE GENERAL :

مراسلة من مراسلات مدرسة الحياة

118/377

نـــــــداء

إلى كل مسلم يغار على لغة الإســـلام

APPEL

A TOUS LES MUSULMANS JALOUX DE LA LANGUE DE L'ISLAM

O Musulmans Djidjelliens votre sommeil a trop duré !

A quand votre réveil !

Vous avez délaissé le Coran.

Quand regretterez-vous cela !

O nobles et généreux coreligionnaires, sachez qu'il n'y a de vie pour un peuple que si sa langue vit.

Par Dieu il est honteux pour vous de refuser de donner votre obole si minime soit-elle quand il s'agit de vivifier votre langue qui est devenue étrangère dans son propre pays et de conserver les traditions de votre vénéré prophète dont se détournent beaucoup de fidèles.

O croyants, faites tout votre devoir envers votre chère langue arabe :

Jeûnez Vendredi 16 du mois de Chaâbane et donnez le montant des économies que vous réaliserez ce jour-là (en vous privant du déjeuner) à l'**Association Medersa El-Hayat** pour lui venir en aide et lui permettre de continuer son œuvre notamment en construisant l'an prochain une Medersa qui sera le foyer de votre langue maternelle et de l'Islam doctrine précieuse à l'humanité.

Unissez-vous et aidez-vous les uns et les autres pour l'intérêt de cette œuvre spécifiquement **MUSULMANE** et **HAUTEMENT ALGÉRIENNE.**

Pour le Comité de Propagande,

SAHALI Mohamed Taher.

NOTA. — Les frères qui ne seront pas « touchés » par les personnes chargées de recueillir les fonds, sont priés de verser leur obole au siège du **Cercle Musulman,** 16, rue de la Guillotière, tous les soirs à partir de 7 heures.

نداء من وثائق مدرسة الحياة بمدينة جيجل

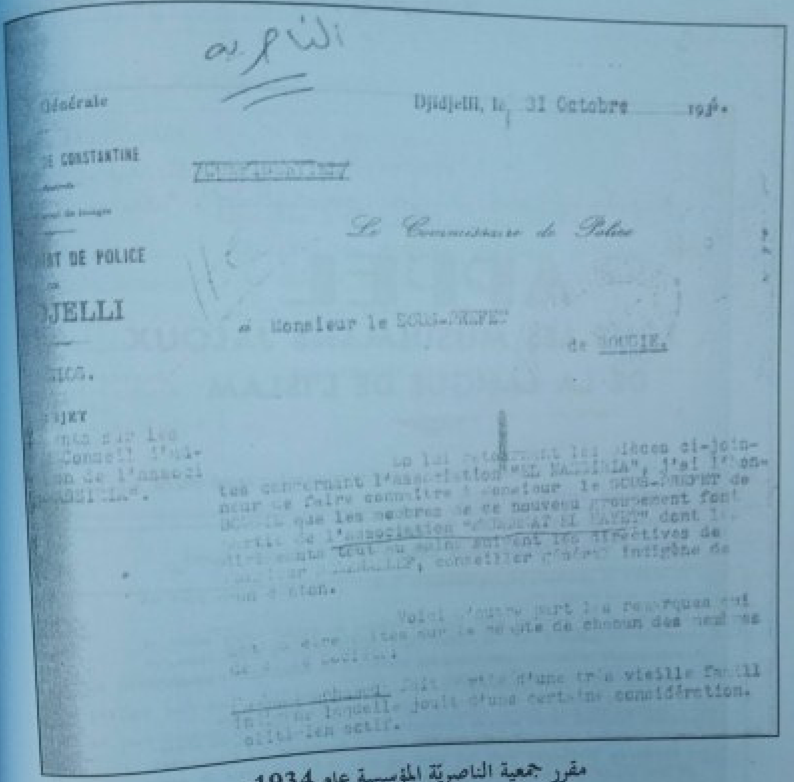

Générale

DE CONSTANTINE

RT DE POLICE

JELLI

Djidjelli, le 31 Octobre 193

Le Commissaire de Police

à Monsieur le SOUS-PRÉFET

de BOUGIE.

Voici d'autre part les remarques qui

mais d'une très vieille famil

laquelle jouit d'une certaine considération.

مقرر جمعية الناصرية المؤسسة عام 1934م

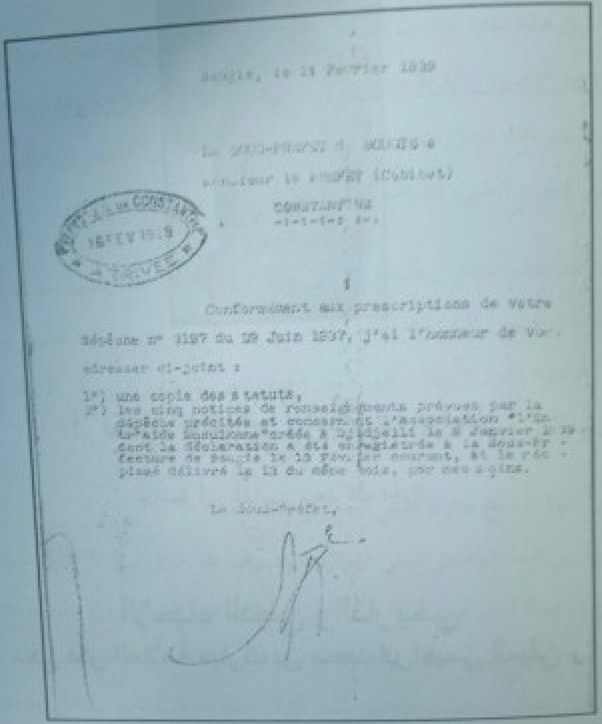

Bougie, le 14 Février 1939

Le Sous-Préfet de Bougie à

Monsieur le Préfet (Cabinet)

CONSTANTINE

-:-:-:-:-:-

Préfecture de Constantine
15 FEV 1939
Arrivée

Conformément aux prescriptions de votre dépêche n° 1197 du 29 Juin 1937, j'ai l'honneur de vous adresser ci-joint :

1°) une copie des statuts,
2°) les cinq notices de renseignements prévues par la dépêche précitée et concernant l'association "l'Entr'aide Musulmane" créée à Djidjelli le 8 Janvier 1939 dont la déclaration a été enregistrée à la Sous-Préfecture de Bougie le 13 Février courant, et le récépissé délivré le 13 du même mois, par mes soins.

Le Sous-Préfet,

مقرر تأسيس جمعية المؤونة بجيجل عام 1939م

مدرسة محمد خطاب الفرقاني (فرع معهد ابن باديس) الذي افتتح عام 1950م بالميلية

أ. نعمان بوقيداح / أة. سارة بوتيقار

جامعة أبي القاسم سعد الله الجزائر

الإحياء الديني والتاريخي
- في فكر العلاّمة مبارك بن محمد ابراهيمي الميليّ -

بعد أن دب الوهن في المقاومات الشعبية المسلحة وتمكنت السلطات الاستدمارية من بسط سيطرتها على أرض الجزائر نهائيا مع بداية القرن العشرين، انصرف نظرها بعد ذلك إلى القضاء على الإنسان الجزائري بكل ما أوتيت من قوة التمسيخ والتدليس، محاولة ضرب الأمة الجزائرية في عمودين هامين ترتكز عليهما هويتها الجزائرية الإسلامية إنهما الدين والتاريخ.

فبعد حوالي مائة عام عن الاحتلال كان الظلام قد خيم على الجزائر باعثا يأسا شديدا في النفس المستعمَرة وزهوا كبيرا في النفس المستعمِرة؛ هامسا لها بأن هذه الأرض أصبحت وإلى الأبد

أرضا فرنسية. في هذه الفترة بالذات انبعث لهذا الوطن رجال هم من سيبنون جيلا كان رجاؤهم فيه كبير لرد ما اغتصبته الألة الاستدمارية، إنهم رواد النهضة الإصلاحية وعلماء الإحياء الديني في الجزائر . فشهد ذلك الزمنُ ظهور الشيخ مبارك الميلي، إضافة إلى العديد من أبناء جيل النهضة من أمثال ابن باديس، العقبي، الابراهيمي، والتبسي.

وفي دراستنا هذه سنتناول علما من أعلام النهضة في الجزائر عالما فقيها ومؤرخا هو الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي وقد جاءت الدراسة لتبرز دور ومدى مساهمة الشيخ مبارك الميلي في استحياء الوطنية الجزائرية ودلك عن طريق إحياء الدين وتطهيره من براثن الشرك والخرافات وإحياء التاريخ وتحريره من الإفك والمغالطات.

1) نبذة عن حياة الشيخ مبارك الميلي الجزائري رحمه الله:

هو مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، ولد رحمه الله حوالي سنة 1898م- 1316هـ في دوار (أولاد امبارك) من قرى الميليّة من أحواز قسنطينة، نشأ الشيخ مبارك بالبادية نشأة القوة والصلابة والحرية، ورُبي يتيماً، فبُعَيد وفاة والده محمد توفيت أمه، فكفله جده ثم عمّاه، نزح إلى بلدة (ميلة) التي كانت تستقطب طلاب حفظ القرآن بصدرٍ رحب وكرمٍ مشكورٍ وهناك حفظ القرآن، وزاول الدروس العلميّة الابتدائيّة على يد الشيخ الزّاهد (محمد معنصر بن الظريف الميلي)، وقد أهلته هذه الدروس للالتحاق بدروس الشيخ العلاّمة عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر، وهناك وجد بُغْيَتَه في دروس الأستاذ الحية، وتلقى منه الأفكار الإصلاحية بحماسٍ وإيمانٍ، فكان من أنجب تلاميذه ومن الجادين المجتهدين الراغبين في التحصيل فأعجب به أستاذُه وأحبه كثيراً وقربه إليه، التحق الشيخ مبارك بجامع الزيتونة المعمور بتونس، المنبع الأصلي الذي ارتوى منه أستاذه الأكبر ابن باديس، وانخرط في سلك تلاميذه، وأخذ عن جلّة رجال العلم والمعرفة به ممّن انتفع بهم أستاذه قبلُ، منهم (الشيخ محمد النخلي القيرواني، والشيخ محمد الصادق النيفر والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ بلحسن النجار، والأستاذ محمد بن القاضي وغيرهم كثير)، وقد

كان في هذه السنوات التي قضاها هناك مثالاً للطالب المكبِّ المجتهدِ، وأنموذجاً للشاب الشهم المهذّب، فرجع من تونس بشهادة التطويع سنة 1924م.

وبعد التحصيل على شهادة التطويع أو الجامع أو العالِمِيّة رجع إلى وطنه معاهداً ربه أن تكون حياته حياة جد ونشاط لنفع وخدمة دينه، فشرع بعد تخرجه مباشرة يعلم بمكتب (سيدي بومعزة) و(سيدي فتح الله) بقسنطينة، فتجند لبث روح التربية الإسلامية في البنين والبنات، وإنارة عقولهم بما أتاه الله من الحكمة والتفكير والمهارة في التصوير، وفي قسنطينة، سطر مسودة قانون أساسي لحث الطلاب وأهل العلم على إنشاء مطبعة كبرى تطبع المخطوطات، وتنشر الجرائد والمجلات لتحي أمته حياة عملية لا نظرية، ووجد أستاذه عبد الحميد قد بعث بقلمه، صيحةً مدويةً في أرجاء الوطن داعيةً إلى الخلاصِ من رقبةِ الشركِ والتحرر من أغلال العبودية فأصدر جريدة (المنتقد) ثم أخرج بعدها (الشهاب) الأسبوعي، وظل كذلك يكافح وحده إلى أن رفع مبارك قلمه وانضوى تحت لواء أستاذه بالأمس وصاحبه في الحال، وقال له: ها أنا ذا فكان الفتى المقدام والمناصر الهمام[1] فكان رحمه الله يشارك في تحريرها ويساهم في تحبير المقالات النافعة لها بإمضائه الصريح مرة وبإمضاء (بيضاوي) مرة أخرى.

وفي سنة 1926 انتقل إلى الأغواط بدعوة من أهلها فوجد منهم الإقبالَ العظيم، والتف حوله ثلة من الشباب نفخ فيهم روح العلم الصّحيح والتفكير الحر، وقضى في هذه البلدة سبع سنوات أسس فيها "مدرسة الشبيبة" وهي من أولى المدارس العصرية النادرة في ذلك الوقت، كما أسس بعدها "الجمعية الخيرية" لإسعاف الفقراء والمساكين والأيتام، فكان لها قدم في ميدان البر والإحسان. وكان له دروس ليليّة في الوعظ والإرشاد يلقيها بالمسجد على عامة الناس مما كان له الأثر البالغ في النفوس وكذلك كان يخرج إلى الجلفة شمالاً، وبوسعادة شرقاً، وآفلو غرباً لإلقاء مثل تلك الدروس من حين إلى آخر على أهلها فيدعوهم للإصلاح والتمسك بالكتاب والسنة ونفض

1- جريدة البصائر العدد 27، السلسلة الثانية.

غبار الجهل والكسل ومحاربة البدعة في الدين.لقد أنشأ الشيخ رحمه الله في الأغواط حركة علمية قوية وسَيَّرَ منها البعثات الدراسية نحو جامع الزيتونة على غرار ما كان يفعل أستاذه ابن باديس، وفي سنة 1931 أسست (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فانْتُخِبَ الشيخ مبارك عضواً في مجلس إدارتها (أميناً للمالية).

ثم رجع بعد السنوات التي قضاها في الأغواط إلى مرضع التعلّم ميلة فأنشأ فيها جامعاً عظيماً كان خطيبه والواعظ والمرشد فيه، و(مدرسة الحياة) التي أشرف على سير التعليم فيها، و(نادي الإصلاح) الذي يحاضر فيه، ثم أسندت إليه- رحمه الله تعالى- رئاسة تحرير جريدة (البصائر) الأسبوعية بعد الشيخ الطيب العقبي رحمه الله فاضطلع بالمهمّة وقام بواجبه أحسن قيام رغم مرض السكري، الذي أنحك قواه إلى أن قررت جمعية العلماء السكوت في سنة 1939، فاحتجبت البصائر عن الصدور..

بعد خروج الشيخ مبارك رحمه الله من الأغواط حوالي 1933، ابتلي بداء عضال ومرض مزمن مضني، أنحك قواه ونغّص عليه حياته هو داء السكري، وقد حاول الشيخ علاجه غير مرّة في الجزائر بل وخارجها فسافر من أجله إلى (فيشي) بفرنسا، لكنه سرعان ما عاوده، كما وقع له عند سماعه خبر وفاة شيخه العلاّمة ابن باديس في 16 إبريل 1940 قال رحمه الله :"عندما سمعت لدى وصولي إلى قسنطينة بموته شعرتُ أن الدورة الدموية أصبحت تسير في عكس الاتجاه المعهود، وعرفت في الحين أن داء السكر قد عاودني وأنه لن يفارقني حتى يقضي عليّ.."[1]، وكذلك قُدّر فقد أخذت صحته في الإنحيار حتى وافاه الأجل يوم 25 صفر 1364هـ الموافق لـ 1945/02/09م، وشيّعت جنازته من الغد في موكب مهيب بحضور آلاف عديدة من محبّيه

1- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، ص26_27.

وأصدقائه وزملائه وردوا من سائر الجهات، وفي مقدمتهم العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى ودفن في مقبرة ميلة، ورثاه جمع من أهل العلم والفضل، رحمه الله تعالى.

2) بيان عبقرية الشيخ الميلي في نظر من عاصره من العلماء:

- الشيخ ابن باديس: بعث إليه برسالة[1] جاء فيها: (وقفت على الجزء الأول من كتابك "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" فقلت لو سميته "حياة الجزائر" لكان بذلك خليقاً، فهو أوّل كتاب صوّر الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سويّة، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك. وقد نفخت في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حيّة على وجه الدهر، تحفظ اسمك تاجاً لها في سماء العلا وتخط بيمينها في سماء الخالدين.

أخي مبارك!إذا كان من أحيا نفساً واحدة فكأنما أحيا الناس جميعاً، فكيف من أحيا أمةً كاملةً؛ أحيا ماضيها وحاضرها وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها؛ فليس والله كفاءَ عملك أن تشكُرَكَ الأفرادُ ولكن كفاءه أن تشكُرَكَ الأجيالُ.." (2)

- شكيب أرسلان : قال أميرُ البيان شكيب أرسلان في الشيخ مبارك الميلي مادحا كتابه: "وأمّا (تاريخ الجزائر) فو الله ما كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أُعْجِبْتُ به كثيراً، كما إني معجب بكتابة ابن باديس، والعقبي وغيرهم من حملة عرش الأدب الجزائري.."(3)

- محمد البشير الإبراهيمي: قال واصفا الشيخ مبارك الميلي: "حياةٌ كلُّها جدٌّ وعملٌ، وحيٌّ كلّه فكر وعلم، وعمر كلّه درس وتحصيل، وشباب كلّه تلقٍّ واستفادة، وكهولة كلّها إنتاج وإفادة،

1- أرسلها بتاريخ 1347/01/15 من بلدة "حصن الماء (Fort de l'eau)" المعروفة حاليا ببرج الكيفان شرق الجزائر العاصمة.

2- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مرجع سابق، ص9_10.

3- المرجع السابق نفسه، ص11.

ونفس كلّها ضميرٌ وواجبٌ، وروح كلها ذكاء وعقل، ومجموعةُ خلالٍ سديدةٍ وأعمالٍ مفيدةٍ قلّ أن اجتمعتْ في رجلٍ من رجالِ النهضات، فإذا اجتمعت هيأت لصاحبها مكانه من قيادة الجيل، ومهّدت له مقعدَهُ من زعامة النهضة، ذلكم مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر، ففقدتْ بفقدهِ مؤرخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وإنارة جوانبه المظلمة، ووصل عراه المنفصمة، وفقدته المحافل الإصلاحية ففقدت منه عالماً بالسلفيةِ الحقةِ عاملاً بها، صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسنة.."[1].

- **أحمد توفيق المدني**[2]: قال واصفا الشيخ الميلي: "كان رحمه الله أوّل من عرفت في القطر الجزائري من رجال العمل الصحيح والوطنية الحقة وأقسم أنني ما عملت مع أحد عملاً أحبّ إلي وأمتعُ لنفسي- إذا استثنيت سني الجهاد ضمن الحزب الدستوري التونسي- من عملي ذلك، خلال تلك الفترة القصيرة إلى جانب مبارك الميلي، ولقد رأيت فيه يومئذ خلالاً جعلته في نظري نموذج المؤرخ الصادق، وهذه شهادة أؤديها للمعاصرين وللأجيال: صبر على البحث، وغلوّ في التحقيق والتدقيق، ومهارة منقطعة النظير في المقابلة بين النصوص، ونظرة صائبة في استجلاء الغوامض، وحكم صادق في أسباب الحوادث ونتائجها، ومهارة في الترتيب والتبويب، وحسن سبكٍ يجعلُ التاريخ كلّهُ كالسلسلةِ المفرغة.."[3].

- **أحمد حماني**: يقول الشيخ أحمد حماني " العلاّمة الجليل الشيخ مبارك بن محمد الميلي رحمه الله، أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علماً وفضلاً وكفاءة، وأحد علماء الجزائر وبناة نهضتها

1- انظر: **البصائر** العدد 26 وانظر: **آثار البشير الإبراهيمي**، ص ص 39_43.

2- خلال الدراسة اطلعت على نسخ من الرسائل بخط يد الشيخ مبارك الميلي التي كان يبعثها الشيخ إلى صديقه المؤرخ أحمد توفيق المدني يطلب منه تراجم ومراجع أثناء تأليفه كتاب تاريخ الجزائر سأوردها إن شاء الله ملاحق في آخر المقال.

3- **البصائر**، مرجع سابق.

العربية الإصلاحية الأفذاذ، وأوّل من ألّف للجزائر باللغة العربية والعاطفة الوطنية تاريخاً قومياً وطنياً نفيساً.."[1].

- **أبو بكر الأغواطي:** هو تلميذ الشيخ مبارك الميلي قال فيه: "عرفنا من الأستاذ مبارك الميلي رحمه الله صفات قلّ بيننا اليوم من يتصف بها، وهي التي جعلت منه علماً من أعلام نهضتنا ورجلاً من خيرة رجالنا، تلك هي حبّ العمل والجدّ فيه، وتحمل الأعباء والمصابرة على تحقيق أهداف عليا، وكلها ترجع إلى متانة خلقه وصدق عزمته، وسداد تقاديره ومحكم تدبيره.."[2].

في فكر الشيخ مبارك بن محمد الميلي:

كانت حياة الشيخ مبارك رحمه الله تعالى مباركة طيّبة، فقد أمضاها في الجهاد والتضحية، وفي التعليم و التربية، وفي التثقيف والتزكية، والوعظ والإرشاد، والكتابة والتأليف، وكانت الأيام التي قضاها بالأغواط هي أخصب أيامه في الإنتاج بأنواعه وكان من ثمارها أن تخرج على يده جمع عظيم من طلبة العلم وحملته، وأنصار الإسلام ودعاته، منهم :الشيخ أبو بكر الأغواطي، الأستاذ أحمد قصيبة، الإمام أحمد شطة،الشيخ عمر النصيري، يقول الأستاذ أحمد بن ذياب رحمه الله : "ولقينا- ونحن تلامذة- بتونس أبناء الشيخ مبارك من خريجي مدرسة الأغواط، فكنّا نشيم في مخايلهم آيات جلال مربيهم، ونلمح في قرائحهم آثار المقتدر الذي نور عقولهم، وصفى أذهانهم، فكنا نعجب بهم، ونتمنى لو أتيح لنا أن نروي من الفيض الذي منه نهلوا "[3].كان رحمه الله قوي الإرادة يغلب على أعماله الجدّ مع الصراحة، وكان ذا شجاعة أدبية متصلباً في الحق، دقيق الملاحظة، وكان يحب العمل الدائم المتواصل وكان يكره الكسل ويمقت الكسالى من تلاميذه أو من زملائه، وكان أيضاً كريم النفس، حسن المعاشرة، حليماً بشوشاً، محباً لتلاميذه، محترماً

1- **أحمد حماني:** صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، قسنطينة ،1984، ط1، ج2، ص13.

2- **البصائر** العدد 26.

3- **أحمد ذياب:** الشيخ مبارك الميلي في ذكرى وفاته الثانية والثلاثين، مجلة الثقافة، العدد 37، صفر، ربيع الأول،1397هـ، وزارة الإعلام، الجزائر، ص ص43-51.

لأصدقائه، وكان متواضعاً، يكره الإعلان عن شخصه، وكثيراً ما يفر من مواطن الظهور، ولا يحب أن يلفت الأنظار إليه، يقول تلميذه أحمد قصيبة:"وفي سنة 1940 لما توفي الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد رحمه الله، عُيّن خلفاً له لإدارة شؤون الجامع الأخضر والإشراف على الدروس، فلما تربّع ذات يوم على مقعد أستاذه الراحل العظيم، وجلت نفسه، وعظم الأمر لديه، وأثّر فيه هول الموقف من تذكر رئيسه وأستاذه حتى سالت عبراته سخينة على خديه تواضعاً وإشفاقاً على نفسه أن تغتر أو تتطاول بتبوئها ذلك المقعد.."[1]، وقال فيه أحمد توفيق المدني رحمه الله تعالى: "إن قرّر مسألة فبقوة وإيمان واقتناع، وإن جادل فبالتي هي أحسن، وإن خالفك في الرأي فمن غير عناد أو تعصب، وإن حاضر أو سامر فالدرّ المنثور، وأحلى من عسل مصفّى، كل ذلك في تواضع محمود وخلق كريم، وأريحيه فاضلة، وشهامة وشمم بلغا درجة الكمال.." [2]

3) الشيخ مبارك المؤرخ (استحياء الأمة الجزائرية بتحرير تاريخها):

على الرغم من عمره القصير (47 عاما)، وملازمة المرض له، واشتغاله بتأليف الرجال عن تصنيف الكتب، فقد خلف الشيخ مبارك رحمه الله تعالى كتاب عظيم في تاريخ هذه الأمة هو كتاب بعنوان:(تاريخ الجزائر في القديم والحديث) في جزئين[3]، وهو كتاب حافل، أثنى عليه غيرُ واحدٍ منهم شيخه العلامة ابن باديس رحمه الله الذي بعث إليه برسالة[4] جاء فيها: "وقفت على الجزء الأول من كتابك " تاريخ الجزائر في القديم والحديث "، فقلت: لو سميته (حياة الجزائر) لكان بذلك خليقاً، فهو أوّل كتاب صوّر الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك. وقد نفخْتَ في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حيّة على وجه الدهر، تحفظ اسمك تاجاً لها في سماء العُلا، وتخطّه بيمينها في كتاب

1- انظر: البصائر العدد 26، ربيع الثاني 1367، السلسلة الثانية.

2- المرجع نفسه.

3- ولم يتمه بل توقف عند ابتداء الدور العثماني، ثم أضاف نجله محمد بن مبارك جزءاً ثالثاً في الدور المذكور.

4- بتاريخ 1347/01/15هـ من بلدة "حصن تلات" المعرفة حاليا ببرج الكيفان شرق العاصمة.

الخالدين. أخي مبارك! إذا كان من أحيا نفساً واحدة فكأنما أحيا الناس جميعاً، فكيف من أحيا أمة كاملة؛ أحيا ماضيها وحاضرها وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها؛ فليس والله كفاء عملك أن تشكرك الأفراد ولكن كفاءة أن تشكرك الأجيال.."(1) وفي فصل كتابة التاريخ يقول العلامة في مقدمة تاريخه:"إنما يكون للتاريخ هذا الأثر في ترقية عقول البشر مادام على نقل الإثبات معتمدا، وعن تدليس المغرضين مبتعدا، خاليا من خرافات أكثر المتقدمين، وعمليات المتعصبين من المتأخرين" وقد "سلك في تدوين تاريخه مسلك التحليل العصري، فلم يكن يكتفي باستجلاء الحقائق، وإثباتها مجردة، بل كان يمعن النظر في الأسباب والنتائج، ويثبت أحكاما هي عصارة فكره، وخلاصة رأيه، ونتيجة بحثه واستقرائه. ف(تاريخ الجزائر في القديم والحديث) لم يكن من تلك الكتب الجافة الجامدة، بل كان إلى جانب التحقيق التاريخي كتابا طريفا حيا تتراءى لك فيه شخصية مؤلفه العظيمة"(2)، لقد حارب الشيخ الميلي " الفرنسيين الذين كذبوا على أنفسهم وكذبوا على العالم كله عندما نفوا وجود الجزائر التاريخي فجاهدهم بكتابه (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) فكان مبارك الميلي - في سنة 1927- هو أول من طبق عمليا ما سيدعو إليه لاحقا المؤرخ محمد الشريف ساحلي في سنة 1965 وهو تحرير التاريخ (Décoloniser l'histoire) فاستحق الميلي بذلك الكتاب المجاهد أن يُلقب برائد المدرسة التاريخية الجزائرية والرائد لا يكذب أهله(3)، وبفضل الشيخ الميلي "استطاعت الحركة الإصلاحية الجزائرية أن تؤدي رسالة الإصلاح الديني، وأن تبلور بكثير من القوة الشخصية الجزائرية ذات الجوهر العربي الإسلامي.."(4).

1- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث،مرجع سابق، ص9_10.
2- أحمد توفيق المدني: مبارك الميلي مؤرخ الجزائر، البصائر، عدد 26، السلسلة الثانية ،مارس 1948.
3- محمد الهادي الحسني: مقال" مبارك المبارك" جريدة الشروق الجزائرية، عدد 3630، 19 أفريل 2012.
4- **Ali MERAD** : Le Reformisme Musulman En Algerie De 1925 A 1940 Mouton: The Hague, Paris, 1967, P. 107-108.

الشيخ مبارك الداعية المصلح (تحرير دين الأمة بهدم أصنام الشرك فيها):

بحكم فترة عيش الشيخ مبارك الميلي التي كانت تتلبد بسحب من الجهل والتجهيل والأباطيل في الدين والدنيا فترة حفزته إلى إعلان الحرب عل المتاجرين بالدين الذين شوهوا دين الله عز وجل بما أدخلوا فيه من بدع وخرافات وأباطيل وضلالات، وأكلوا التين بالدّين كما قال الإمام النووي، فأرسل عليهم شواظا من حقائق الدين وصحيحه، فبُهتوا وانكشفت سوآتهم، وفعل الميلي بتلك المقالات التي جمعت في كتاب تحت عنوان (رسالة الشرك ومظاهره) في تلك البدع والضلالات ما فعله سيدنا إبراهيم، عليه السلام، في تلك الأصنام والتماثيل التي جعلها جذاذا[1]، كتاب (رسالة الشرك ومظاهره)[2] وهو كتابٌ نفيس في بابه، فريدٌ في موضوعه، لم ينسج على منواله، ويعد من "أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصرة السنن وإماتة البدع، تقرّ بها عين السنة والسنيين، وتنشرح لها صدور المؤمنين، وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين من جهلة المسلمين ومن أحمرة المستعمرين الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم، فيتخذون هذه البدع التي ينسبها البدعيون إلى الدين الإسلامي مخدّراً يخدّرون بها عقول الجماهير.."[3]، كما ترك الشيخ رحمه الله تعالى مجموعة من المقالات القيّمة والبحوث النافعة والتعليقات البديعة في جرائد ومجلات جمعية العلماء، كالمنتقد والشهاب والبصائر[4] وغيرها مما لو جُمِعَ لكان مُصنّفاً جليلاً. وبالإضافة إلى كل ذلك، هناك الرسائل الخاصة التي كانت متداولة بينه وبين الشباب، فيها الأخوية الودية، وفيها العلمية ذات الوزن في التحقيق والتدقيق، وفيها الأدبية الرائعة، والتاريخية التي تشير إلى وثائق خاصة في عهد من العهود، أو تثير تساؤلات حول شخصية

1- **محمد الهادي الحسني**: مبارك المبارك، مرجع سابق.

2- نشر الفصول الأولى منها في جريدة البصائر ثم جمعها في كتاب، طبع لأول مرة في المطبعة الإسلامية الجزائرية سنة (1937م) ثم أعيد نشره أكثر من مرة.

3- **مبارك بن محمد الميلي**: رسالة الشرك ومظاهره، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص06.

4- انظر على سبيل المثال الأعداد (7 و8 و21 و28 و29 و30 و31 و33 و45 و48 و90 و91 و93...) من السلسلة الأولى منها.

فذة أو عبقرية تحتاج إلى تقديمها، في الإطار المهذب واللون الباهر والبيان الكاشف، حتى توضع موضعها اللائق بها من تراثنا الثري، وأدبنا الغني، وماضينا المجاهد[1].

لكن وكما لقي كتابُ الميلي ترحيبا كبيرا في أوساط علماء الإصلاح، فقد قُوبل أيضا برفض شديد من قِبَل الكثير من شيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم، وخاصة في أوساط الطريقتين التيجانية والعلوية، هذه الأخيرة التي تهجمت على الكتاب ومؤلفه بصفة خاصة وجمعية العلماء ودعاة الإصلاح بصفة عامة، ومثال ذلك ما تضمّنتهُ رسالةٌ نُشِرت لأحد أتباع تلك الطريقة في صحيفة لسان الدين وكان مما جاء فيها: "لقد اطلعت على الكتاب المسمّى بـ(الشرك ومظاهره) لمؤلفه الشيخ مبارك الميلي، ولقد عرّفتني صورةُ ذلك الكتاب ما تُقاسيه الأمة الجزائرية من المحن والبلايا من جماعة الإصلاح... وقد حوى الكتابُ جملةً من التمويهات والأضاليل وفساد العقائد، وبالجملة فقد دَسّ الشيخُ مبارك الميلي في هذا الكتاب ما لم يَدُسُّه إبليسُ في ثلاثة عشر قرنا.."[2].

ولا عجب في ذلك فقد كان قلم الشيخ الميلي في محاربتهِ للشرك قاسيا على أصحاب تلك الطرق وما جاء به كثيرها من وبالٍ على هذه الأمة من بدعها وخرافاتها، بعد أن رأى أنها كانت معولا هداما في يد الاستدمار الفرنسي، فالعلاّمة رأى بأن الطريق لفك قيد الاستدمار هو إعادة إحياء جذوة الدين الإسلامي في نفس الأمة من منبعه الصافي الصحيح.

1- أحمد ذباب: الشيخ مبارك الميلي في ذكرى وفاته الثانية والثلاثين"مجلة الثقافة، ،37، مرجع سابق.

2- جريدة (لسان الدين) لمصطفى حافظ صدرت بالجزائر في01 جانفي 1923 وكانت من أكثر الجرائد التي ردت على الكتاب مصحوبة بجريدة (البلاغ الجزائري) لصاحبها محمد محي الدين (الزاوية العلوية) صدرت بمستغانم ثم الجزائر في 1926/12/24.

ملاحق البحث:

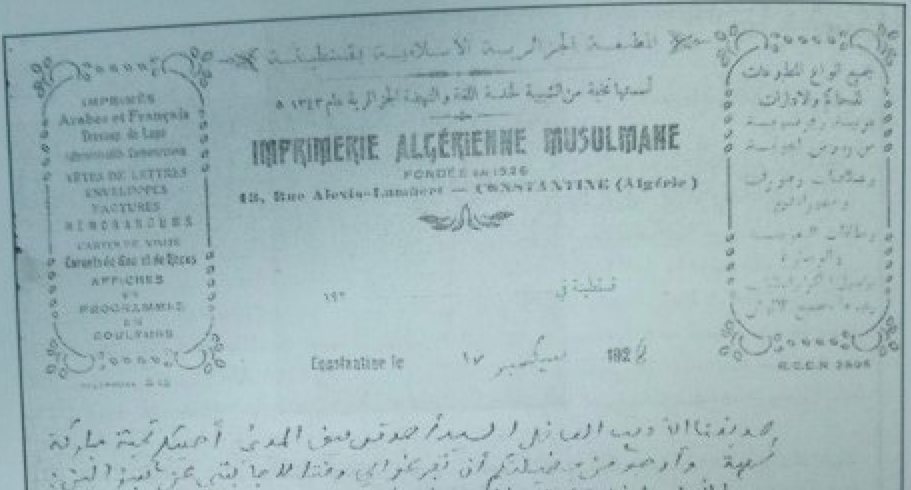

صورة رسالة بخط يد الشيخ مبارك الميلي بعثها إلى صديقه المؤرخ أحمد توفيق المدني في 17 سبتمبر 1928 يطلب فيها ترجمة بعض الفصول من كتاب الفرنسي Antoine Michel CARETTE "رحلات في البر الجزائري".

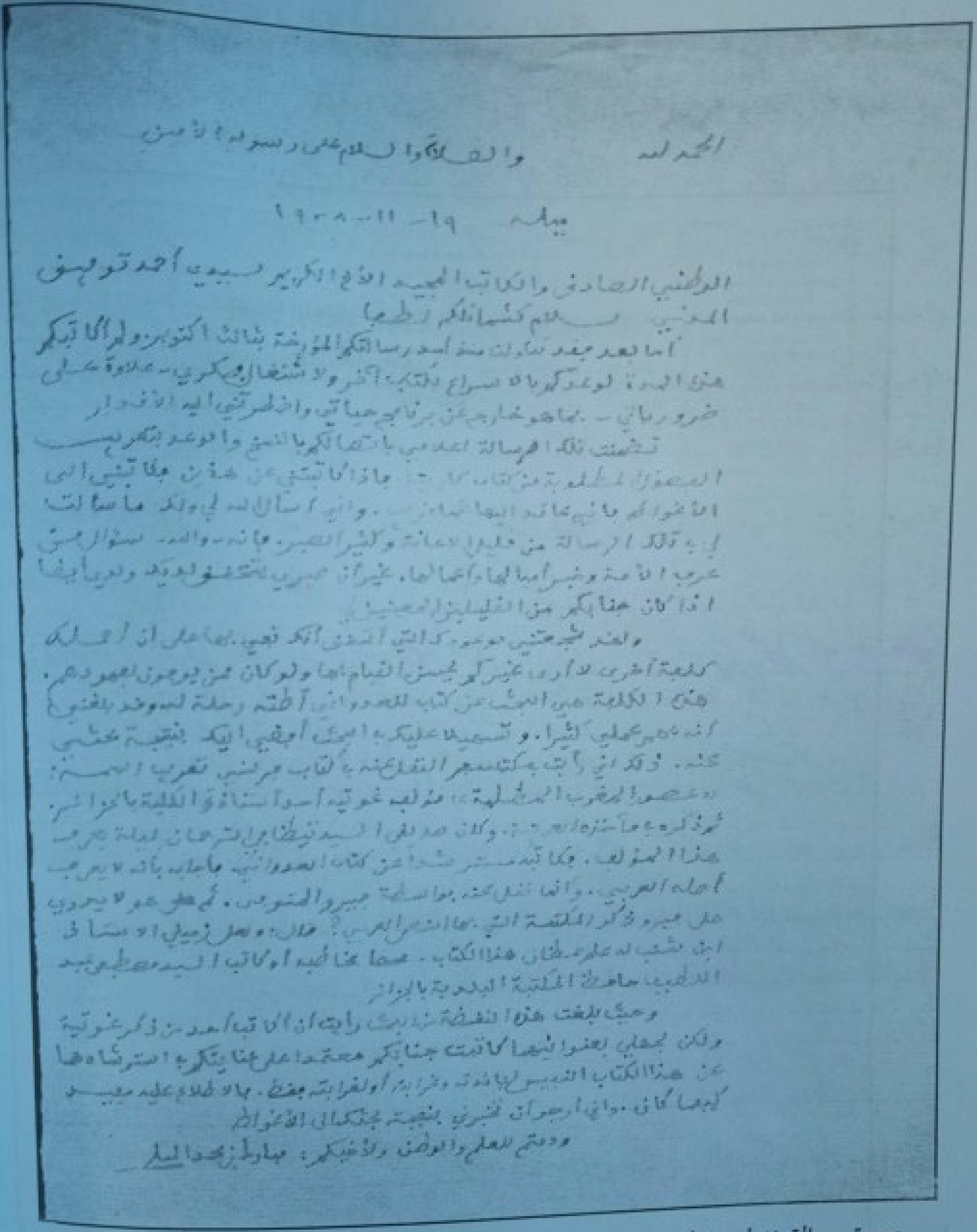

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

ميلة 19-11-1928

الوطني الصادق والكاتب المجيد الأخ الكريم سيدي أحمد توفيق المدني [illegible]

أما بعد فقد [illegible] منذ أمد رسالتكم المؤرخة بثالث أكتوبر ولم أكاتبكم هذه المدة [illegible] الكتاب [illegible] ولاشتغالي [illegible] علاوة على ضروريات [illegible] بما هو خارج عن برنامج حياتي واضطرتني إليه الأقدار

تضمنت تلك الرسالة إعلامي باتصالكم بالنسخ والوعد بتعريب [illegible]

[illegible]

ولقد [illegible]

[illegible] هذا المؤلف [illegible]

[illegible] بالجزائر

وحيث بلغت هذه النقطة [illegible] عن هذا الكتاب [illegible]

[illegible] الأغلاط

ودمتم للعلم والوطن ولأخيكم: مبارك بن محمد الميلي

صورة رسالة بخط يد الشيخ مبارك الميلي بعثها إلى صديقه أحمد توفيق المدني في 19 نوفمبر 1928 يستفسر فيها عن كتاب للباحث الفرنسي Émile-Félix GAUTIER (عصور المغرب المظلمة).

أ. عبد الكريم سناني

مفتش رئيسي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل

النظرة الإستشرافية عند الشيخ مبارك الميلي
- الجانب السياسي أنموذجا -

لقد حافظ الشعب الجزائري على تراثه ومقومات هويته قرونا تزيد على العشرة، على الرغم من محاولة حوادث الدهر المتنوعة مغالبته، فلقد حاول الاحتلال الفرنسي وأعوانه مرات ومرات تخدير هذه الأمة المستضعفة، والسعي لإماتتها، لكنهم وجدوا في المجتمع الجزائري جينات راسخة في التركيبة الخلوية لدمائهم تحمل معها مقومات وأجسام مضادة ترفض كل جسم غريب. فكُل ما جاء به هذا الاحتلال من أساليب استدمارية وخطط تدميرية متوالية ومستمرة، يحارب بها أسباب مناعة هذا الجسم، إلا وانهزم في النهاية على الرغم من تمكنها أحيانا؛ فقد عبث بحرمة المعابد وحارب الإيمان بالإلحاد والفضائل بالرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية، بل وعلى الرغم من

الآثار التي تركها من جروح مؤلمة في جسم هذه الأمة إلا أنه سرعان ما تلتئم بفعل قوة مناعتها وامتلاكها إرادة الثبات والحفاظ على مقومات البناء المجتمعي.

وهذا كله بفضل رجالها الراسخين في العلم، الذين قيضهم الله لهذه الأمة يميزون العدو من الصديق، ويدركون نفع هذه الأمة من ضررها، ويؤمنون بمقومات وأسس بنائها، فالتقت العقول وتآلفت القلوب واطمأنت النفوس لبعضها، وعلموا بأن الطريق في هذا الاتجاه، فأخذوا يبعدون الأشواك عنه، ويعبّدونه وذلك لغرض الوصول إلى الغاية المنشودة والهدف المرجو، ولقد اقتضت حكمة الله أن يكون من ضمن هذه الجماعة (العلماء) رجال فعلا ضحوا بالغالي والنفيس من أجل مجتمعهم ومن أجل دينهم وهويتهم، ومن هؤلاء العلامة المؤرخ (مبارك الميلي) رحمة الله عليه الذي برهن بإمكانياته الإدارية وقدراته المعرفية أن يقود سفينة التسيير والمالية لجمعية العلماء إلى شاطئ الأمان، فقد كانت له نظرة ثاقبة في تسيير أموال الجمعية، ورؤية ترتكز على حالتين في تسيير الأموال: حالة امتلاك، وحالة استهلاك.

"ففي حال الامتلاك حثك على السعي ورغبك في الكسب، وفي الاستهلاك زهدك في تمتيع النفس بالممنوع وفي الاسترسال في المباح المفضي إلى الغفلة عن الواجب النافع ثم يقول: أيها السادة إذا أخذنا الفرق بين حكم الاستهلاك وحكم الامتلاك وكنا كما يريد منا ديننا، أمة جد وأعمال، لا شعب كسل وخيال لزمنا أن نجاري الجار في خدمة الأراضي وعمارة الديار، واتقان الاحتراف والاتجار من غير أن نخرج عن حدود واهب الدرهم والدينار ثم لا نشح بعدما ملكت أيدينا عن مشاريعنا الاجتماعية وجمعياتنا ذوات الغايات السامية، وهذا هو الذي كان عليه سلفكم الصالح، لا يقعدون عن الكسب ولا يمسكون من الشح.." (1)

1- مبارك الميلي: التقرير المالي عن السنة السادسة لجمعية العلماء البصائر، السنة الثانية العدد 83، سنة 1937، ص 3.

فعلا هذه نظرة إستراتيجية سياسية اقتصادية أراد من خلالها النهوض بهذه الأمة فكرا وسلوكا، ثم اقتصادا، وإذا كان علماء الإدارة في هذا العصر وضعوا أربعة شروط لنجاح أي عمل إداري، ممثلة في التخطيط والتنظيم والتوجيه والمتابعة، فإن الشرط الأول هو أهم هذه الشروط وأبرزها، والتخطيط هذا هو ذلك التصور المستقبلي المبني على الدراسة والتحليل للوقائع والإحصاءات الثابتة. وإذا كان هذا العلم وهو علم الاستشراف المبني على التخطيط يرتكز أساسا على أربعة أسس: وهي رسم الأهداف ودراسة المستقبل ورسم السياسات واللوائح، والمدة الزمنية للتنفيذ ودراسة القدرات المالية فإن العنصر الثاني وهو دراسة المستقبل أو القدرة على الرؤية إلى ما بعد الواقع. (1)

هو في حقيقة الأمر علم قائم بذاته لا علاقة له بقضايا الغيب، يعتمد على مقدمات علمية منظمة ونتائج وملاحظات مبنية على معطيات ومقدمات، وللأسف فإن دول المجتمع الإسلامي أهملت هذا العلم رغم أهميته وخطورته في بناء الدولة وتقدمها، ولهذا بقيت تتخبط في معالجة مشاكلها وتعيش واقعا بعيدا عن إمكانياتها وقدراتها(2). ويقوم بهذا العلم مراكز متخصصة يشرف عليها نخبة من العلماء والمفكرين، يعد علما في غاية الصعوبة والتعقيد، وعلى الرغم من هذا فإننا نجد بعضا من المفكرين والعلماء، مما مكنهم الله من العلم الغزير والفكر الثاقب يملكون قدرة كبيرة على قراءة المستقبل واستشرافه، والشيخ العلامة مبارك الميلي رحمه الله من هؤلاء الذين يملكون هذه القدرات، أثبتت الأيام والسنون صحة أقواله.

1- الملامح الأساسية في شخصية مبارك الميلي:

1- طارق سويدان وفيصل عمر باشراحيل: صناعة القائد، السعودية، مكتبة جرير، ط3، 2004، ص 69.

1- عنتر قجور: الاستشراف السياسي عند البشير الإبراهيمي، مجلة المعيار، ع 32، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2013م، ص 483.

136/377

قبل أن نتطرق إلى أهم الاستشرافات السياسية نقدم لمحة موجزة عن أهم صفات وملامح هذه الشخصية، إذ بعد الإطلاع على تاريخها والوقوف على أهم محطاتها التاريخية، السياسية، الاجتماعية تمكنا في النهاية أن نجمع أهم صفاتها، لا كلها ولم نستطع بعد أن نصل إلى كنه حقيقتها، وأهم ملامح شخصيته تتمثل في:

- الذكاء الحاد والنظرة الثاقبة:

فقد شهد له بهذا معظم من عاصروه بل جميعهم والمتمعن في مقالاته وخطبه يقف عند هذا الأمر، إذ يقول عنه الشيخ البشير الإبراهيمي: "..وهو نابغة لأنه كان ذا ذكاء وقاد، وتفكير بصير عميق، وقد شهد له بذلك كل من عرفه، فقد حدثني عنه أستاذنا الجليل الشيخ العربي التبسي نائب جمعيتنا معجبا بذكائه فقال من جملة ما قاله فيه: إنه كان يفاجئنا بآراء صائبة خارقة ويدلي باقتراحات وجيهة لم تدر من أين له بها.."[1]، ووصفه الشيخ بن باديس حينما قدمه في اجتماع المجلس الإداري لجمعية العلماء سنة 1937م "وهو المعلم بمدرسة ميلة ... وهو مؤرخ الجزائر الذكي الفؤاد العميق النظر الصائب التعليل ومدعم الدعوة الإصلاحية الدينية برسالته الشرك ومظاهره"[2]

- الإطلاع الواسع والدقة في الفهم:

1- البشير الإبراهيمي: حياة رجل الإدارة مبارك الميلي، البصائر، العدد 26 من السلسلة الثانية، مارس 1948، ص2.

2- عبد الحميد بن باديس: جريدة البصائر، العدد 137 يوم 1938/10/28.

جاء في مقال للشيخ البشير الإبراهيمي في إحدى الأعداد من البصائر يقول فيه: "..صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسنة واسع الإطلاع على النصوص والفهوم دقيق الفهم لها، والتمييز بينها والتطبيق لكلياتها.."(1)

- إلمامه الواسع بتاريخ الجزائر والعالم الإسلامي:

ما يتميز به العلامة مبارك الميلي تضلعه في الجانب التاريخي وبالأخص تاريخ الشمال الإفريقي، فقد تمكن من تأليف كتابه الشهير "تاريخ الجزائر القديم والحديث"، وبذلك أمكنه إحياء أمة أريد لها الضمور والنسيان وأثبت أن في شمال إفريقيا أمة عربية اللسان إسلامية الدين مستقلة تمام الإستقلال عن أوروبا، ومما يؤكد هذا، تعليق الشيخ بن باديس حينما اطلع على الجزء الأول من كتابه في قوله: "أخي مبارك! إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتهما عند أبنائها، حياة مستقبلها فليس والله كفاء عملك أن تشكرك الأفراد، ولكن كفاءه أن تشكرك الأجيال، وإذا كان هذا الجيل المعاصر قليلا فسيكون في الأجيال الغابرة كثيرا، وتلك سنة الله في عظماء الأمم ونوابغها، ولن تجد لسنة الله تبديلا".(2)

- دراسة عميقة بطبائع المخاطبين وميولاتهم وتركيبتهم الفكرية والنفسية:

وقد اكتسب هذه الصفة من كثرة مخالطته ومعاشرته لمختلف فئات المجتمع على اختلاف مستواهم الفكري والعلمي، فقد تواضع مع الفقراء والمساكين واستطاع أن يقدم لهم يد المساعدة في العديد من المرات وكما أنه استطاع أن يكسب قلوبهم ومجتمعهم من جراء معاملته لهم وخاصة عندما أسس الجمعية الأغواطية لإسعاف الفقراء والمساكين والأيتام.

1- البشير الإبراهيمي: مبارك الميلي، البصائر، العدد 126 من السنة الثانية من السلسلة الثانية، مارس 1948، ص1.

2- الإبراهيمي: حياة رجل الإدارة مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 2.

- **تقواه وإخلاصه التام لدينه وأمته ووفاءه لإخوانه في جمعية العلماء:**

ورد في جريدة البصائر في مقال تحت عنوان (أطوار من حياة الشيخ مبارك): "..وأضحى مبارك الميلي الوفي بمطالب الجمعية بكل ما أوتي من قوة، وكان من خلال صديقي الأستاذ شديد الوفاء لمن يتنكر له، وكان الخير يغمر كل نواحيه، ومن كان هذا حاله فجدير بأن تحتفل الأمة بأعماله وتكثر من الحديث عنه في صحفها ومجالسها ومعاهدها.."(1)

2- قراءة في عنوان الموضوع:

ضبط مفهوم الإستشراف:

في اللغة:

مادته التأصيلية ش ر ف "..تشرف الشيء واستشرفه: وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه.." (2)، و"شرف المكان: ارتفع، - الرجل: علت منزلته، فهو شريف، أشرف عليه: اطلع من فوق / تولاه وتعهده / قاربه.. استشرف: انتصب وعلا.."(3)

ولذا فالإستشراف يتضمن التطلع والنظر، وحديث النفس والتوقع، وهو أول ما نبدأ به، والتشوّف هو الإستجلاء من خلال التطلع والنظر الشامل وفيه معنى الإرتفاع بغية الإحاطة بالنظر، فالتشوّف إذا قرين الإستشراف، وهو خطوة تالية له لمنع الدراسات الإستشرافية.

في الاصطلاح:

1- **عبد الحفيظ الجنان:** أطوار من حياة الشيخ مبارك الميلي، البصائر، العدد 27، السنة الثانية من السلسلة الثانية، مارس 1948م، ص 7.

2- **ابن منظور:** لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د/ت، مادة ش ر ف، ص 2241.

3- **إبراهيم قلاتي:** قاموس الهدى،، دار الهدى، الجزائر، د.ت، مادة: ش ر ف، ص ص 282-283.

وعرفه أحمد زكي بدوي بقوله "أما علم المستقبل فهو العلم الخاص بالتنبؤ بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل، ويستند في دراستها على الإستقراء، والإستنباط، بجمع الوقائع الفردية المتعددة ليستخلص منها المبادئ العامة التي تحكمها، ويخرج بعد ذلك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة.."(1)

3- أهم الإستشرافات السياسية للشيخ مبارك الميلي:

- الاهتمام الكلي بالتربية وإصلاح الفرد:

لم يكن يظهر على علماء الجمعية الاحتراف السياسي ظاهريا، لكن الصورة الحقيقية الواقعية تشيد بعكس ذلك، فجعلهم يملكون النظرة الثاقبة والذكية في معاملتهم للأمور والأحداث، ويضعون نصب أعينهم مستقبل أبناء هذا الوطن أولا وقبل كل شيء وما تأسيسهم لهذه الجمعية إلا إنقاذا لهم من شر الجهل ووحشية الأمية، فالتقدم والحضارة-في نظرهم- يدور حول هذا الإنسان محور الحياة والعملية الحضارية. لذا كانت لهم أهدافا قريبة وأهدافا إستراتيجية كبرى بعيدة، فلم يكن هدفهم المرحلي ينحصر في المجال السياسي وإن كانوا شاركوا فيه وأدلوا برأيهم في كثير من أحداثه.

بل الأهم في نظرهم كان ينحصر في الاهتمام بالفرد الجزائري فكريا ودينيا قبل الكفاح السياسي وحتى العسكري، ولأنهم أدركوا أن المحتل قد استطاع إلى حد كبير تدمير الشخصية الجزائرية فغدا بذلك شعبا ضعيفا، مهزوما لا يملك القدرة على المقاومة والاستقلال، فقد غرسوا فيه القابلية للاحتلال، إلا أنه وللأسف هناك من النقاد الآن من يتهم الشيخ مبارك الميلي وإخوانه بمهادنة الاحتلال ومحاولة الانصهار فيه، ولا يقول بهذا عاقل يقدر الأمر بقدره، ففاقد الشيء لا يعطيه، وكيف يتحرك هذا المجتمع إذا كان منهزم الفكر والنفس، فاسد العقيدة والتصور نحو ربه،

1- فؤاد ديلمودن: الدراسات المستقبلية واستشراف المستقبل، تحديد للمفهوم والدلالات، 25 ديسمبر 2012.
http://albuthi.com/blog/887

يقول الشيخ مبارك الميلي في هذا الباب "إن كنت باحثا في علل انحطاط الأمم، فلن تجد كالشرك أدل على ظلمة القلوب وسفه الأحلام وفساد الأخلاق، ولن تجد كهذه النقائص أضر بالإتحاد وأدر للفوضى وأذل للشعوب، وإن كنت باحثا في علل عن أسباب رقي الأمم فلن تجد كالتوحيد أطهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق، ولن تجد كهذه الأسس أحفظ للحياة وأضمن للسيادة وأقوى على حمل منار المدينة الطاهرة.." (1)

- رفضه لسياسة المحتل وبالأخص ما يتعلق بمقومات الهوية الوطنية:

لا نختلف في أن ما قام به المحتل الفرنسي يختلف كثيرا عما قامت به الدول المحتلة الأخرى، إلا أن طبيعة هذا الاحتلال تكتسي طابع التحويل الكلي للمجتمع ومسخ ماضيه والقطيعة مع تاريخه، بل إن استطاع إبداله بنوع آخر من البشر لفعل ذلك. كيف لا وهو الذي أصدر العديد من القوانين التي تنص صراحة مخالفتها لأسس ومقومات هذا الشعب الضعيف المتآكل ثقافة وحضارة، لذا نجد العلامة الشيخ مبارك الميلي مع إخوانه أبناء الجمعية أدركوا مرامي وغايات هذا الدخيل وما يصبوا إليه فقاموا بتأسيس المدارس والنوادي، وتفطنوا إلى وسيلة في غاية الأهمية تعينهم على مواجهة هذا المسخ الاستدماري، وهي الصحافة .

ففي الجانب التاريخي: نجد العلامة مبارك الميلي قد اعتكف سنوات عدة في مدينة الأغواط، واختار من يُتقن اللغة الفرنسية ليعينه على كتابة كتابه الشهير (تاريخ الجزائر القديم والحديث)، واستطاع فعلا أن يحي الأمة الجزائرية وينفث فيها من روح الحياة، وأن يثبت من خلال كتابه هذا حقيقة وطبيعة هذه الأمة وماأصولها، ونجد هذا جليا في ما ورد في مذكرات الشيخ بن عتيق* فيقول: "كان الأستاذ* يُعنى بدراسة التاريخ عناية بالغة ويرى في تلقينه لتلاميذه بعثا لحياتهم واعتزازا بتاريخهم، واقتداء بأجدادهم الذين بنوا حضارة لا يوجد مثلها عند غيرهم، من لم

1- مبارك الميلي: الشرك ومظاهره (1)، البصائر، العدد 5 السنة الأولى جانفي 1936، ص 1.

* الشيخ محمد الصالح بن عتيق من تلاميذ الشيخ مبارك الميلي الأوفياء لوطنهم ودينهم وتاريخ أمتهم.

*يعني به الشيخ ابن باديس.

الأرض، ويختار وقت الصباح لدراسة التاريخ ويقول: إن هذا وقت تنام فيه الشياطين، ويعني بالشياطين الجواسيس وتستيقظ الملائكة ويعني بذلك الطلبة ونظرة التاريخ عند ابن باديس تتجلى في كلمته التي قرض فيها تاريخ الجزائر الجزء الثاني للعلامة مبارك الميلي تنويها بعمله إذ قال رحمه الله: «... فقلت له لو سميته حياة الجزائر لكان بذلك خليقا.. أخي مبارك إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة، أحيا ماضيها وحاضرها وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها..»(1)

وفي الجانب الديني: نجد أن العلامة مبارك الميلي استطاع فعلا بذكائه أن يصحح الكثير من الأفكار الدينية وبالخصوص العقدية منها معلنا بذلك جهارا نهارا حربه على تلك البدع والخرافات، وذلك من تأليف كتابه الشهير (رسالة الشرك ومظاهره) والذي غدا بعد ذلك يدرس في أكبر الجامعات في العالم الإسلامي، فكان هذا الكتاب بمثابة الآلة المطهرة للعديد من الأفكار الشركية والعبارات المشبوهة، كما يعدّ مظهرا أساسيا من مظاهر عبقرية هذا الرجل، يقول الشيخ صادق حماني في هذا "اقرأ رسالة الشرك ومظاهره.. ولكي تتبين أيضا كيف كان يمحد العقائد الزائفة بما هو الداء، وبما هو العلاج والدواء.."(2)

وفي جانب اللغة العربية: نجد الشيخ مبارك الميلي أنه كان يملك نظرة لا تقل أهمية عن نظرته لأهمية التاريخ والدين فبعد صدور جملة من القوانين والمراسيم الشاذة بما الخاص على اللغة العربية رأى أنه ينبغي الاستعانة بوسيلة في غاية الأهمية تعين هذا الشعب الضعيف على تمكنه من لغته ونشرها في وسط أبنائها وبذلك اتفق مبارك الميلي مع أستاذه وإخوانه إلى وسيلة الصحافة التي رأوا فيها أنها سوف تعطي درسا يوميا للشعب عن اللغة الوطنية وتساهم في تطويرها وتطويعها

1- محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإسلامية والحركة الوطنية، منشورات دحلب، الجزائر، د ت، ص 31.

2- الصادق حماني: مظاهر العبقرية في الشيخ مبارك، البصائر، العدد 27، السنة الثانية من السلسلة الثانية، مارس 1948، ص 2.

وجعلها مناسبة لشروط الحياة، وبالأخص إذا كانت هذه الصحف يومية ومستمرة دون انقطاع وغنية بالمواضيع المتنوعة من مقالات إلى مواعظ، إلى دروس إلى شعر ..إلخ، وذلك أنه بداية من سنة 1927 بعد ظهور جريدة المبشر، وكوكب إفريقيا وجريدة المغرب، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت النجاح، الإقدام، المنتقد ثم الشهاب والبصائر وجرائد أبي اليقظان، وفعلا رأينا كيف كان العلامة مبارك الميلي سباقا للكتابة في هذه الجرائد، يوجه ويوضح، ويؤكد وينفي ويصحح ويضيف ويحذف، مقالات غنية متنوعة على الرغم من أنه لم يكن من خريجي معهد الصحافة ومن المراكز المختصة ولكنه تمرس في الميدان، وفعلا كانت هذه النظرة صائبة إلى حد بعيد، قد فوّتت العديد من الخطط والحيل الاستدمارية على الشعب الجزائري وصدق في هذا قول أحمد سحنون:

شعبٌ أسير فكره بجموده	بتحرر الأوطان غير قمين
حررتَ من سوء اعتقاد بالذي	حررته في الشرك من تبيين
وجلوت تاريخ الجزائر بعدما	عفى معالمه غبار سنين
أحكمت من لغة البيان أصولها	وجمال أسلوب أغر مبين[1]

– مسالة الإبتعاد عن السياسة وفصل الدين عن الدولة:

دعوة الشيخ مبارك الميلي للسير في سبيل العلم والمعرفة والدعوة إلى الإصلاح الديني والتربوي واضحة، والابتعاد عن السياسة أمر في غاية الصراحة، والحقيقة أنه دعا إلى ذلك ليس إيمانا بهذه الفكرة، ولكن لما في تطبيقها من منفعة ومصلحة للإسلام والمسلمين، ففي هذه الرؤية تحرير للدين من سلطة الاحتلال التي استغلته لخدمة أغراضها الضيقة، كما أن الشيخ مبارك كان يرى أن معالجة المسائل السياسية في هذه الفترة الزمنية التي يعيشها المجتمع والشعب الجزائري ضربا من الانتحار، فكيف لهذا الشعب الذي لا يحسن القراءة والكتابة ولا يدرك حقيقته أن يهتم بالأمور السياسية، لذا فكان يرى أن هذه المرحلة لابد وأن تكون مرحلة نشر الوعي، مرحلة إدراك الذات

1– أحمد سحنون: أعظم السورة، البصائر، العدد26 من السنة الثانية السلسلة الثانية مارس 1948، ص7.

143/377

144/377

ومعرفة الأصل والمأصول، وإصلاح عقيدته حتى يستقيم مزاجها وكما كان يرى أن الوصول إلى تغيير المجال السياسي لا بد وان يمر أولا عبر تغيير السلوك والتصور.

كما أنه رأى في الابتعاد عن السياسة ،كون هذه الأخيرة من شأنها أن تعرقل النشاط الإصلاحي التربوي الذي يصبو إليه، لذا نؤكد على أن الشيخ مبارك الميلي كانت له رؤية يتقاسمها مع اخوانه في جمعية العلماء، وهي بداية الطريق خطوة ومن سار على الدرب وصل، وأول خطوة هي التربية ونشر الوعي، وهذا فعلا ما لوحظ في القوانين السياسية لجمعية العلماء، يقول الشيخ مبارك في هذا "إن كنت باحثا في علل انحطاط الأمم، فلن تجد كالشرك أدل على ظلمة القلوب وسفه الأحلام، وفساد الأخلاق...وإن كنت باحثا في علل عن أسباب رقي الأمم فلن تجد كالتوحيد أطهر للقلوب وأرشد للعقول، وأقوم للأخلاق.."(2).

أما فصل الدين عن الدولة، فهذا كما قلنا سابقا فيه تحرير للدين من سلطة فرنسا، لذا كانت تسعى فرنسا للتمسك بالمساجد لتجعل منها وسيلة لهدم الدين الإسلامي واذا كانت فرنسا لا تتدخل في شؤون الديانة المسيحية واليهودية، فإنها تمسكت بإدارة شؤون الدين الإسلامي، وغرضها واضح، هو إبعاد التدين الصحيح عن الشعب الجزائري، وهذا لدرايتها بقدرة القرآن على أنه وقوة روحية وأنه محرك عظيم لنفوس المسلمين، لذا كان الشيخ مبارك الميلي وإخوانه يطالبون بأن تكون مساواة في المعاملة مع بقية الديانات الأخرى.

ولعمري إن نظرة الشيخ مبارك هذه هي عين السياسة ولبها، وما يمكن قوله هو تلك الحكمة والفطنة والشجاعة والحزم، وهي تلك النظرة المتوازنة الصادقة الهادية، فقد تأكد أن الانشغال والحديث في أمر السياسة هو حديث عن الاحتلال الفرنسي ثم إن السياسة لن تقوى على معالجة

2- مبارك الميلي: الشرك ومظاهره، البصائر، العدد5، السنة الثانية من السلسلة الثانية جانفي 1936، ص.1

تلك الآفات الاجتماعية في المجتمع الجزائري لذا رأى أنه لابد من مناسبة الدواء للداء وإلا ما حدث الشفاء.[1]

- مسألة التجنيس:

لقد أخذت مسألة التجنيس حيزا واسعا من اهتمامات جمعية العلماء، وأسالت الكثير من الحبر في الصحف المختلفة، هذا وقد وقفت الجمعية وقفة ثابتة بلغة صريحة واضحة اتجاه هذا المشروع، واعتبرت أن المواطنين الجزائريين على الرغم من كل المغريات فإنهم "لن يقبلوا لا التجنيس ولا أي حق امتياز مشروط بالتجنيس، فإنهم يفضلون الموت فقراء مجردين من كل شيء صما وبكما على أن يعيشوا متخلين عن دينهم.."[2] بل اعتبرت المتجنس بجنسية غير إسلامية خارج عن دينه، وشددت في هذا إلى درجة أنه انتقل من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر.

كما ونجد موقف الشيخ مبارك الميلي يسير في هذا الرأي، إلا أنه كان أكثر حكمة ودهاء، ونظرة مستقبلية ثاقبة، فقد اعتبر رحمه، أن هذه المسالة لا ينظر إليها من زاوية واحدة، وأن من تجنس بجنسية فرنسية فقد تخلى عن دينه وارتد، وإنما فرق بين التجنس والمتجنس، يقول رحمه الله "..وأخيرا يجب أن يفهم أن الجمعية تفرق بين التجنيس والمتجنس: فالتجنيس معنى منكر شرعا ليست له ناحية ترضى والمتجنس شخص فيه صفات مرضية ومشروطة فإذا أتانا بجهته المرضية قبلنا وسررنا به وتركنا له ناحيته الشخصية، وإننا لنعلم أن الحياة لا تستقر إلا مع التسامح والتجافي عن التعصب.." [1]، وبذلك بين للجميع أن الجمعية لم تحدث شيئا جديدا أو غريبا

1- **سليم مزهود:** مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي، رسالة ماجستير مخطوط نوقش بكلية الآداب جامعة قسنطينة، 2005-2006، ص 130

2- **أحمد الخطيب:** جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ص16، نقلا عن **زليخة بوقرة:** سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، رسالة ماجستير، مخطوط نوقش بجامعة باتنة، 2008-2009م، ص169.

1- **مبارك الميلي:** التجنس وفتوى جمعية العلماء فيه، البصائر، ع 10 من السنة الثالثة فيفري 1938، ص2.

سلوكا قذرا، فالجمعية معهم، إن شاءوا العمل المشترك على ما كانت عليه، وهي تسالم من يسالمها وترغب في المسالمة وتقبل العمل مع من يسعى لصالح الجزائر وتؤيده في تلك الدائرة.(1)

أما الإندماج فقد كان العلامة الميلي يملك رؤية واضحة لها فقد كانت مواقفه صريحة وواضحة وضوح الشمس في النهار، ولأنه أدرك أن الاحتلال ينادي بمثل سياسية ويعامل الشعب الجزائري بنقيضها ولم يبق له إلا إعلانه بسياسة شرعية نظيفة المبادىء، طاهرة المثل، مستوحاة من مبادىء القرآن والسنة، يقول في هذا: "..إن سياسة الأندماج هي القبر الذي لا نشور بعده، وهي بعيدة عن الأمة وأخلاقها وعقائدها، فهي سياسة عقيمة والمنتصر لها غير حكيم، وإن البقاء عن الحالة التي نحن عليها خير من الإندماج لأن حياة منحطة خير من ميتة شاذة عن ميتة الأمم.."(2).

وبذلك أضاف العلامة الميلي صفحة مشرقة أخرى إلى صفحات الفكر السياسي الإسلامي، انطلاقا من نهجه السلفي وهذا ما أظهره رحمه الله كمفكر قبل كل شيء، وكان أصدقاؤه يسمونه الفيلسوف ومنظر للحركة الاصلاحية في الجزائر باعتباره أثرى الساحة الفكرية بأساس إيديولوجي للحركة الاصلاحية (رسالة الشرك ومظاهره) ومرجع هام في التاريخ، عبر عنه علي مراد بقوله: "يملك وسائل كفيلة بدعم دعوته الدينية والسياسية ... وإثبات الشخصية الجزائرية في الواقع وانتمائها العربي الإسلامي، هذه الرؤى الفكرية الاصلاحية التجديدية من طرف الميلي كان الواقع الجزائري محكا لها في مواجهة عنيفة على صفحات الجرائد.."(3).

1- المرجع نفسه، ص2.

2- عبد اللطيف عبادة: العلاقة بين الفلسفة والسياسة، نقلا عن **علي بن الطاهر**: مبارك الميلي جهود متميزة في الحركة الإصلاحية الوطنية، الرحاب للطباعة والنشر ط1، قسنطينة، 2016، ص 62.

3- المرجع نفسه، ص63.

أ. سفيان عبد اللّطيف

جامعة أحمد بن بلة وهران

شيوخ الإحياء بمنطقة جيجل
- ودور الوساطة بين ثورات الزوايا ونضال الحركة الإصلاحيّة -

إن الباحث المتبصّر في تاريخ جبال منطقة جيجل ليحتارُ من الزخم العلميّ والثراء الفكري والإباء الثوري عند أهل هذه المنطقة الممتدة بين القل وبجاية، وبين ساحل البحر وميلة، والتي لا نرى من المبالغة شيئا في القول بأنها منطقة ولَّادة للعُلماء حصينة على الدّخلاء، وتعود وحدتها البشرية إلى القرون الأولى لاستيطان قبايل كتامة في حوالي القرن 11 ق.م. ومنذ البروز الأول للدور العلميّ الذي تبوأته المنطقة في العصور الإسلاميّة الوسطى بدأت منارات علميّة تسطع للمسترشدين.

لقد نشأت الحركة الفكرية العلمية في البداية على شكل جهود فردية من بعض المشايخ والعلماء الذين ينتصبون للتدريس في المساجد والحِلَق، فيشتهر اجتهادهم ويُقبِل النّاس على اقتفاء أثرهم، ثم ينشأ لأولئك العلماء تلاميذٌ ينتهجون منهجهم وينشرونه، فانبثقت هيكلة جديدة لهذه الجهود الفردية في مؤسسات علميّة أُطلق عليها مؤسسة (الزّاوية)، كان ذلك قبل أن يدخل على هذا المفهوم ما دخل عليه بعد ذلك من التحريف والتخريف، وقد انتشرت هذه المؤسسات في كامل القطر المغاربي، وأخذت على عاتقها مهمة تعليم القرآن وعلوم الدين والتكفل بأهله، فكان لها مع المساجد الدور العظيم في الحفاظ على الإسلام، وآنذاك نالت سلطةً واسعة بين الناس وكسب شيوخها وطلبتها ثقتهم، فاستغلت الدُّويلات المتداولة على حكم بلاد المغرب هذه السّلطة الدينيّة، وأدخلت شيوخ تلك الزوايا التعليميّة مُعترك السّياسة للاستعانة بهم في بسط النفوذ وتوسيعه، وكان لهم مقابل ذلك جملة من الامتيازات مثل الإعفاء الضريبي والحماية الأمنيّة والإعانات المالية.. وغيرها[1]، فانحرفت بعض الزوايا عن أداء مهمتها العلميّة إلى أداء أدوار سياسيّة، ونشأت زوايا أخرى وهميّة شيوخها مشعوذون ودجالون بإيعاز من الدول المتصارعة. كان هذا حال القطر المغاربي في مجمله، وحال منطقة جيجل على وجه مخصوص، والتي جعلها دخول بعض الزوايا حلبة صراع الموالاة بين دول الموحدين والحماديين والحفصيين والعثمانيين والفرنسيين من بعدهم تغطّ في ظلام الجهل والشرك من جديد.

ومع وصول القرن التاسع عشر كانت الزوايا العلميّة بمنطقة جيجل قد غرق معظمها في الممارسات الشركيّة، وانتشر في مناهج تعليمها عقائد فاسدة وممارسات بعيدة عن الإسلام، تعتمدُ أساسًا على استخدام الجنّ وتسميهم بأسماء من مثل (الملايكة، الصلاّح، أولاي الله.. وغيرها)، ولم ينج منها إلا بعض مؤسسات الزوايا العريقة التي صمدت إلى آخر القرن التاسع عشر، ووقفت في وجه الغزو الاستدماري الفرنسي إلى المنطقة، وجاهدته بما استطاعت إلى أن انهزمت وقضى

1- Voir : L. Charles FERAUD: Zebouchi et Osman Bey, Revue Africaine, Tome 06, 1862, p121.

على أغلبها وأحرق مكتباتها وقتل شيوخها، وولّى عليها أتباعًا موالين له أغرقوها في الزيغ والضلال والممارسات الشركيّة، بل وكلّف من عنده بعض المشعوذين بقيادة زوايا وهمية بأسماء بعض الطرق، فانحرف مسار الحركة العلميّة، ونشأت إذاك ضرورة إحياء الدين الصّحيح، فتجنّد له بمنطقة جيجل علماء أفذاذ صمدُوا في وجه الاستبداد، ثم انبجست الحركة الإصلاحيّة على يد جماعة من المهاجرين إلى الزيتونة، فأخرجت لمنطقة جيجل وغيرها علماء أجلاء، أسهمُوا إسهامًا منقطع النظير في تواصلٍ علميّ جادٍّ وصل مداه إلى عصرنا هذا، واستفادت منه أجيال كثيرة متعاقبة، وفي ضوء هذه المسيرة التاريخية للحركة الدينية بمنطقة جيجل، يمكن أن نقسم علماءها إلى ثلاثة أجيال متعاقبة أخذ بعضُها عن بعض أخذ العارفين وورث عنها تركة الأنبياء الخالدين:

- **جيل شيوخ الزوايا:** الذي أخذ بزمام حكم المنطقة لزمن طويل، وأشهرهم ذكرًا المشايخ: محمد ابن الأحرش الدرقاوي الفاسي[1]، شيخ الدّرقاوية الذي ثار على حكم الأتراك وأسس دولة عاصمتها وادي الزهور عند بني فرقان الميليّة استطال زمنها من 1801م إلى 1807م، ومحمد المقراني الإدريسي الجيجلي النازل بزاوية بني سيار عام 1621م الذي تبنى الرحمانية بعد ذلك وقاد منطقة جيجل طيلة زمن الأتراك[2]، وسعد العتيق الطولقي الميليّ الذي نزل بالميليّة في القرن 17م وتوارث أبناؤه المشيخة العلمية والدينية إلى وصول غزو الفرنسيين ومقاومته في ثورة أولاد عيدون

1- انظر: **أحمد بن المبارك ابن العطار**: تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر 2011، ص 111، **والنظر: صالح بن محمد العنتري**: تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1991، ص 66-67-68-69، **والنظر: محمد ابن عبد القادر الجزائري**: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية مصر 1903، ص77، وانظر: **صالح عباد**: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2005، ص24.

2- Voir : **Louis RINN:** Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, Librairie Adolphe JOURDAN, ALGER, 1891, livre 1, p54-55.

وقبايل الوادي الكبير[1]، ومحمد بن فيالة الحبيباتني خليفة زاوية سيدي وارث في بني حبيبي الذي قاد ثورة على الفرنسيين مع ابن عمه مولى الشقفة عام 1871م، والحسين بن أحمد الشريف مولى الشقفة البدريّ خليفة زاوية عبد الله مولى الشقفة في بني بدر الذي قاد مع ابن عمه بن فيالة ثورة 1871م التي ذكرنا[2]... وغيرهم جمٌّ كثير، يحتاج كل واحد منهم إلى بحث مستفيض لإحياء ذكره وبعث مآثره وذكر أفضاله الجزيلة على المنطقة والجزائر كلها.

- **جيل المُحيين**: الذين انبعثوا من رحم الزوايا بعدما انحرف منهجها بفعل السياسة ليحفظ الله بهم العلم والدّين الصحيح، خصوصًا عقب الإبادة البشرية والأثرية التي مارسها الفرنسيون على أهل المنطقة بعد انهزام المقاومة الشعبية سنة 1871م، ومن أشهر هؤلاء الشيوخ العلماء: أحمد مرازقة الحبيباتني، وبلقاسم بن منيع التاكساني، وأحمد دويدة الطاهيري، وأحمد بن الطاهر مزهود المباركي، ومبارك براهيمي الميليّ، ومحمد حمّاني العنصري، ومحمود كيعموش البازولي، ومحمد درويش الميلي... وغيرهم من الذين حملوا همّ إحياء الأمّة بعد تعرضها للتقتيل والتشريد والتجهيل، وسيأتي تفصيل القول عنهم في هذه المداخلة.

- **جيل المُصلحين**: الذين خرجوا بين يدي الشيوخ المحيين أو أنبتتهم جمعية العُلماء المسلمين الجزائريين وهم كثر أشهرهم: محمد الطاهر ساحلي، ومحمد الصّالح بن عتيق، ومحمد الزاهي الميليّ، وأحمد حمّاني، ومسعود بن حميود[3].. وغيرهم كثير جمّ تجاوز مائة وستين (160) عالما

1- انظر: **محمد الصالح بن عتيق**: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب البليدة، 1991، الغلاف.

2- انظر: **سفيان عبد اللطيف**: التاريخ الكامل لمنطقة الميلية، دار نوميديا للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر، 2013، ص242.

3- انظر: **محمد الحسن فضلاء**: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحرّ بالجزائر، منشورات غرناطة الجزائر، ج1، ص81.

مصلحًا[1]، وهؤلاء هم الذين أسهموا في النهضة الفكرية الجزائرية مع شيخهم العلاّمة عبد الحميد بن باديس[2]، والكلام فيهم يطول إلى مجلدات، ليس هذا مقام التفصيل فيه.

ولكن مما يؤسف عليه أن نرى إهمال المؤرخين لحق منطقة جيجل في الذكر والاعتزاز بهؤلاء العلماء الأجلاّء، وانصرافهم إلى دمج أبنائها في من يحيط بهم من كبار الحواضر، حتى ظهرت كأن لها دورًا بسيطًا ثانويًا في العمل العلميّ الوطنيّ، بينما تُحمَدُ الجهود التي تبذلها بعض المؤسسات لجمع شتات المعلومات التاريخية الكثيرة عن هؤلاء المشايخ العلماء وأعمالهم التي تركوها، مكتوبة كانت أو في تلاميذهم الذين ورثوا عنهم تركة الأنبياء.

وإن كانت منطقة جيجل قد تميّزت بهذا التقسيم لشيوخها، والذي وجد جيلاً وسيطًا بين (مؤسسة الزاوية العلميّة) التي أبادها صراع الدويلات المغاربية، وأكمل عليها الاستعمار الفرنسي الذي حرّف منهج ما بقي منها، وبين (جيل الحركة الإصلاحيّة) الذي شهد بعثة الأمة الجزائرية المضطهدة، فما هو الدور التي أداه شيوخ (جيل الاحياء الديني) في تأصيل الجهد الإصلاحي بمنطقة جيجل وربط تيار المصلحين الجدد بجهود المصلحين الأوائل من شيوخ الزوايا؟؟ خصوصًا في ظل التصوّر السائد عن وجود صراع عنيف بين الفكر الإصلاحي وفكر الزوايا؟؟

1- الظروف التاريخيّة لنشأة جيل المحيين:

يشهد المؤرخون الفرنسيون أنفسهم بأن الجزائر كانت في مستوى مرموق من التعليم، وأن مساجدها وزواياها كانت عامرة بالطلبة وتقوم بمهمتها التعليميّة على أكمل وجه، وقد ذكر لويس رين (Louis RINN) في كتاب سماه (Marabouts et Khouans) أن الأوضاع الدينية والعلميّة في الجزائر كانت مستقرة والعلم كان منتشرًا، مع الإشارة إلى انحراف بعض الزوايا

1- انظر: خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، دار البصائر الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ج3، ص من 07 إلى 103.

2- انظر: خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، مرجع سابق، ج3.

عن مهامها العلمية لأغراض سياسية على أيدي بعض الأشخاص[1]، وقد كانت منطقة جيجل الخارجة عن السلطة السياسية الفعلية للأتراك العثمانيين تحتكم سياسيا وعلميًا إلى شبكة متصلة من الزوايا العلميّة، أشهرها:

- زاوية الشريف مولاي (أحمد العابد مول الشقفة) بمنطقة الجمعة بني حبيبي الذي يدلُّ شاهد قبره على أنه متوفى عام 1538م، والتي سميت بعده بزاوية (سيدي وارث)، وكانت لها امتدادات في الناحية الشرقية لمنطقة جيجل إلى منطقة بني بلعيد التي نزل بها ابنه مولاي (عبد الله مول الشقفة)، ومنطقة تالقدور والشرفة بالميلية التي نزل فيها أحمد العابد نفسه في رحلته التعليمية وتزوج فيها وترك بها أبناءً وفرعًا لزاويته، ثم منطقة برقيدة بالسطارة التي ترك فيها أيضًا أولادًا وفرعًا آخر لزاويته.

- زاوية الشريف (سيدي محمد المقراني) النازل بمنطقة بني سيار عام 1621م، والتي نزل منها أبناؤه إلى مدينة جيجل وتولّوا قيادتها السياسية والدينيّة إلى زمن الفرنسيين، وقد كانت لهم فروع متوزعة لزاويتهم التي تولّت المسؤولية العلميّة في جميع أنحاء منطقة جيجل، وانتشر أبناؤها المقرانيون فوصلوا إلى ميلة وسكيكدة والقل وقسنطينة، واستمر نشاطهم العلميّ إلى غاية الدخول الفرنسي.

- زاوية سيدي (سعد العتيق الطولقي) النازل بمنطقة أولاد عيدون الميلية في القرن 17م، والذي ورث عنه أبناؤه مشيخة هذه الزاوية والتعليم الديني إلى غاية زمن الفرنسيين، وانتشر علماؤهم حتى بلغوا حاضرة قسنطينة، واستمر عملهم العلمي حتى في زمن الفرنسيين بالرغم من المضايقات.

هذه الزوايا وغيرها مثل القادرية في (بني صبيح)[1] بالسطارة، أو الحنصالية في (أولاد بوزيد) بالميلية.. وغيرها، هي التي قادت الثورات الشعبية على الفرنسيين، فأعلن سيدي (الطاهر مقراني)

[1]- **Voir** : **Louis RINN:** Marabouts et Khouans - Etude sur l'Islam en Algérie, Librairie Adolphe JOURDAN, ALGER, 1884, p15-16.

الجهاد لتحرير مدينة جيجل عام (1839م-1943م)[2] وأزيلت زاويته ومشيخته بعد انحزامها، وأعلن سيدي (رابح بن عتيق) الجهاد في ثورة أولاد عيدون وقبايل الوادي الكبير (1851م-1871م) وأزيلت زوايته ومشيخته على إثرها أيضا، وقاد الخليفان الرحمانيان (سيدي محمد بن فيالة ومولاي الحسين مول الشقفة) ثورتهما عام 1871م فألقي القبض عليهما وهُدمت زاويتاهما كذلك، وبذلك أحكم الإستدمار قبضته على منطقة جيجل، من خلال قتل علمائها وهدم زواياها العلميّة ومدارسها وكتاتيبها، ومنع التعليم الديني بتهمة التحريض على الوجود الفرنسيّ بمفهوم الجهاد، ثم تبنى بعدها سياسة التجهيل والتضليل، فشجع الزوايا المنحرفة وحرّض المشعوذين والدجالين على إنشاء زوايا جديدة تتبنى الضلالات والبدع الشركيّة والخرافات، فعاد بالمنطقة إلى زمن الجاهليّة.

2- خروج جيل المحيين بجيجل من رحم الزوايا:

بعدَ مسخ الزوايا الجيجليّة والقضاء على ما بقي منها محافظًا على المنهج السليم، أصبحت منطقة جيجل تحت سيطرة الشعوذة والدّجل بتشجيعٍ من سلطة الفرنسيين، ولم يعُد ثمة مؤسسات علميّة جادّة تضطلع بمهمة الحفاظ على الدين الإسلاميّ والهوية الجزائريّة، فعاد العملُ الفرديّ من جديد إلى واجهة الدّعوة الإسلاميّة فيها، لكن أهله اختاروا هذه المرة الخروج إلى المناطق القريبة التي مازالت فيها زوايا تعليميّة ومساجد علميّة، مثل ميلة وقسنطينة وبجاية، أو البعيدة الشهيرة لمن استطاع إليها سبيلاً وعلى رأسها جامع الزيتونة وجامع الأزهر وجامع القرويين، ثم رجعوا بعدها إلى منطقة جيجل ليحاربوا ما انتشر فيها من الزيغ والضلال، وسنقدّم هنا فيما يسمح به بحث

1- **Voir** : **Octave DEPONT et Xavier COPPOLANI:** Les confréries religieuses musulmanes, Librairie Adolphe JOURDAN, ALGER, 1897, p312.

2- انظر: مريم مالكي: المقاومات الشعبيّة للاستدمار الفرنسي بمنطقة جيجل، مذكرة ماستر في اختصاص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة، 2015، ص40.

من حجم المقال تراجم لبعض النماذج التي اجتمعت عندنا المعلومات الكافية لعدّها من جيل الإحياء الديني بمنطقة جيجل، لنستشف من حياتهم أمثلة عن طبيعة تكوينهم وكيفية أدائهم لدورهم الذي ذكرنا في سياق الظروف التاريخية التي كانت تمر البلاد آنذاك.

الشيخ العلاّمة أحمد دويدة

هو أحمد بن علي بن محمد بن دويدة، توفي سنة 1938م وسنه يناهز 80 سنة، لذلك يمكننا تقدير سنة ميلاده بنحو عام 1858م، ولد بأولاد جلاّل من منطقة بسكرة أين عاش سنيّ حياته الأولى، وحفظ القرآن الكريم فيها وأخذ من علوم الدّين الإسلاميّ نصيبًا واشتغل بالتدريس، ثم تاقت نفسه للسفر طلبًا للعلم، فقصد تونس وانخرط في طلبة جامع الزيتونة عام 1895م، ودرس على كبار مشايخها من أمثال محمد النخلي والصادق النيفر وعثمان خوجة وغيرهم... وظل هنالك ينهل من العلوم المختلفة إلى أن تخرج عام 1901م بشهادة العالميّة، وغيرهم..

وبعد تخرجه عاد إلى الجزائر ونزل بولاية جيجل مدرّسًا في زاوية (بني سيّار) من منطقة الطاهير، فنال هنالك احترامًا عظيمًا وسمعة واسعة جعلت الفرنسيين يخافون العواقب، فعيّنوه إمامًا ومُفتيًا وقاضيًا بمدينة الطاهير قريبًا من عيونهم، فبنى هنالك مسجدًا سُمّي عليه (مسجد سيدي أحمد) وانتصب فيه يُلقي الدّروس والمواعظ، وتزوج بامرأة من بني بلعيد تسمّى (بنت نحّال) وولد له هنالك ابنه (محمود دويدة) عام 1905م[1]، ودرس عليه خلقٌ كثير من أهل تلك الناحيّة ومنهم ابنه محمود.

وفي عام 1920م عاد إلى بني سيار فولد له هنالك ابنه (محمّد)، ثم نقله الفرنسيّون عام 1925م إلى الميلية فتولّى فيها مشيخة المسجد الكبير بعد مغادرة إمامه الشيخ طيّار الذي تعود أصوله إلى

1- انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998، عن الموقع الرسمي لمعجم سعود البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، www.almoajam.org، يوم 2016/01/15، ساعة 22:20.

ميلة، فقام فيه مصلحًا وداعيًا للمذهب المالكي وتولى فيه التدريس فتعلّم على يديه كثير من العلماء منهم الشيخ بلقاسم بورزامة ومسعود زطال والشيخ محمد الصالح ابن عتيق وغيرهم.

كان له اتصال مع أخيه الشيخ (محمد بن دويدة) الذي نزل في (أم الطوب) بمنطقة القل، والذي كان دليل ابن باديس في رحلاته[1] وتوفي ودفن فيها وضريحه هناك، أما الشيخ أحمد فقد دعاه ابن باديس للالتحاق بجمعية العلماء المسلمين فاعتذر لانشغاله بالدعوة في الميلية وضواحيها.

وفي عام 1936م أقام الشيخ أحمد حفل زفاف ابنه محمّد، فحضره ابن باديس وألقى فيه موعظة بليغة للناس، ثم أرسله إلى جامع الزيتونة، ولكنه لم يكمل دراسته لحاجة أسرته إليه بعد وفاة الشيخ، إذا توفي الشيخ العلاّمة أحمد دويدة بعد ذلك بسنتين عام 1938م، فصلّى عليه ابن باديس وأبّنه بحضور علماء المنطقة، ودفن بمقبرة (سيدي سعد العتيق)، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه وجزاه خيرًا عن الأمة الجزائرية جمعاء.

لم يصلنا من آثار الشيخ أحمد شيء، فقد شهد حفيده (عبد الوهاب) أنه في سنة 1955م، هجم الفرنسيون على بيته واعتقلوا أباه (محمد دويدة) ووضعوه في السجن ستة أشهر، ثم استولوا على كل مؤلفات الشيخ أحمد وابنه محمود المخطوطة وأتلفوها، ذكر منها بعض العناوين: (دليل في الفقه)، و(دليل في السيرة النبوية)...

وبالرغم من أن الشيخ (أحمد دويدة) خرج من رحم زوايا أولاد جلال ودرّس فيها ثم درس بالزيتونة، إلاّ أنه أدّى دور الإحياء في منطقة جيجل التي نزل بها عالما، وكانت صلته بالملة الإصلاحيّ في تونس متينة مثله نظيريه ابن باديس وابن منيع وسيأتي ذكر ذلك.

الشيخ العلاّمة بلقاسم بن منيع

1ـ آثار ابن باديس: عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، تحقيق عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1968م، ج4، ص 299.

155/377

156/377

هو بلقاسم بن عبد الله بن بوجمعة بن منيع العمرانيّ التاكساني، ولد عام 1870م، أو 1875م على خلاف بين المؤرخين[1]، في أسرة (بن منيع) من فرع (آمنيعن) من عرش (بني عمران الجبالة) من قبيلة (بني عمران) الكبرى بجبال تاكسانة وساحلها من منطقة جيجل.

انشغل بلقاسم الصغير بتعلم اللّغة العربيّة وحفظ القرآن في كُتّاب آمنيعن بتاكسانة، حتى أحاط بحفظه واستظهر على مشايخ قريته شيئا لا بأس به من علوم القراءة وحسن التلاوة، فأهّله ذلك إلى السفر طلبا للعلم، وانتقل عام 1888م إلى زاوية (سي الحسين القشي)[2] بناحية ميلة، وهنالك أحاط درس اللغة والفقه والتاريخ والحساب، فقد ذكر عمر بن قينة أنه أحاط هنالك بالكثير من المتون لمختلف العلوم، منها متن (الأجرومية) و(أم البراهين) و(الرحبية) و(الجوهر المكنون) و(المرشد المعين)، كما حفظ الكثير من شعر الزاهدين والشعر العربي القديم[3]، وبعدها انتقل إلى جامع الزيتونة عام 1894م، وانخرط في طلبته ودرس على أشهر مشايخه حينها محمد النخلي والصادق النيفر وعثمان بن خوجة... وغيرهم كثير من علماء الزيتونة، فنبغ عندهم وسطع نجمه وبقي يطلب العلم إلى أن نال شهادة العالمية سنة 1901م.

عاد إلى قريته تاكسانة في أعالي جبال جيجل، وأسس فيها مسجدًا (يحمل اليوم تسميته)، ونزل هنالك يدرّس التلاميذ من هذه القرية وما حولها، وفي هذا الزمن كان له اتصالات كثيرة مع مشايخ المنطقة الذين عاصروه من أمثال الشيخ العلامة (أحمد مرازقة الحبيباتني) المدرس بجامع

1_ ذكره **عمر بن قينة** في كتاب (صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث) من مواليد (1292هـ - 1875م)، بينما يذكره **عادل نويهض** في كتاب (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر) من مواليد (1287م – 1870م)، وتورد شهادة ميلاده أنه في سنة 1890م كان سنه 15 سنة، وهو ما يرجح رأي بن قينة، ولم يهتد بحثنا إلى غير ذلك.

2_ **وردت في المراجع (القيشي) و(القبشي) و(القشي)** ولكنه يقرب عندنا أن تكون **(القشي)** نسبة إلى قبيلة بني قشة من سدويكش كتامة بالمنطقة بين ميلة وفرجيوة، وتسمى أيضا **(الزاوية الحسينية)**.

3_ **عمر بن قينة**: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا ومواقف، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر، 1993، ص211.

سيدي الكتاني بقسنطينة، والشيخ (محمد حماني) شيخ قبايل تامنجر، والشيخ (الطاهر ابن زقوطة) شيخ زاوية وادي العثمانية بقسنطينة، وفي عام 1908م استدعاه أهل زاوية (سي الحسين القشي) بميلة، فنزل عندهم مدرّسًا وفقيهًا ومفتيًا، فدرس على يديه تلاميذ كثر نبغوا بعده من أشهرهم الشيخ محمد العربي ابن التباني السّطايفي، والشيخ مبارك براهيمي الميليّ، والشيخ محمد الطاهر ساحلي والشيخ لخضر علاوة شهير وغيرهم تلاميذ كثر..

ألّف قصيدته الرائعة المستصفاة (نزهة اللبيب في محاسن الحبيب)، وهي نادرة عصره في مدح النبي المختار محمد عليه الصلاة والسلام، وهي قصيدة طويلة رائعة بديعة تزيد على أربعمائة بيت، وفي الثالث من شهر صفر 1340هـ الموافق لعام 1922م، انتقل إلى الزاوية الكتانية بقسنطينة وقرأ قصيدته على شيخها (محمد عبد الحي الكتاني الفاسي)، فشكر قريحته الشعريّة ومدحهُ للنبي بقصيدته الرائعة البهيّة، قال: "...أما بعد، فقد وقفت على هذه الخريدة الغناء، والبهجة السّنيّة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، تتفجر فرائد الفوائد من جمل خطابها، منظومة الفقيه العالم العلم، الركن المستلم، المشارك الألمعي، المدرّس المطلع العبقري سيدي بلقاسم بن منيع الجيجلي مدرّس الزاوية الحسينية بالعمالة القسنطينية..."[1].

ثم استعرض عليه ما يتقنه من علوم الدّين واللّغة والعلوم الأخرى، فأجازه إجازة عامة تامة في العلوم كلّها، وعجب لعبقريته الفريدة قال: "...في 03 صفر الخير عام 1340 هـ يقول العبد المفتقر محمد عبد الحيّ الكتاني أجزتُ العلاّمة سيدي بلقاسم المنيعي المذكور أعلاه بجميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، إجازة عامة مطلقة تامة كما أجازني أشياخي العظام..."

وكانت للشيخ بن منيع علاقة طيّبة جدا مع ابن باديس، ولا يبعُد عندنا أنه التقى به في قسنطينة وقرأ عليه قصيدته أيضا، لأن ابن باديس نشر له شيئا منها في جريدة (الشهاب) لعدد 13 ماي 1926م، وقال عنها بنفسه معلّقًا ومقرّظا: "منظومة غرّاء وروضة غنّاء، في الأسماء النبويّة والمعجزات المصطفويّة، بكلام بليغ وأسلوب بديع، جمعت بين الرصانة العلميّة والعذوبة

1– بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، 1926، ص51.

الشعرية..."، وطبعت بعد ذلك يوم 29 رمضان عام 1344هـ الموافق لـ 12 أفريل 1926م بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة مذيّلة بإجازة الشيخ الكتاني، كما ثبت أنه كتب قصائد أخرى متفرقة كثيرة، في المديح النبوي والرثاء، ولكنها مفقودة في أيدي تلاميذه، ونال إجازات أخرى من مشيخة جامع الزيتونة، فهو بذلك شاعر بليغٌ وأديب أريبٌ، وفقيه مفوّه، وعلاّمة جليل، ولغويّ جهبذ، ومصلح مجتهد، ومدرّس بالغ الدراية.[1]

في سنة 1933م، سارت قافلة الحج من قسنطينة، فركب فيها حجاج كثر من منطقة جيجل من بينهم الشيخ أحمد مرازقة الجبيباتني وبلقاسم بن منيع ومحمد الطاهر الساحلي والطاهر ابن زقوطة والشيخ محمد بولجبال.. وغيرهم، وهؤلاء الشيوخ الذين حجوا معه من الذين عاصروه، نزيد عليهم ما كان يربطه من صداقة مع الشيخ محمد حماني العنصري، وكذلك الشيخ العلامة أحمد دويدة، والشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس الصنهاجي، وتلاميذه الشيوخ محمد الطاهر ساحلي الجيجلي، ومبارك ابراهيمي الميليّ ومحمد العربي ابن التباني السطايفي وغيرهم..

وفي سنة 1938م عاد الشيخ بن منيع إلى تاكسانة، وواصل دعوته بها، ويذكر السعيد بوطاجين الكاتب أن جده كان في جماعة من أهل تاكسانة الذين لبوا نداء المقاومة سنة 1945م، وعزموا على تفجير صراع مسلح، ولكن الشيخ ابن منيع نصحهم بالتريث يقول بوطاجين: (في أحد نوادر هذه الضيعة خبأ جدي السلاح استعدادا للحرب، وقد بدأ أول هجوم على المعمرين في سنة 1945، لكن العالم الجليل الشيخ بلقاسم بن منيع التاكساني . أحد المقربين من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . نبه إلى ضرورة التنسيق والتريث.).[2]

1- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، موسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2،، 1980م، ص322-323.

2- السعيد بوطاجين: بلاد العوج والمهملات، موقع الجزائر نيوز (http://www.djazairnews.info/trace/37-trace/56091----4-.html)، 15 أفريل 2013، 17:30.

وقد يلتبس على الباحث في حياة الشيخ أن تسميته مشابهة لتسمية (بلقاسم بن منيع) آخر عاش بين أعوام 1845م، وهو ابن عمّ بعيد لوالده كان مواليا للمستدمرين الفرنسيين ودليلاً لهم في غزو المنطقة، فلا يقعن في وهم الباحث الخلط بين هذا الرجل العلاّمة المولود عام 1875م وذلك المخلوق البائس المعاصر للزمن الأول لدخول الفرنسيين، فإنه لم يثبت عند الباحثين أن الشيخ العلاّمة بن منيع تعامل مع الفرنسيين في شيء عدا تسجيله في الحالة المدنيّة، لأنهم كانوا يخافون من قدره العلمي.

وفي عام 1954م، تاقت نفس الشيخ بلقاسم بن منيع إلى زيارة حبيبه الذي مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالمدينة المنوّرة، فذهب لأداء فريضة الحج للمرة الخامسة رفقة تلميذه الشيخ لخضر علاّوة شهير، فأحسن في تربيته وأبلغ في توصيته، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو ساجد بالمسجد النبوي الشريف، فدفن بمقبرة حي (البساتين) جنوب المدينة المنورة وقبره اليوم هناك، وكانت وفاته قبيل اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م، وترك خلفه آثارا كتابية ومقالات كما ترك أماليه العلمية في صدور طلبته وتلاميذه، وفريدته الرائعة قصيدة (نزهة اللبيب في محاسن الحبيب)، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه وجزاه خيرًا عن الأمة الجزائرية جمعاء.

الشيخ العَلاّمة مبارك براهيمي الميليّ

هو مبارك بن محمد بن أحمد براهيمي الميليّ (نسبة إلى الميليّة)، ولد في 26 ماي 1898م بقرية الرّماس في عرش أولاد مبارك بن عابد في الجبال الواقعة شمال مدينة الميليّة، في عائلة جدُّ محافظة، وتوفي والده وهو لم يجاوز أربعة أعوام فكفله جدُّه أحمد الميلي، وبعده عمّاه، فكانت حياته أشبه ما تكون بحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

بدأ تعليمه في قبيلته على يد الشيخ أحمد بن سي الطاهر مزهود فأتمّ حفظ القرآن، ثم انتقل إلى مدينة ميلة وهي آنذاك مدينة عامرة، فأكمل دراسته فيها على يد العالم الجليل الشيخ محمد معنصر ابن الظريف الميلي، وهو لم يجاوز سنّ الثانية عشرة، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة والتحق

بالجامع الأخضر ليتابع دراسته على الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ثم انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة بتونس وظل يدرس على يد أشهر شيوخه من أمثال عثمان خوجة ومحمد النخلي والصادق النيفر ومحمد بن القاضي والطاهر بن عاشور وغيرهم.. حتى حصل على شهادة العالميّة عام 1924م، وعاد إلى قسنطينة عام 1925م.

بعد رجوعه إلى قسنطينة، استقر فيها يدرّس طلاب العلم بمدرسة قرآنية بمسجد (الشيخ بومعزة)، كانت تقع ملتصقة بمقر جريدة الشهاب التي أنشأها الشيخ ابن باديس، ثم انتقل بعدها عام 1927م إلى مدينة الأغواط بدعوة من أهلها، وأسس بها مدرسة جديدة للتعليم، فحارب الطرق الضالّة، والخرافات الصوفية القديمة، وأعجب الناس بعلمه وحسن خلقه فالتفوا حوله وساندوه.

لمّا استقرت الأمور للشيخ مبارك الميلي بالأغواط بادر إلى توسيع نشاطه الدعوي، فأسس جمعيات خيريّة، وكان المؤسس لأوّل فريق لكرة القدم بالمدينة، فلم يعجب نشاطه هذا الاستعمار الفرنسي، كما لم يرُق لشيوخ الصوفيّة بالمنطقة فعادوه وأخرجوه من المدينة، فانتقل إلى مدينة بوسعادة، وبادر فيها بما بادره في الأغواط لكنه لاقى المصير ذاته، فعاد إلى مدينة ميلة، واجتمع حوله الناس وطلبوا إليه أن يؤسس فيها مسجدًا له يلقي فيه الخطب ويصلّي بالناس، وأهداه أحد سكّان ميلة دارًا واسعة فأقامه فيها، وأسس جمعية إسلاميّة إصلاحية سماها "النادي الإسلامي"، مهمتها دحض البدع وتصحيح العقيدة، وجمعية أخرى تهتم بالشباب سماها "جمعية حياة الشباب"، حتى أزعج الاستدمار الفرنسي.

كان الشيخ مبارك الميلي من الشيوخ العلماء الذين أسسوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م،،وعضوا في مجلس إدارتها أمينا للخزينة، كما كانت مقالاته التي نشرها في جريدة المنتقد والشهاب والسنة والبصائر دائمًا مثار إعجاب الناس، ثم إنه تسلّم إدارة جريدة البصائر من الشيخ الطيّب العقبي عام 1935م، وواصل إدارتها حتى منعها الاستدمار الفرنسي عام 1939م.

في محاربته لمظاهر الضلال والزيغ، والأوضاع المزرية التي كان يعاني منها الشعب الجزائري تحت نير المستدمر الفرنسيّ، واستغلال بعض الطرق الصوفية الضالة، ألّف الشيخ مبارك الميلي في عام 1937م كتابًا عنوانه "رسالة الشرك ومظاهره"، ثم أتبعه كتابًا آخر من أعظم الكتب وأجلّها، جمع فيه تاريخ الوطن الجزائري كاملاً، عنوانه "تاريخ الجزائر قديمًا وحديثا".

عانى الشيخ العلامة مبارك الميلي من مرض السكري منذ سنة 1933م، فلمّا توفي الشيخ عبد الحميد ابن باديس اشتدّ جزعه عليه فزاد مرضه، ولكن ذلك لم يثنه عن إلقاء دروسه بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، وعندما أحسّ دنوّ أجله طلب من أحد تلاميذه أن ينقله إلى أهله بميلة، وأوصى بأن يدفن قرب قبر شيخه محمد معنصر ابن الظريف، وتوفي يوم 09 فيفري 1945م، فشيّع جنازته الآلاف من طلبته ومحبيه، وأبّنه عن الشيوخ العلماء المسلمين الجزائريين رئيسهم الشيخ البشير الابراهيمي، وعن الهيئات الوطنيّة رئيس حركة البيان فرحات عباس، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه وجزاه خيرًا عن الأمة الجزائرية جمعاء.[1]

الشيخ العلاّمة محمود كيعموش

هو محمود بن العربي بن أحمد كيعموش البازولي، وأمه فاطمة دباح، ولد يوم 07 فيفري 1899م بأولاد بلعفو من قرية بازول بالطاهير، أين عاش سنيّ حياته الأولى وتعلّم القرآن الكريم وعلوم العربيّة والعلوم الدينيّة على مشايخ قريته حتى أجازوه فيها عام 1918م، فتزوج عام 1924 مع السيّدة زينب عقبي، ثم أنشأ عام 1927م جامعًا للصلاة وتعليم القرآن وعلومه بقريته وانتصب فيه يدرّس أهل تلك الناحية.

كان سي محمود شخصية مرموقة جدًا ذات سمعة عظيمة لِمَا تكفل به من تعليم الناس، وأصبح واحدًا من أعيان المنطقة فذاع صيته وقصده الطلبة من كل مكان، حتى خشي الفرنسيّون من

1- انظر: أحمد حماني: صراع السنة والبدعة، دار البعث قسنطينة، (د/ت)، ج2، ص14، وانظر: محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنيّة بالجزائر، مرجع سابق، ص 49.

جمعته، وعينوه قاضيًا بمنطقة الطاهير.. سافر الشيخ كيعموش إلى تونس واتصل بمشايخ الزيتونة وعقد معهم صداقات طيبة، جعلته يرسل إليهم الكثير من أبناء منطقته.

عبّر عن رفضه للوجود الفرنسيّ بعد مجازر 8 ماي 1945م فطلبه الإستعمار الفرنسي للتحقيق ووضعه قيد المراقبة، ثم التحق بجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين عام 1947م، وأسس أوّل مدرسة ومسجد للصلاة للجمعيّة بمنطقة الطاهير بزواية (المنهل) القديمة، تخرج منها طلبة التحقوا بمعهد ابن باديس وجامع الزيتونة بتونس.(1)

وفي عام 1948م أنشأ الشيخ كيعموش مدرسة لتعليم اللّغة الفرنسيّة، وبقي يربي الأجيال مجاهدًا بعلمه وماله في سبيل الله إلى أن استقلت الجزائر، وفي عام 1963م بترخيص من الوزير أحمد توفيق المدني بنى مسجدًا جديدًا بجانب مسجده القديم وانتصب فيه مدرّسًا، وعمّر بعد ذلك طويلاً في مدرسته يعلّم الناس حتى توفاه الأجل في 11 أوت 1993م عن عمر يناهز 94 سنة، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه وجزاه خيرًا عن الأمة الجزائرية جمعاء.

الشيخ العلاّمة محمد دربوش

هو محمد بن مصطفى بن أحمد بن الحسين دربوش، من الشرفاء من سلالة سيدي (أحمد العابد مولى الشقفة)، ولد يوم 14 أوت 1901م بمنطقة (الشرفة) واد آدار الميليّة، وأمّه هي خديجة بومالة من أولاد علي، أخذ تعليمه الأول على يد أعمامه الشرفاء بزواية (سيدي العابد) الموجودة في (العين ذي الحد) وكان صديقه في الدراسة بها الشيخ مبارك براهيمي الميلي(2)، وأتمّ حفظ القرآن وهو لم يجاوز 11 عامًا، ثم نزل عند أسرة (بوالترة) في منطقة أولاد عتّاب يدرّس القرآن الكريم للناس وهو ابن 12 عامًا.

---

(1)- انظر: قصاصة جريدة دون رأسية، ومجهولة المصدر، ووثائق عند أبناء الشيخ الذين عقدنا معهم لقاء في شهر ماي 2015 ببيتهم في قرية بازول.

(2)- انظر: محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنيّة بالجزائر، مرجع سابق، ص 103.

انتقل رفقة زميله مبارك الميليّ إلى مدينة (ميلة)، ونزلا عند (أولاد بالصوف) الذين كانوا يتكفلون بطلبة العلم في حاضرة ميلة، وانخرطا في تلاميذ الشيخ محمد معتصر ابن الطريف الميلي، فلازمه الشيخ محمّد درويش سنوات طويلة (حوالي 08 سنوات) أخذ عنه فيها علوم اللّغة والفقه والحديث والتفسير والعقيدة، فحفظ الأراجيز العلميّة وتمكّن من شروحها غاية التمكّن، حتى بلغ من العلم شأوًا جليلاً، واستكمل دراسته العلميّة وعاد إلى مدينة الميليّة عام 1922م.

وعند نزوله بها، تزوج من ابنة عمّ له يقال لها (تمينة بنت أحمد بلّعابد)، وبإعانة من الحسن أعراب بن يوسف أنشأ مدرسة وراء (المسجد الكبير العتيق) بالميليّة وانتصب فيها مدرّسًا، كما فتح (كُتّابًا) بوسط المدينة يقدم فيها الدروس الليليّة للكبار، وكان قد وُلِد له ابنه (نور الدين درويش) عام 1924م، واتصل به الشيخ مبارك الميليّ بعد عودته من تونس عام 1925م، وزاره في بيته مع الشيخ (عبد الحميد ابن باديس) والشيخ (محمد السعيد الزاهري) والشيخ (أحمد دويدة)، وتناقشوا في قضايا تعليم الأمّة وطلبوا من الشيخ محمّد درويش أن يضمّ جهوده الإصلاحية إلى جهودهم فقبل بكل سرور وبقي على اتصال معهم، ثم زاروه مرة ثانية بعد تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين عام 1931م، وكانت قد وُلدت له ابنتان (عقيلة) عام 1926م و(سكينة) عام 1928م، وولد له في تلك السنة ابنه الذكر الثاني فسماه الشيخ ابن باديس عليه (عبد الحميد)، واعتذر الشيخ محمّد درويش لهم عن الالتحاق بقسنطينة نظرًا لحاجة الميلية إلى المدرّسين آنذاك فبعد وفاة الشيخ (سيدي الصحري بوكري التيجاني) عام 1923م لم يبق بالمدينة إلا الشيخ (أحمد دويدة) الذي نزل بها عام 1925م، لكنه وعدهم بالمساعدة والدعم.

كان الشيخ محمّد درويش يدرّس الكثير من التلاميذ بمدرسة الميليّة، وكان يرسلهم إلى قسنطينة عند صديقيه ابن باديس ومبارك الميليّ، ثم يرسلهم إلى جامع الزيتونة لإكمال تعليمهم هناك. ومن تلاميذه المشهورين لهذا العهد الشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق، والشيخ العلامة أحمد حماني، والشيخ العلامة الصادق حماني، وابنه الشيخ نور الدين درويش، والشيخ محمّد بن سعيد بن فطيمة، والشيخ عيسى أوسياف وغيرهم..

وفي عام 1932م، اتصل به تلميذه الشيخ محمّد الصالح بن عتيق، وقريبه التاجر عبد الله إدريس، وأسّسا معًا أول جمعيّة للتربية والتعليم بمدرسة الميليّة التي لم يكن فيها سوى قسم واحد وسموها (مدرسة التهذيب) وهي اليوم بيت (إمام الجامع)، واصل الشيخ دربوش التدريس بها رفقة الشيخ عمار القلّي، بينما غادر ابن عتيق إلى تيهرت. وبعد وفاة ابن باديس في 16 أفريل 1940م، حزن عليه الشيخ محمّد دربوش حزنًا شديدًا، ثم مات بعده في شهر أوت 1940م، ودفن بجانب الشيخ العلاّمة أحمد دويدة بمقبرة (سيدي سعد العتيق) بالميليّة، وحضر جنازته كبار العلماء منهم مبارك الميليّ ومحمد السعيد الزاهري ومحمد الصالح بن عتيق وأحمد حماني والصادق حماني.. وغيرهم، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه وجزاه خيرًا عن الأمة الجزائرية جمعاء.(1)

هذه بعض النماذج التي قدّمناها أمثلة عن هذا الجيل، لأن (جيل الإحياء) الذي نذكره بمنطقة جيجل لا يزال قيد البحث والدراسة، والمشايخ المقصودون منه كثير جدا لا يحيط بهم بحث واحد ولا باحث واحد، وإنما الغرض من تقديمها هنا هو ضبط المفهوم، والتطبيق عليها لإدراك دورها الوسيط بين الجيل الزوايا الذي سبقها وتتلمذت عليه، وجيل التيار الإصلاحي الذي جاء بعدها ودرس عليها.

دور الوساطة بين جيل الزوايا والتيار الإصلاحي:

سيلاحظ الباحث في هؤلاء المشايخ أنهم جاؤوا في مرحلة حرجة من تاريخ منطقة جيجل، إذ نبتوا بعد القضاء على المؤسسات التعليميّة الدينية، فاعتمدوا على مشيخة قراهم التي اتخذها العلماء الناجون من الإبادة الفرنسيّة، أو خرجوا إلى مناطق مجاورة أو بعيدة وطلبوا العلم فيها ثم عادوا إلى منطقة جيجل لإنقاذها، لذلك كانوا في واجهة مقاومة مشروع نشر البدع والممارسات الشركية، وتطرح في شأنهم إشكالات عديدة منها:

---

(1)- لقاء شخصي مع ابنه المجاهد عبد الحميد دربوش، 14 حي الإخوة سلطان سكيكدة، يوم 2016/02/13

- لماذا لم يلتحقوا جميعًا بجمعية العلماء بالرغم من قرب منطقتها بقسنطينة وعلاقاتهم الطيبة مع مؤسسيها ورئيسها ابن باديس؟

والإجابة عن ذلك متضمنة في السياق التاريخي الذي خرج فيه هؤلاء بمنطقة جيجل، إذ كانوا المنارات الوحيدة التي تضيئها، وكان خروجهم من المنطقة حكمًا عليها بالترك في ظلمات الجهل، لذلك اعتذر الشيخ دويدة بإمامة جامع الميلية الكبير واعتذر الشيخ بلقاسم بالتعليم في تاكسانة واعتذر الشيخ درويش بالتعليم في الميلية واعتذر الشيخ كيعموش بالتدريس في بازول، ولكن ذلك لم يمنع من أدرك منهم جمعيّة العلماء بتمهيد السبيل لمعتمديها في مناطقهم، ومساعدتهم بما استطاعوا. فيما عدا الشيخ مبارك الميليّ الذي التحق بقسنطينة وأسس الجمعية مع ابن باديس، ثم يطرح إشكال آخر في قضيّة تفصيليّة أكثر أهميّة:

- ما هي الآليات التي اعتمدها شيوخ الإحياء الديني للتوسط بين جيل الزوايا التي كوّنتهم، وجيل التيار الإصلاحي الذي تتلمذ عليهم خصوصًا في ظل السجال العنيف بينهما؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال تكمن العبقرية المشتركة في جيل الإحياء بمنطقة جيجل، لأنهم اتفقوا في الآليات نفسها، وكان ذلك علامةً على وجود اتصالات وطيدة بينهم، وإليك بيان ذلك:

- كونهم أحفاد شيوخ الزوايا الكبرى بالمنطقة، الذين حفظت لهم الذاكرة الجمعيّة ارتباط نسبهم بالعمل التربوي والديني والدعوي والجهادي منذ تأسيس تلك الزوايا العلميّة، ومن ثمة فقد أوكل إليهم المجتمع المهمة ذاتها التي أوكلها إلى آبائهم الأولين، ومن أمثلة ذلك الشيخان (محمد درويش) و(فرحات العابد) حفيدا الشيخ أحمد العابد مولى الشقفة، ومحمد الصالح بن عتيق حفيد الشيخ (رابح بن عتيق)[1] وغيرهم،، وقد أورد ابن عتيق ذلك عند ذكره لما كان

---

[1]- Arrêté n°15 du 02 Janvier 1872, Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie 12ème Année 1872, Imprimerie A. BOUYER, Alger 1873, p26.

يوصف به والده معلّم القرآن وخليفة زاوية (سيدي ابن عتيق)، وما كان ينعكس عليه من آثار ذلك.

- اعتمادهم على الطبيعة القبليّة للمنطقة التي ما تزال تأخذ منها العصبيّة نصيبًا جديًا، ففيما عدا الشيخ مبارك الميليّ، لم يلتحق هؤلاء المشايخ بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بل عملوا معها في شكل منسقين بمختلف جهات منطقة جيجل، وأرسلوا أبناءهم لينضموا إليها، بالشكل التالي:

الشيخ أحمد دويدة أرسل ابنه (محمود دويدة)، الشيخ بقاسم بن منيع أرسل ابنه (محمد بن منيع)، الشيخ مبارك براهيمي الميليّ أخذ معه ابنه (محمّد براهيمي)، الشيخ محمود كبعموش أرسل ابنيه (الطاهر ويوسف)، الشيخ محمد دريوش أرسل ابنه (نور الدين دريوش)، الشيخ محمّد حماني أرسل أحفاده (أحمد والصادق) والتحق بعدهما (عبد المجيد وعمر والحسين وعبد الله).. وغيرهم

- اعتمادهم في التكوين على منهج الزوايا (الحلق العلميّة، الحفظ بالتكرار الجماعي، تدريس الأراجيز العلمية وشروحها وحواشيها.. إلخ)، وفي المحتوى العلمي على الدرس الإصلاحي (محاربة الشعوذة والأفكار البدعية، محاربة مظاهر الشرك.. إلخ)، وهي المفارقة العجيبة التي استطاعوا الجمع فيها بين ظاهرٍ من عمل زاوية وباطنٍ من عمل إصلاح، تجنبًا لاتهامات الجهال ومكر الإستدمار.

- سبقُهم إلى تأسيس مدارس اعتمد التيار الإصلاحي على خريجيها في الانطلاق، ومن ثمة فهم الذي أعدّوا الموارد البشرية التي قادت الإصلاح في بدايته، خصوصًا إذا علمنا أن أعلام الإصلاح بمنطقة جيجل كلهم من تلاميذهم الذين أرسلوهم إلى قسنطينة والزيتونة، فالشيخ محمد الطاهر ساحلي مؤسس (مدرسة الحياة) ورائد النهضة بمدينة جيجل تلميذ الشيخ بلقاسم بن منيع، والشيخ محمد الصالح بن عتيق مؤسس (مدرسة التهذيب) ورائد النهضة بمدينة الميليّة هو تلميذ الشيخ محمد دريوش، والشيخ محمد الزاهي الميليّ رائد النهضة بمدينة العنصر هو تلميذ الشيخ

محمد حماني.. وغيرهم.

- نضالهم في التكوين البشري أكثر من التأليف العلمي، من خلال قلة الآثار التي عثرنا عليها من تآليفهم، وهو خير دليل على وعيهم بمتطلبات ظروف المرحلة التي عاشوها، والتي تحتاج إلى تكوين جيل مصلح أكثر من ترك مؤلفات علمية.

- مساعدة المصلحين على إيجاد مكان لهم في المجتمع، من خلال استغلال ثقة الناس بهم وتزكية هؤلاء لإنقاذهم من انتقادات المفسدين وأهل البدع والخرافات، والوقوف إلى جانبهم وقت الجدّ إذا حدث السجال بينهم، مثلما فعل الشيخان مبارك الميلي ومحمّد دربوش للشيخ ابن عتيق.(1)

في المحصلة، لم يكن من المعقول تصوّر بزوغ فجر النهضة الإصلاحيّة اعتمادًا على الزوايا البدعيّة التي كانت ترعاها فرنسا، ولا اعتمادًا على التكوين الخارجي لوحده (الزيتونة، الأزهر، القرويين) الذي لم يكن يتوفر إلا لقلة قليلة محظوظة، إنما بقي من بقايا (مؤسسة الزاوية) بالجزائر عمومًا ومنطقة جيجل خصوصًا قبسٌ ضئيل استطاع أن يضم جهوده إلى مناطق أخرى (ميلة، قسنطينة..) لإخراج جيل وسيط عمل على: إحياء الدين، ورعاية جيل وتكوينه ليقود معركة الإصلاح التي تتصدى لمشروع الإبادة والتجهيل الذي كان يعتمده الإستدمار الفرنسي، وإعداد الوسط الاجتماعي لاستقباله، ثم حمايته من هجمات البدعيين وأهل الشرك من أتباع الفرنسيين الطامعين في النفوذ على حساب مصلحة الأمة.

وقد رحل هؤلاء المشايخ الكرام في صمت مطبق، وتركوا لنا شذرات قليلة من مؤلفاتهم، وطاقات عظيمة من تلاميذهم الذين تسلّموا المهمّة وأدّوها على أكمل وجه، وأن لنا الآن أن نذكر أفضالهم ومناقبهم وجهودهم في أداء تلك المهمة ذات التحدّيات الأربع التي ذكرناها في ظل الفقر والقهر وسلطة الاستدمار.

1-انظر: محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنيّة بالجزائر، مرجع سابق، ص ص 74-75- 103.

ملاحق البحث:

الشيخ العلاّمة أحمد دويدة

الشيخ العلاّمة بلقاسم بن منيع

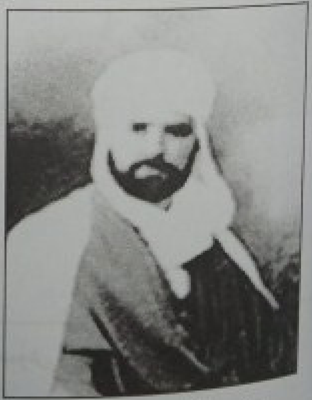

الشيخ العلاّمة مبارك الميليّ

الشيخ العلاّمة محمد دريوش

168/377

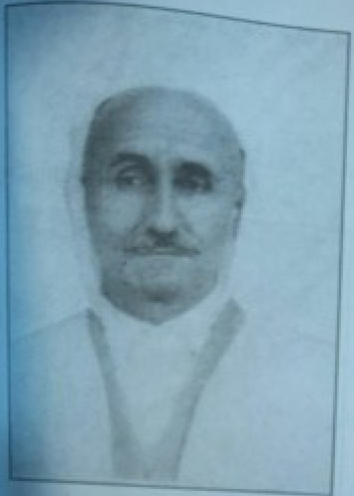

ولاية جيجل تفقد «إماما» قدم الكثير

الشيخ العلامة محمود كيعموش

قصاصة الجريدة التي تنعي الشيخ كيعموش

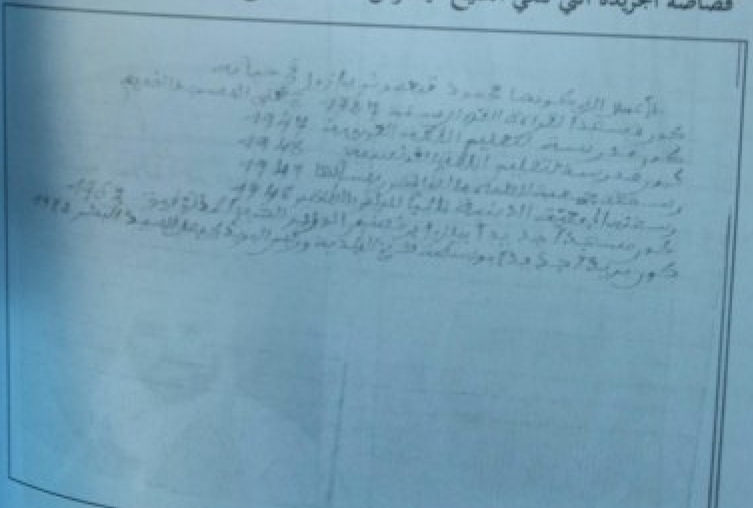

مخطوط بخط يد الشيخ كيعموش فيها بعض أعماله

الجلسة الثالثة

علماء الحركة الإصلاحيّة بمنطقة جيجل وإسهاماتهم في الحركة الوطنية

رئيسة الجلسة/ أ. صافية حيمر

أ. محمد محمدي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

نماذج من علماء الحركة الإصلاحية الجيجلية

- خريجي جامع الزيتونة -

عمل الاستدمار الفرنسي منذ وطأة أقدامه أرض الجزائر سنة 1830 م، على طمس معالم الفرد الجزائري وهويته، والعمل على إستذابتها واستصهارها في الحضارة الفرنسية المسيحية، ولأجل الوصول الى هذه الغاية وتجسيدها على أرض الواقع، حاربت الإمبريالية الفرنسية كل ما من شأنه أن يبعث هذه الهوية العربية الاسلامية أو يسهم في الحفاظ عليها، لذلك فقد حاربت اللغة والدين وكل المقومات الأساسية للهوية الجزائرية العربية المسلمة، كما حاربت المؤسسات الدينية كالمساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب، ومارست التضييق والتدجين على العلماء ورجال الدين، وإضافة الى ذلك قامت فرنسا بتوفير سبل الجهل والأمية ونشرها في أوساط المجتمع

الجزائري، من خلال تشجيع الطرق الصوفية المنحرفة، التي عملت على نشر البدع والخرافات، وجعلتها عادة متأصلة لدى أغلبية الأهالي الجزائريين، من زيارة للقبور والأضرحة والتبرك بها والنشار للشعوذة وغيرها من مظاهر الدجل والانحراف الفكري والأخلاقي الذي ألم بالجزائريين وسكن في عقولهم.

كما لجأ الاستدمار الفرنسي أيضا الى سياسة تهجير الجزائريين ونفيهم إلى بلدان مختلفة وذلك بهدف التخلص منهم ومن أعمال الشغب التي باتوا يحدثونها بين الفينة والأخرى ،ومن بين المناطق التي كانت قبلة للجزائريين في هجرتهم، البلدان المجاورة كتونس والمغرب وليبيا وغيرها من البلدان الشقيقة والصديقة.وقد مست هذه الظاهرة فئات اجتماعية متعددة ومختلفة في الأعمار والمناطق والأجناس، نتيجة لجملة من العوامل العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي طبقتها الادارة الاستدمارية على المجتمع الجزائري.

ومن بين فئات المجتمع الجزائري التي كانت عرضة للتهجير، فئة العلماء ورجال الدين وهم الذين ضاقوا ذرعا من سياسة المسخ الحضاري التي يتعرض لها الشعب الجزائري، فأقروا شرعية هذه الهجرة من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، واعتبروها فرض عين على كل مسلم، وذلك بترك دار الكفر والشرك والالتحاق بدار الاسلام والشهادة، والعمل على فتحها مستقبلا ومحاربة المشركين والنصارى لإعادة بلادهم إلى حضيرة البلاد الإسلامية مصداقا لقول الله تعالى: بعد بسم الله الرحمن الرحيم :**(إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)** الآية 20 من سورة التوبة

فكانت الهجرات الجزائرية مختلفة نحو البلدان الشقيقة والصديقة، ومتعددة بين هجرات اجتماعية للأسر الجزائرية بفعل الممارسات اللاإنسانية للآلة الاستدمارية الفرنسية، من تقتيل وتجويع وتشريد للأهالي الجزائريين، وبين هجرات علمية للعلماء الجزائريين نظرا للسياسة الاستدمارية التنصيرية المسلطة على رقاب العلماء الجزائريين،و التي انتهجتها فرنسا الاستدمارية بهدف القضاء على الهوية الجزائرية ببعديها العربي والإسلامي، مستهدفة طمس معالم ومقومات الشخصية الجزائرية.

172/377

ومن بين اتجاهات الهجرة التي اختارتها فئة العلماء الجزائريين، نجد جامع الزيتونة الذي شكل منارة علمية حقيقية، وقبلة للطلاب والتلاميذ الجزائريين في وقت انطفأت فيه منارات العلم الجزائرية بفعل السياسة الاستدمارية.

عرفت الجزائر موجات من الهجرات الطلابية المتتالية باتجاه جامع الزيتونة بحثا عن العلم وطلبا له ويلاحظ أن أكبر نسبة من هؤلاء الطلبة كانت تابعة للحركة الإصلاحية الجزائرية التي حملت على عاتقها مهمة الاصلاح وتغيير الأوضاع المتردية التي سادت المجتمع الجزائري بإيعاز استدماري فرنسي، معتبرة إياه واجبا دينيا ووطنيا مصداقا لقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم **(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله)** الآية 88 من سورة هود

وقد حاولنا في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على فئة مهمة من فئات المجتمع الجزائري، التي كانت عرضة للتعتيم التاريخي، بالرغم من أنها مثلت صفوة المجتمع ونخبته العلمية والدينية، هذه الفئة هي فئة الطلبة الجزائريين الذين درسوا بجامع الزيتونة وعادوا الى أرض الوطن لتخريج النخب الجزائرية وتأطيرها، وقد تم اقتصارنا على طلبة الحركة الإصلاحية في منطقة جيجل، التزاما بالمجالين الزماني والمكاني للموضوع، ونذكر من بين هؤلاء على الطلبة سبيل المثال الحصر: الشيخ محمد الطاهر ساحلي، الشيخ محمد الصالح بن عتيق، الشيخ أحمد حماني، الشيخ مبارك بن محمد الميلي، الشيخ محمد الزاهي بن عبد الله.. وغيرهم من العلماء الذين نفعوا بعلمهم وكانوا قدوة بعملهم ونهجهم، وقد تمت معالجة موضوعنا وفق الاشكالية التالية: ما هي طبيعة وظروف الهجرة الجزائرية نحو البلاد التونسية، مع رصد وإحصاء لنماذج من الحركة الاصلاحية الجيجلية بجامع الزيتونة ؟ ومدى مساهمة هذه الأخيرة في الحركة الاصلاحية الجزائرية بصفة عامة؟

1- الهجرة الجزائرية نحو البلاد التونسية بين الظروف والأسباب:

تجمع الكتابات التاريخية أن المهاجر هو من اضطر الى الهجرة بترك بلده الأم، متجها الى بلد آخر للاستقرار فيه استقرارا دائما أو مؤقتا، نتيجة لظروف معينة اضطر فيها المهاجر الى ترك

منزله ووطنه الأصلي،تحت تأثير ظروف وأسباب مختلفة، منها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها من المسببات والعوامل المؤثرة على محيط المهاجر، ليتجه نحو بلد آخر من البلدان بهدف البحث عن ظروف أليق وأحسن، وقد اجتمعت جملة من الظروف السياسية والاجتماعية والدينية، فساهمت في هجرة الأهالي الجزائريين من بلادهم وموطنهم الأصلي باتجاه بلدان مختلفة، وما زاد الطين بلة هو تقنين هذه الانتهاكات والتجاوزات الاستدمارية اللاإنسانية في حق الجزائريين، بجملة من القرارات والمراسيم التي أصدرتها الإدارة الاستدمارية الفرنسية في الجزائر:

- مصادرة أملاك الجزائريين وعقاراتهم، مع فرض الغرامات المالية والضريبية الخيالية، واغتصاب الأراضي ونهب الثروات مع تسليط أنواع القمع والترهيب[1].

- الجرائم الحربية والانتهاكات الفرنسية المرتكبة ضد الجزائريين، والتي تتنافى مع القوانين الدولية الإنسانية[2] والتي كانت بمباركة فرنسية ودولية واعتبرتها ضرورة من الضرورات العسكرية التي تفرضها الظروف الحربية.

-ممارسة التضييق على الأهالي الجزائريين في أمورهم الدينية والعقائدية، بهدف إجبارهم على التخلي عن ممارسة شعائرهم الدينية الاسلامية، وذلك بالاستيلاء على المساجد ومنع الدروس وحلقات الذكر وحظر التعليم القرآني ومنع التعليم باللغة العربية، وقطع الدعم المالي والمادي عنها من خلال مصادرة الأوقاف والعائدات المالية التي تعود لفائدة هذه المؤسسات الدينية، حيث يصرح الجنرال بيجو حول السياسة التنصيرية في الجزائر فيقول: (إن آخر أيام الاسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه

1- محمد الصالح الصديق: فاجعة الاستدمار، دار هومه، الجزائر، 2011، ص30.

2- عمر سعد الله: القانون الدولي الانساني والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هومه، الجزائر، 2007، ص 123.

الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكن لنا أن نشك على كل حال أنها قد ضاعت من الاسلام الى الأبد، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحين جميعا..)[1].

وموازاة مع ذلك عمل الاستدمار الفرنسي على ترسيخ العقيدة الفرنسية المسيحية، في المجتمع الجزائري من خلال جملة من التدابير، كتشييد الكنائس وبناء المدارس الفرنسية، لتعليم اللغة الفرنسية في المجتمع الجزائري، وذلك لتكون بديلا للنظام العربي الاسلامي[2]، وفي هذا الشأن يقول الكاردينال لافيجري في رسالة بعث بها إلى الإدارة الفرنسية بالجزائر: (علينا أن نخلص هذا الشعب، ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير المبادئ التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم الى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر..)[3]، ونظرا للظروف المجحفة التي طبقت على الأهالي الجزائريين في مختلف مناحي الحياة، من حياة اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية، فقد قررت فئة من هؤلاء الجزائريين الهجرة نحو المناطق المجاورة والبلدان الشقيقة بحثا عن كرامة وإنسانية فقدت في الجزائر، ولكون الجزائريين في وجهة نظر فرنسا الاستدمارية بشرا من الدرجة الثانية، أطلقت عليهم مسميات كثيرة: الأهالي والبيكو والأنديجيان وغيرها من الأسماء التي تدل على الاحتقار والدونية، ومن بين الظروف التي ساهمت أيضا في هجرة الجزائريين نحو تونس، كون النظام الاستدماري في تونس نظام حماية ويعتبر أقل تشددا من نظام الاحتلال المباشر المطبق في الجزائر، زيادة على تأثير العامل الجغرافي بحكم قرب المسافة بين تونس والجزائر أو اختيار تونس محطة أولى من أجل اختيار محطة ثانية بعدها.

---

1 محمد الصالح الصديق، المصدر السابق، ص 31.

2 شلوش حساني، من مظاهر الروح الصليبية للاستدمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومه، الجزائر، 1998، ص06.

3- محمد الصالح الصديق: المصدر السابق، ص31.

2- مواطن وأصناف الهجرة الجزائرية نحو البلاد التونسية:

شكلت المناطق الحدودية التونسية التي تقع بمحاذاة المناطق الشرقية الجزائرية، أهم مناطق استقطاب وجذب الجزائريين اليها نظرا لقربها من جهة والعلاقات بين هذه المناطق التي تعتبر نقاط تقاطع وتماس بين البلدين وما ينجر عنها من علاقات اجتماعية وحتى اقتصادية، حيث تشير الإحصائيات أن عدد الجزائريين المتواجدين بهذه المناطق بلغ حوالي 40816 جزائري موزعين على مدن: باجة، بنزرت، قفصة، القيروان، الكاف، مكثر، مجاز الباب، سوسة.. إلخ.[1]

ومن انعكاسات تهجير الجزائريين من أراضيهم وأملاكهم قضية اللاجئين الجزائريين ومعاناتهم الكبيرة في هذه المناطق الحدودية، وافتقادهم لأدنى وأبسط الضرورات الحياتية، فكانت معاناة اللاجئين الجزائريين من أكبر المآسي الإنسانية التي ارتكبها الاستدمار الفرنسي، إذ كانت الانتقامات الفرنسية تأتي بعد كل عملية عسكرية يقوم بها جنود جيش التحرير الوطني، مع العمل على تجميع الجزائريين في محتشدات لكي يتم منع اتصالهم بالجبهة ومنع تقديم الدعم المادي والمعنوي لها[2]، فتباينت أصناف وأنواع الهجرة الجزائرية إلى تونس، بين هجرات فردية وجماعية نتيجة ظروف اجتماعية وسياسية وعلمية ودينية، وكانت قد ساهمت جملة من العوامل في هجرة العلماء الجزائريين نحو جامع الزيتونة، من بينها المكانة العلمية والدينية التي يتبوؤها جامع الزيتونة في قلوب الجزائريين، وبفعل تأثير العلماء السابقين على المتأخرين منهم، وفرارا من البطش الاستدماري المطبق على الفئة المريدة للعلم والمعرفة ومؤسساتها العلمية المختلفة، والتي تكاد تنعدم بالجزائر

1- صالح عسول: اللاجئون بتونس ودورهم في الثورة التحريرية 1956-1962، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2009، ص79.

2- خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 153.

176/377

آنذاك على حد قول الرحالة العبدري حيث يقول: (وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف الكربة، وأديب يؤنس الغربة فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق، أو أحاول تحصيل بيض النوق..).[1]

والملاحظ أن الهجرات الجزائرية نحو تونس الشقيقة كانت إما هجرا ت اجتماعية بفعل السياسة الاستدمارية التي عملت على قمع الجزائريين، أو هجرات علمية باتجاه جامع الزيتونة المنارة العلمية التي شكلت مقصد العلماء الجزائريين باختلاف مشاربهم، وتنوع تخصصاتهم العلمية من علوم عقلية ونقلية.

3- نماذج من علماء الحركة الاصلاحية الجيجلية بجامع الزيتونة :

شكل جامع الزيتونة قبلة الطلبة والعلماء الجزائريين، بعدما حالت الظروف السياسية والعسكرية عن مواصلة الدراسة والتعلم في الجزائر، فأصبح الزيتونة وجهة الجزائريين، خاصة من طلبة جمعية العلماء المسلمين ومعهد عبد الحميد بن باديس، فكانت الاعداد كبيرة والاسماء كثيرة غير أننا تناولنا عينة من بين هؤلاء الطلبة وقد اخترنا نماذج من الطلبة الزيتونيين الذين تعود أصولهم الى منطقة جيجل ومن بين النماذج نذكر:

أحمد حماني 1915-1998:

وهو أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني ولد يوم الاثنين 26 شوال 1333هـ الموافق لـ:6 سبتمبر 1915م بقرية إزيار بدوار تمنجر، ببلدية العنصر دائرة الميلية ولاية جيجل حاليا، وقد عمد والده الى تغيير تاريخ ميلاده من 1915م الى 1920م تحايلاً منه على الخدمة العسكرية ليستطيع ابنه مواصلة الدراسة قبل أن تدركها إياه وهو في الدراسة، والمعروف عن عائلة أحمد أنها تبغض الاستدمار الفرنسي وسياسته المشؤومة تجاه الأهالي في المنطقة، مما أدى بالسلطات الفرنسية الى تشديد الرقابة على هذه العائلة وحرمانها من الوظائف في مختلف الادارات والمؤسسات التابعة

1- المرجع نفسه، ص 260.

لها وصنفت من بين العائلات المشتبه فيها[1]، وقد كانت عائلة أحمد فلاحية اشتهرت بالزراعة ورعي الاغنام والأعمال الموسمية كالحصاد وجني الزيتون وغيرها، لذلك فقد كانت حياة الأولاد مزيجا بين التعليم والعمل فكانت تنشئتهم الاجتماعية، ذات طابع تربوي علمي عملي مكنتهم من مجابهة الصعوبات الحياتية التي فرضتها الطبيعة من جهة والاستدمار من جهة أخرى[2].

وقد تعلم أحمد مبادئ اللغة العربية والعلوم الشرعية على يد والد الفقيه الشيخ محمد حماني نظرا لتمكنه منها وتعلمه بالكتاب هو أيضا[3]، وفي سنة 1930 اتجه إلى قسنطينة لحفظ القرآن الكريم في البداية بزاوية سيدي محمد النجار ثم انتقل الى زاوية مولاي الطيب في حي سيدي بوعنابة بنفس المدينة، لينخرط بعدها في صفوف طلبة معهد عبد الحميد بن باديس نهاية سنة 1931 وكان من بين شيوخه الشيخ أحمد مرازقة الحبيباتي[4]، وبعد مدة قضاها في الدراسة بالمعهد، لاحظ عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس علامات النبوغ والفطنة، فأشار عليه بالإلتحاق بجامع الزيتونة مثلما يفعل دائما مع طلبته المتفوقين، ليلتحق بجامع الزيتونة سنة 1934، وبعد سنوات من الجد والاجتهاد حصل على شهادة الأهلية سنة 1936م، وقد تمحورت اجتهادات أحمد حماني حول مسائل متعددة ومختلفة من بينها:

- محاربة الجهل والامية في المجتمع الجزائري من خلال إنشاء المدارس الحرة.
- الصراع الذي تبناه ضد البدع والخرافات التي انتشرت في المجتمع بسبب الطرقية المنحرفة.
- مقاومة الاحتلال الفرنسي من خلال تعبئة الأهالي بالكتابات والمناشير في جرائد الجمعية.
- العمل الاصلاحي والثوري الذي نهجه الشيخ بعد الاستقلال خاصة في مجال الفتوى.

1- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث، الجزائر، ص 287.
2- أحمد حداد: الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره 1915-1998، رسالة ماجستير، 2008، جامعة قسنطينة، ص37.
3- صالح بن النبيلي فركوس: تاريخ جهاد الامة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830-1962، دار العلوم، الجزائر، 2012، ص314.
4- أحمد حماني: المصدر السابق، ص287.

وقد كتب الشيخ الكثير من المقالات التربوية الهادفة والدينية والفقهية في صحف الجمعية نذكر منها : الشهاب والبصائر، إضافة الى كتابات متعددة في الصحافة الجزائرية والتونسية بداية من سنة 1937[1].

وقد ترك لنا الشيخ أحمد حماني مجموعة مهمة من الكتب الفقهية والتاريخية التي تعتبر مصدرا مهما من مصادر الحركة الاصلاحية الجزائرية ونذكر منها : (كتاب الصراع بين السنة والبدعة في جزأين)، وكتاب (فتاوى الشيخ أحمد حماني الصادر عن وزارة الشؤون الدينية وكتاب شهداء علماء معهد ابن باديس).

مبارك براهيمي الميلي 1896–1945:

ولد الشيخ مبارك بن محمد براهيمي الميلي في أولاد مبارك، بجبال الميلية سنة 1896م، حيث انتقل إلى منطقة ميلة ليحفظ القرآن الكريم في مسجد سيدي عزوز، التي كان يقصدها الكثير من أبناء قرى ومداشر وجبال الميلية، وهناك تعلم مبادئ اللغة وأصول الدين على يد الشيخ محمد بن معنصر، المدعو الشيخ الميلي أو العلمي نسبة لى منطقة العلمة وهو الذي قتل على يد شخص استفتاه فلم يرض بفتواه فقام بقتله ، ويذكر الشيخ أحمد حماني أن أصل تسمية منطقة الميلية تعود وتنسب الى منطقة ميلة، حيث كانت هذه المناطق في العصور القديمة، تتبع في حكمها الى منطقة ميلة وعنما يحضر وفد القيادة الى المنطقة يعسكر بهذا المكان ولهذا السبب سميت هذه المنطقة باسم الميلية نسبة الى ميلة [2]، ثم انتقل الى قسنطينة لمواصلة دراسته بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس فمكث هناك فترة قصيرة، لينتقل بعدها الى جامع الزيتونة بتونس وهناك التقى مع أبناء بلده من طلبة جامع الزيتونة على غرار الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد السعيد الزاهري والشيخ عبد السلام سلطاني والشيخ سعيد الزموشي.

1- أحمد حداد: المرجع نفسه، ص58.

[2] أحمد حماني، المصدر السابق، ص 14.

ورجع من تونس متحصلاً على شهادة العالمية سنة 1925، ليؤسس مباشرة مدرسة للتربية والتعليم في قسنطينة رفقة مجموعة من المعلمين وهم : الشيخ عمر الجيجلي والأستاذ عبد العزيز الجيجلي. لينتقل بعدها إلى مدينة الاغواط، أين نجح في تأسيس مدرسة للتعليم هناك بعدما فشل في ذلك الشيخ الزاهري قبله.

وعند عودته الى قسنطينة أسندت اليه مهمة رئاسة تحرير جريدة البصائر بعدما تنازل عنها الشيخ العقبي الى ان توقفت عن الصدور مع البدايات الاولى للحرب العالمية الثانية. وبعد وفاة الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس عام 1940م، تأثر تأثرا بليغا لوفاته حتى مرض من شدة الحزن على فراق الحبيب. غير أنه أبى إلا أن يواصل مهمة التدريس خلفًا للراحل[1].

وبعد وفاة الامام مارست فرنسا التضييق على الجمعية وقادتها السياسيين، من أجل حملهم على تغيير مواقفهم، وبعد رفض مقترحاتها بدأت تحيك المكائد وتنسج الخطط لخصومها من قادة الجمعية، توفي الشيخ مبارك الميلي وهو في التاسعة والأربعين عاما مخلفا زادا علميا معتبرا وقيما رغم قلته، والسبب في ذلك أنه كان منشغلا بتربية وتنشئة الاجيال المستقبلية التي يعول عليها لبناء الامة، فلم تسمح له الفرصة بالكتابة والتأليف ومن بين ماتركه لنا الشيخ مبارك الميلي رحمه الله: مجموعة كبيرة من المقالات في صحف (المنتقد، الشهاب، السنة، الصراط، البصائر)، كتاب (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)، وكتاب (رسالة الشرك ومظاهره).

ومن بين من شهد لكتابات الميلي بالأهمية العلمية والتاريخية نجد شيخ المعلمين الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله حيث يقول في أهمية كتاب تاريخ الجزائر: (إنه بكتابه هذا قد أحيا أمة، واذا كان من احيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف بمن أحيا أمة)[2]، وفي السياق نفسه يقول الأديب اللبناني شكيب أرسلان في قيمة وأهمية الكتاب مايلي : (..وأما تاريخ الجزائر، فو الله ما

[1] أحمد حماني، المصدر نفسه، ص 16.

[2] أحمد حماني، المصدر السابق، ص 18.

كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أعجبت به كثيرا، كما أراني معجبا بكتابة ابن باديس، فالميلي وابن باديس والعقبي والزاهري حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة..)[1].

الشيخ محمد الصالح بن عتيق 1903-1993:

ولد الشيخ محمد الصالح بن عتيق في الرابع من شهر ماي 1903م، بقرية العارصة التي تبعد عن الميلية بحوالي 5 كلم، وسط بيئة ريفية فقيرة تفتقد إلى أبسط ضروريات الحياة مثلما هو الحال في جميع قرى ومداشر الريف الجزائري، حيث كان الأطفال يرعون المواشي ونادرا ما ينجح أحدهم في مواصلة تعليمه، وبها تعلم القراءة والكتابة وبدأ يحفظ القرآن بكتاتيب القرية[2]، وبدأ يتردد على زوايا قسنطينة ويتنقل بينها ليتم حفظ كتاب الله، وانخرط في هذه الفترة إلى صفوف معهد عبد الحميد بن باديس لتلقي الدروس به، ومن قسنطينة توجه إلى جامع الزيتونة بعد توجيه من شيخه عبد الحميد بن باديس حيث كان يفعل ذلك مع كل من يستبشر فيه المستقبل الواعد[3]، فالتحق بالزيتونة سنة 1927م في سلك الطلبة المتعلمين، واعتكف على تحصيل المعارف المختلفة، إلى أن حصل منه على شهادة التطويع سنة 1932.

ولما رجع الى الوطن في نفس السنة عمل تحت إشراف الجمعية في منطقة الميلية حيث عمل على:

- الوعظ والارشاد الديني للأهالي بالمنطقة.
- مهاجمة الطرقية الضالة التي تنشر البدع والخرافات.
- تعليم اللغة العربية وتعاليم الدين الاسلامي.

1- **مبارك بن محمد الميلي:** تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ت محمد الميلي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص11.

2- **محمد الصالح بن عتيق:** أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية الجزائرية، منشورات دحلب، الجزائر، ص31.

3- **محمد الهادي الحسني:** الشيخ محمد الصالح بن عتيق، الشروق، يومية، العدد 4971، 07جانفي 2016، ص18.

غير أن مهمته واجهت العديد من العراقيل والصعوبات بالمنطقة، فقرر أن يغادر المنطقة باتجاه قلعة بني عباس، ليتجه بعدها مباشرة الى باريس بعد طلب الجمعية لمجموعة من أعضاء ومعلمي الجمعية لتوزعهم عبر مراكزها في فرنسا لتعليم الجزائريين المهاجرين تاريخهم ولغتهم ودينهم، بطلب من الفضيل الورتلاني القائم على أمور الجمعية بفرنسا، من خلال تقديم المحاضرات وتوعية الجزائريين والمغاربة والجالية الاسلامية من خلال النوادي وقد كان لذلك الأثر الايجابي على أبناء الجالية المسلمة بفرنسا، وبعد عودته الى الجزائر تنقل بين مدارس الجمعية من سكيكدة إلى البليدة التي ألقي عليه القبض فيها سنة 1956 ليدخل بعدها حياة المعتقلات إلى غاية 1962 أين أفرج عنه بموجب اتفاقيات إيفيان.

محمد بن عبد الله الزاهي 1904–1960:

ولد سنة 1904 بالميلية، بقرية آزيار تحديدا، حيث تنقل بين زوايا المنطقة إلى أن أتم حفظ القرآن الكريم، ثم اتجه الى قسنطينة لمواصلة مشواره التعليمي ليمكث به مدة سبع سنوات، لينتقل بعدها الى جامع الزيتونة بتونس سنة 1927م، وبعد 5 سنوات قضاها في طلب العلم بالجامع، عاد منه إلى الجزائر حائزا على شهادة التطويع في عام 1932م، ليتفرغ بعد ذلك لمهمة التعليم في الجزائر رفقة خليله محمد الصالح بن عتيق، لتعينه الجمعية في مهمة الوعظ والإرشاد والتعليم في فروعها بباريس، بطلب من رئيسها هناك الفضيل الورتلاني وذلك الى غاية 1938م، وبعد عودته من فرنسا ساهم مساهمة فعالة في الثورة التحريرية، مما جعله يتعرض وفي مرات عديدة للتعذيب والاستنطاق إلى غاية استشهاده في ساحة المعركة عام 1960م.

الشيخ الصادق حماني 1915–1983:

من أبناء عمومة الشيخ أحمد حماني، ولد سنة 1915م بقرية تمنجر ببلدية العنصر جيجل، حفظ القرآن بكتاب القرية، ثم انتقل الى تونس ليواصل دراسته بجامع الزيتونة سنة 1934م، وداوم الشيخ على العمل والاجتهاد في طلب العلم رغم الظروف الاجتماعية الصعبة،

حيث تحدى كل الصعوبات والعراقيل ورجع منه بشهادة الاهلية، ليمارس مهنة التعليم بالجزائر، حيث كان يتنقل في ربوع الوطن بين المدارس المختلفة لجمعية العلماء المسلمين.

-عمل على تكوين النشأ الجزائري من جيل الثورة.

-محاربة البدع والخرافات في المجتمع الجزائري بفعل الجهل والطرقية المنحرفة.

مارس مهنة التعليم بعد الاستقلال، إلا ان توفاه القدر سنة 1983م.(1)

الشيخ بوروح أحمد (بورزاق) 1920-1986:

ولد بقرية تكسانة التابعة لولاية جيجل حاليا، في 4 أفريل 1920 في بيئة ريفية جبلية، ودخل كتاب القرية وأتم حفظ كتاب الله متنقلا بين زوايا المنطقة، وفي سنة 1939 انتقل الى جامع الزيتونة بتونس، وهو حال كل الطلبة آنذاك وحفظة القرآن، وترأس هناك جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين، وبعد مجهودات كبيرة من الجد في طلب العلم في تونس، تحصل على شهادة التحصيل عام 1946، وعند عودته الى الجزائر عين على رأس مدرسة الحياة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين بجيجل، وفي سنة 1949م استدعته الجمعية إلى معهد عبد الحميد بن باديس للتدريس هناك نظرا لكفاءته العالية، غير أن الجمعية عرفت مضايقات شديدة في هذه الفترة، بسبب الأحداث والتطورات الحاصلة على الساحة السياسية قبيل الثورة التحريرية.

ونظرا للأحداث المتوالية، لجأت فرنسا الى ممارسة التضييق على قادة الجمعية، مما أدى بالشيخ بالعودة الى تونس لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة، ليتحصل منه على شهادة العالمية سنة 1958.(2)

الشيخ بورويس الدراجي 1929م:

1- خير الدين شترة: المرجع السابق، ج3، ص31.

2- خير الدين شترة: المرجع السابق، ص 17.

من مواليد 1929م بمنطقة تاكسنة بجيجل، حيث يروج أنه انتقل إلى تونس راجلاً للالتحاق بجامع الزيتونة نظرا لتعنت الادارة الاستدمارية الفرنسية، في منحه رخصة السفر إلى تونس لمواصلة تعليمه بجامع الزيتونة غير أن ظروفا حالت دون مواصلته الدراسة هناك فعاد إلى الجزائر، ليعود إلى تونس مرة أخرى ويعود منها بشهادة الأهلية عام 1950م، واستمر يبذل مجهودات كبيرة في طلب العلم هناك ليتوج بشهادة التحصيل عام 1954م، ليعود بعد ذلك إلى الجزائر، ليمارس مهنة التعليم في مدارس الجمعية، إضافة الى تقديم حلقات للوعظ والارشاد بعديد المساجد في الوطن، وبعد الاستقلال واصل مهمة التعليم، اضافة الى مهام أخرى في وزارة الشؤون الدينية.(1)

الشيخ محمد الطاهر ساحلي 1908-1990:

من مواليد سنة 1908 بقرية طيلوت بني خطاب التابعة اداريا لبلدية تاكسنة بجيجل من أسرة عريقة معروفة بالعلم، كان والده يشغل منصب الإمامة بمسجد العتيق بجيجل، مما ساعده على حفظ القرآن مبكرا بكتاتيب القرية وزواياها، ولما بلغ الرابعة عشر من عمره انتقل الى زاوية سيدي عبد الرحمن بن حملاوي بالتلاغمة، وذلك لينهل من علومها الشرعية والدينية، أين مكث بها مدة 10 سنوات يجتهد فيها في طلب العلم.

وفي سنة 1927 اتجه نحو تونس قاصدا جامع الزيتونة، طالبا للعلم وناهجا ضروبه المختلفة، ليصبح عضوا بجمعية العلماء المسلمين، بالإضافة الى تأسيسه جمعية الحياة بتونس التي كانت تجمع الطلبة الجزائريين وتهدف إلى تحسين أوضاعهم من خلال مطالبها المختلفة، عاد من جامع الزيتونة الى الجزائر سنة 1932 متحصلا على شهادة العالمية، ليتم بقية مشواره بين مهنتي التدريس والإمامة، حتى وافته المنية في 10 فيفري 1990 بولاية جيجل.(2)

1- خير الدين شترة: المرجع السابق، ص 17.

2- خير الدين شترة: المرجع نفسه، ص 50.

إذا سلمنا أن الاستدمار الفرنسي قد فرض منطق القوة الاستدمارية على الجزائريين، بمختلف مستوياتهم وأعمارهم وأجناسهم ما جعل الأغلبية الساحقة منهم تختار سبيل الهجرة كحل مؤقت لمواجهة للمعضلة الاستدمارية ،غير أن لهذه الهجرة جوانب خفية وانعكاسات ايجابية،برزت ملامحها على المجتمع الجزائري من خلال مجهودات الحركة الاصلاحية الجزائرية، في التصدي للسياسة الاستدمارية بأوجهها المختلفة، والحركة الاصلاحية في منطقة جيجل ماهي الا جزء من الكل، وما واسهامات النخبة الجيجلية وعلمائها وشيوخها في مجالات الدعوة والاصلاح ،والحركة الوطنية الجزائرية بمختلف اتجاهاتها، والثورة التحريرية الكبرى الا دليل قاطع على الانتماء الهوياتي العربي والاسلامي، الذي يسكن قلوب وأفئدة الجزائريين، والوطنية الجزائرية التي تخفق مع كل دقة قلب جزائري أبصر نور الحياة على أرضها.

ملاحق البحث:

صورة الشيخ احمد حماني

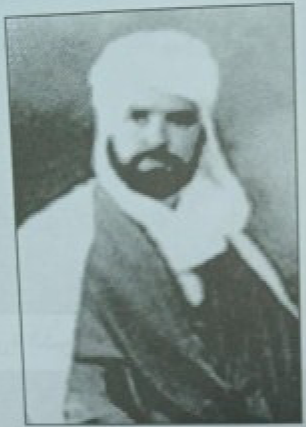

صورة الشيخ مبارك بن محمد الميلي

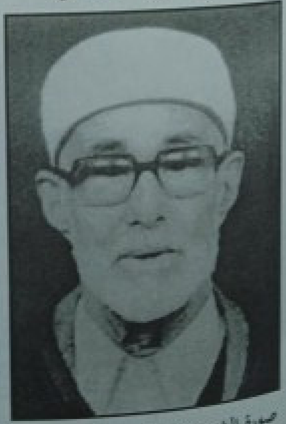

صورة الشيخ محمد الصالح بن عتيق

صورة الشيخ بورويس الدراجي

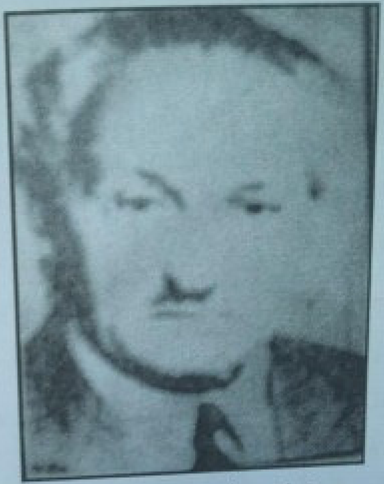

صورة الشيخ أحمد بوروح (بورزاق)

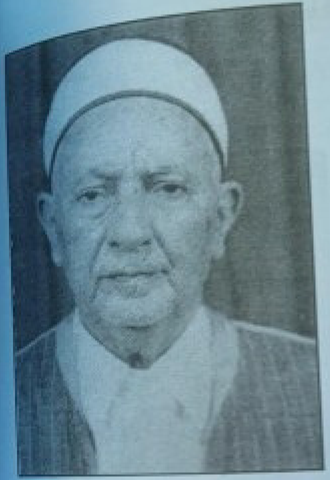

صورة الشيخ محمد الطاهر ساحلي

شهادة العالمية في العلم الشرعي

نموذج عن شهادة العالمية التي كانت تمنح للطلبة بجامع الزيتونة

أ. حسين بوبيدي

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة

التاريخ في خدمة المشروع الإصلاحي ومدافعة التزييف الاستدماري

- كتاب (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) لمبارك الميلي أنموذجا -

قدمت الكثير من الدراسات عن الأنشطة العلمية والتربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفترة الاستدمارية، واهتم الكثير من الباحثين بمشايخها، فدرست أعمالهم وأنشطتهم وكتاباتهم المختلفة، وبينت هذه الكتابات طبيعة التكوين المعرفي لهم، وإسهاماتهم في العمل الإصلاحي والنضال الوطني والجهد الثوري، من خلال تتبع مسارهم التاريخي، ومحاولة رصد آثار إنجازاتهم، وذلك من أجل دمج هذا النضال في الذاكرة الجمعية للجزائريين، لما تمثله الفترة الاستدمارية من إطار زمني شهدت فيه الأمة فقدان سيادتها وسيطرة الأجنبي على مقدراتها،

ولذلك تعتبر كل الأعمال والجهود التي بذلك من أجل التحرر هي أمجاد ينبغي الالتفات إليها والتذكير بها، سواء كانت على مستوى المقاومة المسلحة أو النضال السياسي أو الجهد التربوي الإصلاحي، ومن ذلك أسلوب المدافعة عبر الكتابة التاريخية الذي كان مبارك الميلي[1] مبرزا فيه.

1- قراءة الإنتاج الفكري في سياقه الزمني (البحث عن النظام المعرفي):

من الغلط المنهجي محاكمة الكتابات المعرفية خارج سياق تدوينها، ذلك أن النصوص لا يمكنها أن تستقل عن الظروف الزمنية المحيطة بها، وأشكال الضغط السياسي والاجتماعي، وألوان التدافع الحضاري، وكل ذلك يمثل قاعدة خلفية تحكم الكاتب وتمثل البنية اللاشعورية أو الشعورية التي يصدر منها، وهو ينطلق في اختيار ملفوظاته وتوجيه كتاباته عن هذه الخلفية، ولا نقصد هنا الإشارة فقط إلى البعد الذاتي الذي يطبع مختلف الطروحات التاريخية، بل إلى ما هو أعمق من ذلك، مما يعد أحد مكونات العقل الذي ينتج هذه المعرفة.

إننا لا يمكن أن نفصل دراسة الكتابة التاريخية عن باقي المعارف السائدة، والتعاطي معها بشكل انفصالي عن البنية المعرفية التي يصدر منها كاتبها، فلاشك في وجود ترابط ابستمولوجي عميق بين مختلف المعارف الحاضرة في فترة زمنية محددة وفي عصر معين، وهو ما أطلق عليه ميشال فوكو لفظ "الإبستميه"[2]، الذي أبدع هذه القراءة لمختلف الخطابات والقضايا الفكرية والسلوكيات الاجتماعية والسياسية والثقافية، وهذا الإبستميه/النظام المعرفي لا يتجه بالدرجة الأولى نحو الأفراد، بل أساسه هو الاتجاه نحو المجتمع عموما بمختلف مؤسساته وتركيبته المعقدة، من أجل دراسة المنظومة الفكرية الموجودة فيه، سواء كانت منظومة واحدة موجهة، أو منظومات متصارعة تحاول

1- حول حياة الشيخ مبارك الميلي أنظر: **أبو القاسم سعد الله**: تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1998، ج7، ص: 409-414.

2- **عبد الله عبد اللاوي**: حفريات الخطاب التاريخي العربي المعرفة السلطة المتخيلات، وهران، دار ابن النديم، 2012، ص: 43

فرض السيطرة على المجالات المتنازع عليها من خلال مشاريع متناقضة أو مختلفة، ذلك أن كل هذه التجاذبات تشكل عمقا تنتج عنه العلوم وتتبلور من خلاله المعارف.

كما أن البحث في تاريخ الأفكار يحتم علينا التمييز بين نوعين منها، الأول يمثل تعابير ذات قيمة، تظهر لأول مرة، دون أن يكون لها نظير سابق، فتصبح بالتدريج نماذج لأفكار أخرى، فهي بذلك تمثل إبداعات على مستوى مسار الفكر، بينما تمثل الثانية مجرد مقولات مكررة، لا تتمتع بأي أصالة[1]، وهو ما يحتم على الباحث الحفر في التاريخ من أجل العثور على المجال الابستمولوجي أو الأوليات التاريخية التي توضح النظام الخفي الموجود خلف هذه المعارف التي قد تبدو في ظاهرها مشتتة ومفتقدة إلى الاتساق والتماسك، وإلى نمط محدد من النظام، ذلك أن كل المعارف والأفكار مشدودة بهذا "الإبستميه" المهيمن على العصر الذي يظهر فيه[2].

إن الإبستميه تظهر لنا وفق الطرح الفوكوي كبنية في وجه من وجوهها، ولكنها ليست بنية ساكنة، بل بنية متغيرة باستمرار، وذلك لعلاقتها بالتاريخ، ذلك أن كل مرحلة تاريخية محكومة بمنظومة معرفية محددة، تقطع مع سابقتها وتكون مقدمة لمنظومة لاحقة، فهي حسب فوكو ليست شكلا ساكنا ظهر يوما من الأيام ليختفي فجأة، بل مجموعة من الانقسامات والتفاوتات والانزياحات والتطابقات المتحركة باستمرار والتي تنشأ ثم تنحل[3]، وهذا ما يؤسس لضرورة موضعة كل المعارف المدروسة في السياق الذي أنتجها.

إن المعارف التي أنتجتها الحركة الإصلاحية في الجزائر كانت تعبر عن امتدادا للحركة الإصلاحية الإسلامية بمفهومها الواسع، خاصة من خلال التأثير الذي مارسته دعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، لكنها تتميز بخصوصية جزائرية محكومة بالظروف السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، حث ألقت التجاذبات السياسية بين مكونات الحركة الوطنية، والصراع

1- ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ط3، تر: سالم يفوت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 2005، ص: 130.
2- عبد الله عبد اللاوي: المرجع السابق، ص: 44.
3- الزواوي بغورة، ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر، ط 2، بيروت، دار الطليعة، 2007، ص: 55.

الفكري بين الخط الإصلاحي والإسلام الصوفي الطرقي، بظلالها على نشاطات الجمعية وتوجيه اهتماماتها وترتيب أولوياتها، لكن مدافعة المشروع الاستدماري على المستوى الثقافي كان يمثل منطلق التفكير لدى رجال الإصلاح، باعتبارهم مدافعين عن استمرار الجزائر بلدا، والعربية لغة، والإسلام دينا، وهو ما يكشف لنا عن جذور حضور الخطاب التاريخي في أدبيات رجال الجمعية.

إن قراءة الإنتاج الفكري لرجال الإصلاح في الحقبة الاستدمارية يعتمد على مدخل واسع جدا، ذلك أن تحديد الحقل المعرفي وربطه بالسياقات التاريخية لا يسمح لنا بالقراءة المتسرعة، فلكل منتوج ظروفه الخاصة ومنظومته العامة، ورغم ذلك فإن إدراك مختلف الفعاليات المعرفية السائدة من التيارات النشطة، وتحديد أوجه المنازلة الفكرية في تخصصات معينة، يسمح بموضعة الأعمال المراد دراستها ضمن أولويات الفترة التي كتبت فيها بحسب العقل الذي أنتجها، ولأنه من العسير جدا تقديم مدخل تاريخي عام للفترة في هذه الورقة المختصرة، فإننا نكتفي بالإشارة إلى ضرورة استحضار ذلك عند التعاطي مع كتاب الشيخ مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث.

وتبغي الإشارة هنا إلى أنه من الغلط التوجه إلى محاكمة الكتابة التاريخية لمبارك الميلي بمسار تطور الدراسات التاريخية في العالم الغربي، أو للمقومات المنهجية التي ينطلق منها ويصدر عنها كاتب التاريخ يومها، بل ينبغي الانتباه قبل ذلك إلى طبيعة تكوين هذه الشخصية، وهدفها من التوجه نحو التاريخ، وإدراك الخلفيات التي دفعت بصاحب التكوين الشرعي الفقهي العقدي بالدرجة الأولى إلى العمل على حفظ الذاكرة الجمعية للجزائريين من خلال هذا الكتاب، وبعده يمكن لنا الحديث عن تقييم هذه المحاولة، وإدراك مدى نجاحها في تحقيق ما كانت تصبو إليه، لأن مشروع مبارك الميلي ينبغي قراءته في ضوء الصراع المحموم الذي كان دائرًا بين المشروعين الاستدماري والوطني، حيث كان رجال الإصلاح من شيوخ الجمعية رقما فاعلا في العمل على حفظ هوية الأمة وتخليص لغتها ودينها وتاريخها من العبث الاستدماري، وكانت المدافعة من خلال الكتابة

التاريخية مغيبة إلى تلك المرحلة، وهو ما كان ضروريا اقتحامه وإدخاله في خضم المواجهة الحضارية والفكرية.

2- مشروع المدرسة التاريخية الاستدمارية: التاريخ في خدمة الاستدمار.

عمل الاستدمار الفرنسي منذ 1830 على تقديم تاريخ جديد للجزائر، ذلك أن قانون الإلحاق جعل الإدارة الاستدمارية تشتغل على إثبات المشروعية التاريخية للتواجد في شمال إفريقيا من خلال تاريخ موجه، وإضفاء المهمة الحضارية والرسالة الإنسانية على الفعل الاستدماري، وهو ما خصصت له الكثير من الجهد الذي أوكلته للجمعيات والأفراد من أجل وضع المعرفة في خدمة الأهداف الاستراتيجية والمخططات السياسية، فنتج عن ذلك الكثير من المؤلفات التي قدمت للجزائر تاريخا متخيلا، ومررت من خلال هذا الخطاب المشوه أفكارا تعمل على إنكار وجود امتداد تاريخي لدولة أو أمة جزائرية، وتصوير البلاد باعتبارها مجموعة من القبائل المتصارعة على المجال الرعوي والزراعي، والتي شهدت تتابع عمليات الغزو الخارجي منذ العصور القديمة، وعجز أهلها عن تشكيل نموذج لدولة جامعة بسبب افتقادهم لشعور الوحدة.

يشير علاوة عمارة إلى أنه رغم تطور مناهج الكتابة التاريخية في فرنسا، إلا أن التوجه الوضعي لم يتمكن من التخلص من ضغط الوعي القومي لصناعة تاريخ كامل سردي في معظمه، موجه لخدمة أغراض سياسية وتربوية، حيث كان التوجه العام للإمبراطورية الاستدمارية الفرنسية هو صناعة تاريخ لمستعمراتها يربطها بالمستعمرة الأم، وهذا في محاولة إعطاء دفع للمشروع الثقافي الهادف إلى تدمير النسيج الاجتماعي لسكان المناطق المحتلة، وتوجيهها نحو "نور الحضارة الغربية"، ومثلت الجزائر أهم المناطق التي شكلت ميدانا خصبا لهذه السياسات الاستدمارية[1].

1- علاوة عمارة، " الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر"، المواقف، 3(2008)، ص: 93.

لقد قسم أبو القاسم سعد الله الكتابة التاريخية الاستدمارية إلى مرحلتين كبيرتين، تمتد الأولى بين سنتي: 1830-1880 أسماها بعهد المؤرخين العسكريين، أما الثانية فموضعها بين سنتي: 1880-1954 وأسماها عهد المؤرخين الاختصاصيين، منبها إلى التشجيعات والتسهيلات التي منحتها فرنسا للمشتغلين في هذا الحقل، ولافتا النظر إلى أن طبيعة التكوين العسكري لكتاب التاريخ في المرحلة الأولى كان يبرز الأهداف الاستدمارية والاستيطانية لهم، باعتبارهم جزءا من آليات السيطرة والوسع والضم والإلحاق[1]، ولم يكنمؤرخو العهد الثاني اختصاصيين إلا من حيث طبيعة تكوينهم، ذلك أن الدراسات التي ظهرت أثناء عهدهم، كانت تبرز مدى تبعية المؤرخ للاستدمار، ومدى إغراقه في الذاتية والتضحية بقيم البحث والعلم من أجل مصلحة وطنه، ذلك أن التخصص لم يمنع هؤلاء، من تحقيق استمرارية خط الكتابة التاريخية المسخر لتحقيق استمرار السيطرة الاستدمارية[2].

ومن أجل غلق المجال أمام تشكيل تاريخ بديل للكتابة الاستدمارية، شكك كتاب التاريخ الفرنسيون في المصادر العربية واتهموها بالتجريدية والمبالغة، بل نادى بعضهم بعدم الاعتماد عليها، فقد شكك دو سلان/de Slane في صحة أخبار العرب عن المغرب، ووافقه في ذلك ستيفان قزال/ Stéphane Gsell الذي اعتبر البحث في الفتح العربي دخولا في ظلام دامس لعدم وجود الوثائق الصحيحة والمعاصرة، وطالب وليام مارسي/William Marcier بالاكتفاء في تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية بالمصادر الأوروبية ووثائق الأرشيف والمراسلات التجارية[3].

وفي إطار دمج التاريخ الجزائري في مسار الحضارة الغربية، وقطعه عن الامتدادات المشرقية، ركزت الكتابة الفرنسية منذ البداية على إبراز بلاد المغرب في ظل الإمبراطورية الرومانية من خلال الإشادة بالأباطرة وعلاقاتهم بالبربر، وقد ألحقوا بذلك المسارعة في ترميم أهم المدن الأثرية الجزائرية

1- أبو القاسم سعد الله، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، الأصالة، 14(1973)، ص: 10-13.

2- المرجع نفسه، ص: 12.

3- المرجع نفسه، ص: 14-15.

من خلال تدمير الطبقات الأثرية الخاصة بالفترتين البيزنطية والإسلامية، والاكتفاء بالطبقة السفلى الممثلة للسيطرة البيزنطية، بينما تم تصوير الفاتحين العرب كسفاحين وناهبين لخيرات المجتمعات القبلية البربرية[1]، والمبالغة في نفخ أخبار الكاهنة وكسيلة باعتبارها دلالة على رفض البربر للإسلام، وجهدا كبيرا في التصدي له، ليسهل بذلك تبني الأطروحة المعتمدة على الانتشار القهري لهذا الدين في شمال إفريقيا.

يوضح لويس برتراند/Louis Bertrand هذه الخلفية التي يصدر عنها الاستدمار الفرنسي بقوله: "نحن عندما دخلنا إلى إفريقيا لم نعمل شيئا سوى استعادة ولاية فقدناها منذ عصور الرومان (...) ونحن كورثة لروما نطالب بحقنا الذي وجد حتى قبل الاسلام، هذا الأثر الرمزي لهذه البلاد ليس المسجد وإنما قوس النصر"، ثم يضيف: "أيحط من قدر الجزائري المسلم أن نذكره بأصله الروماني؟ إن كل ما يهمنا في الجزائر هو إعادة خلق شعب الجزائر الروماني"[2].

وقد عمدت الكتابة التاريخية الفرنسية إلى تهميش المرحلة الاسلامية بوصفها مرحلة حضارية وعمرانية، حيث وصفت بالقرون المظلمة، بينما تم التركيز على الهجرة الهلالية وإبرازها كغارة ذئاب جلبت الخراب للمنطقة، ولعل النص الخلدوني التي يوحي بهذه الصورة هو التي قاد نحو الاهتمام بابن خلدون والثقة في كتابه، كما تم تجاوز أهمية المرحلة العثمانية التي قويت فيها شوكة الجزائر، وتوحدت جغرافيا وسياسيا وتمركزت إدارتها[3]، وذلك من أجل تمرير خطابهم الذي يقدم العثمانيين كغزاة وقراصنة بحر، ويعطي المشروعية للاحتلال الذي كان يقدم في بدايته باعتباره إنقاذا لسكان البلاد من الغزو التركي.

1_ علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 94.

2_ فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937، الجزائر، دار الخلدونية، 2013، ص: 79-80.

3_ علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 94-95. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 20.

من ناحية أخرى تم استغلال الكتابة التاريخية في تطبيق سياسة: "فرق تسد"، وذلك من خلال خلق ثنائية العربي والبربري أو البدوي والمستقر، وكتابة التاريخ من خلالها، بتصوير مختلف أحداث المنطقة منذ وصول الهلاليين صداما متلاحقا بين هذين المكونين الاثنين، ومن خلال التأكيد على افتقاد المنطقة للوحدة الاثنية، وعدم قدرتها على مر العصور على تحقيق وحدة سياسية، يتم التبرير لضرورة الحضور الأجنبي، حيث يربط لويس برتراند/Louis Bertrand انتظام الأمور في الشمال الإفريقي بقوة الشرق، إذ يقود ضعفه إلى انخراط المنطقة من جديد في اللاانتظام والفوضى الذي هو سمتها الأصلية، ولأن العرب بزعمه لم يأتوا سوى بالانحطاط والبربرية، فلابد أن ترجع المنطقة من جديد إلى السيادة اللاتينية التي حققت لها الاستقرار والتحضر[1]، ولعل تركيز الكثير من هؤلاء على التواريخ المحلية منطلق من اعتبارهم أن التأريخ للمجالات الضيقة هو التاريخ الحقيقي في غياب روابط حقيقية، حين يتم تصوير هذه الجماعات والقبائل والأسر باعتبارها تعيش منقطعة عن الفضاء الجغرافي الأوسع.

إن متابعة مختلف التزييفات التي عمل المؤرخون الفرنسيون على تمريرها تحت دعاوى البحث الأكاديمي والرؤية الموضوعية يحتاج بحثا مطولا متخصصا، ويكفينا هنا أن نؤسس للقول أن هذا النوع من الكتابة الموظفة سياسيا، لم يكن منهجيا حتى وإن وظف مختلف الأدوات المنهجية، ذلك أنه لم يكن يصدر عن رغبة في إدراك الحقيقة وتلمس الواقع كما كان عليه في الأزمنة المدروسة، بل مجرد أداة من أدوات الهيمنة والاستغلال للشعوب المستعمرة، وهو ما جعل هذه الكتابات تعبر عن رؤية استدمارية لشعوب تقع تحت سيطرتها، وتتضح بكل أشكال العنصرية التي تجعلها مجرد آلة دعاية حربية لا تستحق وصف البحث النزيه.

1- **فريد حاجي**، المرجع السابق، ص: 173. وحول الكتابة التاريخية الفرنسية في الفترة الاستدمارية حول التاريخ الوسيط للجزائر، ينصح بالعودة إلى: **كريم بولرعة**، المغرب الأوسط الإسلامي في الكتابات التاريخية الفرنسية 1830-1930، مذكرة ماجستير، إشراف علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2010-2011.

195/377

3- النضال الوطني منهجا في الكتابة التاريخية.

إن كل هذا الإرث الاستدماري الذي كان يقدم عبر المؤلفات، وتصدر في دعمه وتأكيده المجلات والجرائد المختلفة، ويتم نسج البرامج التعليمية والأنشطة الثقافية انطلاقا منه، كان يمثل للحركة الوطنية المؤمنة بالهوية الجزائرية ذات البعد العربي الإسلامي خطرا محدقا على العقل الجزائري، ولذلك عمدت إلى الرد عليه وتفنيد مقولاته، ومن ذلك نص الإمام عبد الحميد بن باديس في تفنيد الرؤية التقسيمية للمجتمع الجزائري بقوله: "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم،فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب، والأماني الخوادع، ياعجبا لم يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوي، كلا والله، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم"[1].

ومن أهم ما يميز الكتابات ذات البعد التاريخي لقيادات العمل الاصلاحي مثل القصص التاريخي الذي كان ينشره الشيخ عبد الحميد بن باديس لسيرة أعلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أعلام الأمة، أن الهدف منها لم يكن فقط التأريخ من خلال تدوين الأحداث كي لا يطالها النسيان، ولكن أيضا من أجل الإسهام في بناء الذاكرة الجماعية للجزائريين، باعتبار هذه الشخصيات هي الامتداد الهوياتي، وهي التي تمثل القدوة بالنسبة للجيل الذي يرد له الاستدمار عقلا ينظر إلى تاريخه من خلال أعمال روما وبيزنطا وإدارة الحكومة

[1]- عبد الحميد بن باديس، "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان"، جريدة البصائر، 3(22 شوال 1654هـ/17جانفي 1936)، ص:2.

196/377

الفرنسية، فالتاريخ وفق تصور الإصلاح جزء من الهوية التي يجب الدفاع عنها، وأحد أهم أسس الروح الوطنية التي يعمل على إيقاظها.

وفي هذا السياق -ولكن من داخل الكتابة التاريخية ذاتها- جاء الاهتمام بضرورة تصحيح الأغاليط التي تنشرها الكتابة الاستدمارية، وإعادة تقديم رؤية جديدة للتاريخ، وهو ما تدل عليه شهادة أحمد توفيق المدني في ملابسات ظهور كتابه: "قرطاجنة في أربعة عصور تاريخ الشمال الإفريقي قبل الإسلام" سنة 1927، باعتباره محاولة لإعادة ربط المنطقة بالشرق، وتجاوز الأطروحة الفرنسية المركزة على الفترة الرومانية، والذي عده مقدمة لظهور كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي بداية من سنة 1928، حيث نقل لنا في معرض حديثه عن كتاب الشيخ الميلي وعي رجال الإصلاح بأهمية التاريخ في حماية الهوية الوطنية، وخوفهم من اغترار المثقفين بالطروحات الفرنسية[1].

وقبل هذين الكتابين كان عثمان الكعاك قد أصدر سنة 1925 كتابه "موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي"الذي اعتبره علاوة عمارة بمثابة رسم للخطوط الأولى للتاريخ الوطني الجزائري[2]، وفي نفس الإطار يمكننا موضعة كتاب"تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمن الجيلالي الذي أصدر جزئه الأول سنة 1953[3]، وهي الكتب التي ينبغي دراستها باستحضار سياقاتها الزمنية، والحفر في خلفيات تأليفها، لأنها تعد أحد مظاهر المقاومة الوطنية، قبل أن تعبر عن الرغبة الذاتية في الكتابة والتدوين لمجرد الهمّ المعرفي.

1- **أحمد توفيق المدني**، "مبارك الميلي مؤرخ الجزائر" نشر في: محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 2001، ص: 308-309.

2- **علاوة عمارة**، المرجع السابق، ص: 96.

3- حول هذا الكتاب أنظر: **علاوة عمارة**، "ملاحظات حول تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي"، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ الفقيه ذو القرن، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2011، ص: 217-229.

إن مما يوضح الصورة الحجاجية في هذه المؤلفات، الرغبة الواضحة في تشكيل الوعي الجمعي للجزائريين عبر الخروج من سياق التدوين التاريخي، إلى التأكيد على بعض القضايا والقيم والإسهاب في توضيح بعض المواقف، واستحضار صورة الوعي الذي يجب أن يصل إلى القارئ عموما، والعمل على ربط الماضي بالحاضر من خلال أخذ العبر والدروس، وهو ما يبرز أن خلف الكتابة التاريخية تخطيطا محكما، باتخاذ التاريخ مدخلا للتذكير بالأمجاد والبطولات،وتفنيد الادعاءات، والحث على ضرورة تجاوز الحالة الراهنة، بحسب ما تسمح به آليات مواجهة السياسات الاستدمارية، ليمثل التاريخ شكلا من أشكال التحايل على هذه السياسات.

لقد أشار لويس جوتشلك/Louis Gottschalk رغم تحذيره من استغلال الوطنية الزائفة والديكتاتوريات للكتابة التاريخية من أجل تلميع عهودهم، أو صياغة التاريخ بما يناسب سياساتهم، إلى أن المؤرخين قد يجدون انفسهم في أوقات الأزمات القومية كالحروب أو فترات التكيف التي تتبعها مدفوعين إلى إضفاء العاطفة على قصة تقدم بلادهم، وقد يتناسون الحقيقة بعض الشيء إذا دعت الضرورة ذلك، وذلك من أجل استخدام التاريخ في تنشئة مواطنين صالحين، خاصة إذا كانت قصة الوطن مما يحق للمواطن الفخر به[1]، وهو ما تفعله الكتابة التاريخية المناضلة، خاصة إذا كانت تصدر عن سابق تكوين عقدي فقهي بالدرجة الأولى، ينطلق من تصور قرآني للتاريخ باعتباره موطن لأخذ العبر وبناء الإنسان المسلم وفق منطق القدوة والاتباع للصالحين، والتخويف من مسالك أهل الضلال والإنحراف، ويرى في التاريخ ماض زاهر يذكي النفوس بجذوة الحماس ويبعثها على استعادته[2].

1- لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، تر: عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1966، ص: 15.

2- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح، محمد الميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ج1، ص: 59.

198/377

إن هذا المنطلق يبرز عند الشيخ مبارك الميلي من خلال طريقة تصوره لمعنى التاريخ الذي اعتبره: "مرآة الغابر ومرقاة الحاضر، فهو دليل وجود الأمم، وديوان عزها، ومبعث شعورها وسبيل اتحادها وسلم رقيها، متى درسه أبناء أمة وأحاط أخيرا بأدواره شبابها، عرفوا وجودهم، فلم تبتلع قوميتهم القوميات الحية النهمة المجاورة لهم، وأدركوا ما لماضيهم من المجد وما لأسلافهم من الشرف، فلم يقبلوا تنقيص المنقصين وعبث المدلسين وقدح المغرضين، وشعروا بعز السيادة ولذة الحياة، فأنفوا من سيطرة المستبدين ولم يخضعوا لذل المستعبدين"[1].

إن التاريخ بهذا المنظور، يستخدم في بناء الشخصية الوطنية، ومواجهة المشاريع الاستدمارية، خاصة عندما يكون تاريخ الوطن تاريخا يحق للمواطن الفخر به، ويؤدي استغلاله إلى بعث روح السمو والاعتزاز، وهو كذلك وسيلة للبعث، في الفترات التي تخبو فيها تلك الأمجاد، ويصبح الماضي أكثر إشعاعا من الحاضر، لأن عملية بناء الذاكرة الجماعية وتشكيل الضمير الوطني تكون بمثابة استحضار لحزمة من النور لإضاءة عتمة الحاضر[2].

4- كتاب مبارك الميلي (تاريخ الجزائر في القديم والحديث): المناهج والمضامين.

إن كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي ينبغي أن يدرس وفق للمنظور الوارد أعلاه، فهو في ميزان الكتابة التاريخية مشروع نضالي يحتاج إلى موضعته في سياقاته التي ظهر فيها، أكثر من العمل على محاكمته إلى المعايير المنهجية في الكتابة التاريخية، باعتباره كان ردا على استعدادات السلطات الاستدماريةلتخليد مرور مائة سنة على حضوره باعتبارها شهادة على ترسيخ قدم فرنسا في الجزائر، وتجاوزا لكل انتماء آخر لهذه الأرض، ذلك أن هذه النظرة قادرة على تقديم القراءة الصحيحة للكتاب الذي يعد بحق أحد أهم أسباب إحياء الكتابة التاريخية كآلية تدافع حضاري في مواجهة المستعمر، ليمثل بالنسبة للجزائري يومها البديل القادر على

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 32-33.

2- حسين بوبيدي، "مذكرات علي كافي بين التاريخ وبناء الذاكرة الجامعية"، أعمال الملتقى الوطني الثورة الجزائرية في الكتابات التاريخية المعاصرة، قسنطينة، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، 2004، ص: 195.

مجابهة الطروحات الفرنسية، والمنطلق من إحياء الذاكرة الجماعية ودفع المشروع الفرنسي الراغب في إعادة تشكيلها عبر أساليب الطمس والقراءة الاستدمارية والعنصرية.

لقد عبر هذا الكتاب من خلال لغته وطريقة تعاطيه مع التاريخ عن نفس إصلاحي، وبعد اعتزازي، وتنقيب عن الأمجاد، وإعادة إبراز البطولات، ودمج مسار التاريخ في فلك الحضارة العربية الاسلامية من خلال التركيز على الفترة الوسيطة، التي تعد منطلقا لرد زيف الخطاب الاستدماري، ودلالة على العمق العربي الاسلامي، ودعامة للتأكيد على أن المشروع الإصلاحي يستهدف إعادة الأمة التي يراد لها أن تزول، بينما كان الفترة القديمة بالنسبة للمؤلف بمثابة التنقيب عن جذور الأمة للبرهنة على وجودها واستمراريتها على أرضها، وهو ما يكشف المحرك الأساسي في الكتاب، ويبين أن منهجه نضالي قبل أن يكون متعلقا بآليات الكتابة التاريخية التي كانت قد قطعت أشواطا كبيرة من التقدم في أوروبا، ولم يكن الشيخ الميلي يملك اللغة التي تؤهله الاطلاع عليها، أو مواكبتها والخط على منوالها.

صدر الجزء الأول من الكتاب سنة 1928 وعنون له كاتبه بـ: **الكتاب الأول: تاريخ الجزائر قبل الاستلاء العربي**، قدم له بالجغرافيا الطبيعية للجزائر، وجعله في سبعة أبواب:

الباب الأول: في ذكر قدماء الجزائر أهل العصر الحجري.

الباب الثاني: في ذكر البربر وأصولهم وقبائلهم وما يرتبط بحياتهم

الباب الثالث: في ذكر الفينيقيين وأخبارهم.

الباب الرابع: في ذكر البربر وملوكهم في عهد قرطاجنة وروما الجمهورية.

الباب الخامس: في ذكر الرومان وأحوالهم مع البربر.

الباب السادس: في ذكر الفندال ومآل أمرهم.

الباب السابع: في ذكر الروم ومصير دولتهم.

أما الجزء الثاني فقد أصدره سنة 1932، وجعل فيه كتابان:

الكتاب الثاني: في العصر العربي وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول: في غزو العرب لافريقية وتأسيس إمارتهم فيها.

الباب الثاني: في الدولة الرستمية.

الباب الثالث: في الدولة الإدريسية.

الباب الرابع: في الدولة الأغلبية.

الباب السادس: في الدولة العبيدية.

الباب السابع: في نزوح الهلاليين إلى المغرب.

الكتاب الثالث: في العصر البربري وفيه ثمانية أبواب:

الباب الأول: في القبائل البربرية الجزائرية

الباب الثاني: في الدولة الحمادية

الباب الثالث: في دولة المرابطين

البال الرابع: في الدولة الموحدية المؤمنية

الباب الخامس: في أحوال العرب لعهد الحفصيين والزيانيين والمرينيين

الباب السادس: في الدولة الحفصية

الباب السابع: في دولة بني مرين

الباب الثامن: في دولة بني زيان.

وقد أشار الشيخ أحمد حماني إلى العقبات التي حالت دون إكمال الشيخ الميلي للجزء الثالث، والمتمثلة في كثرة أشغاله مع جمعية العلماء، وداء السكري الذي كان مصابا به، بالإضافة إلى عدم تمكنه من اللغات الأجنبية الضرورية لكتابة هذه المرحلة، حيث رأى أن مواصلة المشروع دون هذه اللغات يجعل من كتابه مجرد كتابة صحفية لا يرضاها[1]، وهو ما يدل على رغبته الملحة في بذل الجهد اللازم من أجل هذا العمل، وعن رضاه على ما أنجزه سابقا، مما رأى أن المصادر التي استعملها والترجمات التي استفاد منها كانت كافية لإخراج الجزئين الأول والثاني.

1_ أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة، دار البعث، 1984، ج2، ص: 18.

ويمكننا أن نشير هنا إلى أن تقييم الكتاب من الناحية المنهجية يحتاج الكثير من الإشارات، لعل في مقدمتها غياب الإحالات من كثير من المواضع خاصة بالجزء الثاني، بالإضافة إلى إقحام التصورات النصية التراثية مع نتائج البحث الأثري حول المرحلة القديمة، من خلال العودة إلى ابن خلدون[1]، ومسايرة بعض التصورات الحاضرة في الكتابة التاريخية الفرنسية، خاصة على مستوى بناء مخطط الكتاب، وهو ما يظهر من خلال تقسيم الفترة الإسلامية إلى عصر عربي وعصر بربري، إذ أن هذا التقسيم هو "نسخة طبق الأصل للدراستين الفرنسيتين الصادرتين عام 1927: بلاد البربر لمارسي/GeorgeMarcier، وأسلمة إفريقيا الشمالية لقوتييه Emile Félix Gautier /، ومن ثم فإن هذه الرؤية الزمنية لا تمت بصلة لأي أصالة اجتهادية، وإنما استمرار للمنظور الاستدماري الذي قسمه على أساس سياسي وعرقي وسلالاتي"[2]، وهذا وقوع تحت سلطان الكتابة التاريخية الفرنسيةوعجز عن التحرر التام منها حسب علاوة عمارة[3]، بالإضافة إلى وصف فتح العرب للمغرب بالغزو، والتعبير عن انتصارهم بالاستيلاء، مع الإشارة إلى أنه قد لا يكون لهذين اللفظين نفس الشحنات التي قد يتلقاها القارئ اليوم، وهو ما جعل الشيخ الميلي يستعملهما للدلالة على الغلبة والانتصار على البيزنطيين باعتبار البربر قد تقبلوا الاسلام واعتنقوه، خاصة وأنه قد استعمل لفظ الفتح في ثنايا الكتاب.

1- **Saadedine BENCHENEB**, "Quelques histories modernes arabes en Algerie", Revue africaine, 100(1956) , p 483.

2- **علاوة عمارة**، "الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر"، مرجع سابق، ص: 99. وهذا الأمر اعتمده أبو القاسم سعد الله تحديدا في الكتابة التاريخية العربية من حيث التبويب، وألحق به استعمال المؤلف تقنيات البحث الحديثة، أنظر: **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج7، ص: 415. ونفس الملاحظة عند: **فارس كعوان**، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، 2011-2012، ص: 349.

3- المرجع نفسه، ص: 99. وأشير هنا إن الشيخ مبارك الميلي قد صرح هو نفسه ببعض الإشكالات التي اعترضته، أهمها أنه لم يكن مختصا في الكتابة التاريخية وفق النموذج الذي سماه عصريا، ولا قارئا للغة الفرنسية حيث قدم في الجزء الأول شكرا لمساعديه من المترجمين: عيسى الزهار، محمد النهامي، عمر دهينة، أحمد توفيق المدني. أنظر: مبارك الميلي، المصدر السابق، ج1، ص: 7، 13.

202/377

إننا نلحظ في كتاب الشيخ مبارك الميلي قلة النصوص المعتمد عليها مقارنة بما كان متوفرا يومها، وخاصة بعد عمليات التحقيق والترجمة من قبل المستشرقين في مختلف الدول الأوروبية، واستغلال الكتابة التاريخية لكتب الفقه والأدب وغيرها مع تطور الكتابة التاريخية، فقد كان مجمل ما رجع إليه الشيخ الميلي: 47 مصدرا، 15 مرجعا باللغة العربية، 20 مرجعا باللغة الفرنسية، رغم أن الإطار الزمني الواسع للدراسة كان يحتاج استحضار ما هو أكثر من هذا العدد بكثير، ولكن الكتاب لم يكن متوفرا يومها بصورته الحالية، كما أن العمل الإصلاحي للمؤلف تدريسا وتربية ونشرا صحفيا يمنعنا من لومه على عدم سفره لجامعات النمسا وألمانيا وبريطانيا، ولعل مما يحسب للرجل استعماله لكتب التراجم والطبقات، ولا شك في أن تكوينه الفقهي كان مدخلا للاهتمام بالأعلام واستغلال هذا النوع من الكتب.

على المستوى المعرفي حاول مبارك الميلي أن يخرج التاريخ من طابعه السياسي الحدثيالذي يقتصر على أخبار الملوك والصراعات العسكرية، إلى منظور حضاري شامل، حيث قدم التاريخ باعتباره تاريخ الأمة لا تاريخ حكامها فقط[1]، وهو ما يبرز من خلال الاهتمام بالعمران والعلوم والأعلام، والعادات الاجتماعية كالملبس والمأكل وطرق الكسب، والأنشطة الاقتصادية زراعة وحرفا وتجارة، كما حاول أن يبرز أثر الاقتصاد والتباينات الطبقية الاجتماعية على مختلف الدول، وأن يحلل أسباب قيام الدول وسقوطها، ويناقش مختلف الآراء من خلال عقل متفحص ناقد، وهو ما يعد يومها نقلة بعيدة في نمط الكتابة التاريخية، يستحق من خلالها الشيخ مبارك الميلي الذكر والتنويه.

5- صور مدافعة الكتابة التاريخية الفرنسية وترسيخ قيم النضال الوطني والاصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي:

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص: 416.

لا يمكن لهذا المقال أن يستوعب كل المواطن التي تدل على النفَس النضالي في كتاب تاريخ الجزائر القديم والحديث، ذلك أن الكتاب بمجمله يصدر عن هذا النفَس، سواء من حيث اللغة أو طريقة الصياغة، أو توجيه القارئ نحو دروس وقيم مستفادة من الأحداث المؤرخة، أو تبنيا للآراء التي تتوافق مع مشروع المؤلف الإصلاحي ورؤيته الفكرية، بل إنه أحيانا يطرح قضايا فلسفية عميقة في الكتاب ليوصل للقارئ رسالة بالغة الأهمية، كما فعل وهو يصف خيرات الجزائر الفلاحية حيث اعتبر ها أحد أسباب الركود والتخلف الذي يعيشه الإنسان الجزائري، استلهاما لنظرية التحدي والاستجابة لأرنولد توينبي/Arnold Joseph Toynbee[1].

في معرض بيان رفض البربر للأجانب وثوراتهم المستمرة عليهم يكتب، "لم تزل هذه الأمة النشيطة الحرية- قبل الإسلام وبعده- تقف في وجوه الهاجمين وتثور على الظلمة المستبدين وتنهض للتخلص من وطأة الأجنبي على حريتها وازاحة كابوس المستعمرين عن مقلتي حياتها، ملأت بذلك تاريخها منذ سطوع فجر التاريخ"[2]، مؤكدا أن هذه الحروب لم تكن "بمانعتها عن مجاراة الأمم الأخرى في الحضارة والرقي والتخلق بالأخلاق الجليلة والخلال النبيلة، فقد عرف التاريخ لها حضارة عظمى ومدنية مثلى، وظهر منها علماء حكماء وعظماء خبراء في الدين والسياسة والعمران قبل الاسلام وبعده"[3].

ويلحظ قارئ الكتاب الاختلاف الكبير الذي تعاطى به المؤلف مع مرحلة التواجد الفينيقي- القرطاجي، مقارنة بالفترة الرومانية، حيث أثنى على القرطاجيين في الكثير من المواطن، وحاول أن يلطف من محاولاتهم التوسعية بالقول:"حاولت قرطاجنة أن تتوسع في وطن البربر، ولكن من غير إراقة دماء غزيرة، فتوسعت حيث لم تجد معارضة حربية قوية، واكتفت بربط الصلات حيث وجدت صلابة، وقد رأت من صلابة نوميديا أنها لا تخضع إلا بعد أهوال وحروب طوال، فلم

1- مبارك الميلي، المصدر السابق، ج1، ص: 57-59.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 81.

3- المصدر نفسه، ج1، ص: 81.

تتعنت في فتحها تعنت الرومان من بعد، واكتفت باستجلاب مودة أهلها كي تستعين بهم عند الاقتضاء،فنظمت من فرسانهم جيشا كان له الأثر المحمود في حروبها"(1)، وقد رد المؤلف عمق التأثير الفينيقي على البربر إلى طبيعة العلاقات السلمية بين الطرفين، ومنه التأثير في ميدان اللغة،الذي أعاده إلى أن البربر لما "خالطوا الفينيقيين تأثروا بلغتهم ومالوا الى خطهم، حتى صاروا بقرطة لا يتكلمون بغير الفينيقية، وأصبحت هي اللغة الرسمية بدواوين الحكومة على عهد مصينيسا فمن بعده من الملوك (...) وعلى أيدي الملوك والأمراء انتشرت هذه اللغة بين العامة خصوصا في الجهات التي تجاور مملكة قرطاجنة (...)، فأنت ترى أن اللغة الفينيقية عاشت بالجزائر بعد قرطاجنة قرونا، ولم تقض عليها أو تذهب بأغلبيتها لغة الأمم التي جاءت بعد القرطاجنيين، إلى أن جاء العرب فقضت لغتهم على هذه اللغة"(2).

وفي معرض التعريض بالسياسة الاستدمارية الفرنسية يقول المؤلف أن قرطاجة لم تكن لها "مطامع استدمارية -بالمعنى العصري- في بربر الجزائر، فلم تكن تخدعهم بالوعود الكاذبة أو تمنيهم الأماني الباطلة، فتتظاهر- وهي تسر حسوا في ارتغاء- بأنها جاءت لخيرهم، وأنها تحكمهم ريثما يصيرون قادرين على ادارة شؤونهم، رشداء في تصرفهم، ثم تقلع عنهم، وتنفض يدها من التحكم عليهم متى بلغوا تلك الغاية"(3)، وهو تنبيه إلى كذب الشعارات الاستدمارية حول الرسالة الحضارية للاستدمار، وتحذير من تصديقها.

أما الرومان فقد نبه الشيخ مبارك الميلي إلى شقاء البربر تحت حكمهم، فكتب في ذلك:" إن الحياة البربرية تختلف درجة سعادتها ودركة شقاوتها على نسبة النفوذ الامبراطوري، فالجهات التي يضعف فيها ذلك النفوذ أو ينعدم تكون سعيدة، والجهات التي يتمكن منها تكون حياة البربر بها

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 146.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 166-167، 280.

3- المصدر نفسه، ج1،ص: 162. والمثل الوارد في النص: "يسر حسوا في ارتغاء" يُضرب لمن أراد أن يمكر، فيظهر أمراً ويريد غيره، وقد عُرِّف هذا المثل بأنه يوهم أنه يتناول رغوة اللبن، ولكن الذي يريده هو شرب اللبن نفسه.

حياة العبيد"، معتبرا حالة البربر على عهد الجمهورية أتعس من حالتهم أثناء الامبراطورية[1]، وخلافا لما تقدمه الكتابات الفرنسية من استقرار الوضع في المرحلة الرومانية فإن الشيخ الميلي يصور السيطرة الرومانية باعتبارها انحدارا نحو الفوضى مست القبائل البربرية التي طالتها التوسعات[2]، وهو السبب الذي جعل البربر غير راضين بهذه السلطة الموصوفة بالاستدمارية، معبرين عن ذلك بثوراتهم المستمرة.

وإمعانا في بيان العداوة الكبيرة بين البربر والرومان علل الشيخ مبارك الميلي نجاح الوندال في هزيمة الرومان بدعم البربر لهم، إذ قال بعد مناقشة الآراء الواردة في تعليل سبب الهزيمة: "وعندي أن لا سبب لسرعة احتلال الوندال غير مساعدة البربر لهم، وعلة مساعدتهم أنهم كانوا ينفرون من سلطة رومة ويعشقون الاستقلال، وقد حاولوا مرارا أن يبلغوا مرادهم من طرد الرومان والاستقلال بوطنهم فلم ينجحوا، فلما وجدوا في الوندال نصيرا على طرد الرومان أعانوهم مكتفين بهذا الشطر من غايتهم، اذ رأوا أنهم عاجزون عن الشطر الآخر وهو الاستقلال. فاستبدلوا احتلالا باحتلال، تحقيقا لأحد المقصدين، وتلك قاعدة ارتكاب أخف الضررين"[3].

وفي التأريخ لثورات البربر ضد الرومان، اعتبر مبارك الميلي أن الروح الوطنية هي التي كانت تقف وراء هذه التحركات المستمرة الراغبة في تحقيق الاستقلال والسيادة، ولذلك وصف قادتها بالأبطال، فكتب عن يوغرطة: "كان هذا البطل العظيم متقمصا روح مصينيسا وعاملا على تحقيق برنامج كان ذلك السلف يعمل له، وهو الاستقلال بالوطن البربري في حدود مملكة أسلافه وطرد الرومان من أفريقية، نظير ما كان ينويه مصينيسا من طرد قرطاجنة"[4].

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 277.
2- المصدر نفسه، ج1، ص: 255.
3- المصدر نفسه، ج1، ص: 339.
4- المصدر نفسه، ج1، ص: 191-192.

أما سيفاكس فإن عاقبة تحالفه مع الرومان في بدايات سعيه للسيطرة على المنطقة جعل مبارك الميلي يكتب عنه: "وبعث بصيفاقس الى رومة، ومات بها سجينا سنة 203 قم، وهكذا ختمت سعادته بالسيادة وبسطته في السلطة، فمات سجينا بعيدا عن الأهل والولد، وذلك مآل سياسته في منافسته لابن وطنه، واستعانته عليه بالرومان أولا، ويسرني – وأيم الله– أن تكون هذه عاقبة كل من سعى في جلب الأجنبي الى وطنه ليتقوى به على منافسه من أبناء جنسه"[1]، كما انتقد يوبا الثاني، الذي عده رجلا بربريا رومانيا لأنه "مهد وطنه لسادته الرومان، وشجعهم على امتلاكه بعد ماحاولوا ذلك منذ أزمان، واشرأبت أعناقهم اليه فلم يقووا على تحقيق آمالهم فيه"[2].

لقد عمل الشيخ مبارك الميلي على بيان العداوة المتأصلة بين البربر وبين القوى الاستدمارية الغربية، منبها إلى أن الدلائل التاريخية "ناطقة بانشراح صدور الأفريقيين عموما للحضارات الشرقية وسرعة تأثرهم بها، ومحاربة المدنيات الغربية وتقززهم منها، وقد يعثر الباحث في بطون التاريخ على جزئيات لا تؤيد هذا الحكم، ولكنها نادرة لا تقوى على مضادته أو نقضه"[3]، وهو ما يؤسس به لتقبل البربر للإسلام وانخراطهم في فلك حضارته.

في المرحلة الإسلامية عمد الشيخ مبارك الميلي إلى إبراز سرعة الفتح الإسلامي معللا ذلك بأن العرب "لم يحملهم على غزو الأمم كسب ثروة ولا استعباد ضعيف، وإنما كانوا يريدون نشر الاسلام بصدق وإخلاص، فكانوا يعرضونه على محاربيهم أولا، فان أجابوا صاروا مساوين للعرب في جميع الحقوق، لا سيد ولا مسود ولا غالب ولا مغلوب، وإن امتنعوا عرضوا عليهم الجزية، فان قبلوها حفظوا بها حقوقهم الذاتية وعقائدهم وعوائدهم تحت العدل الإسلامي، وهذا السبب أرله

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 177. مع الإشارة إلى أنني صححت تاريخ الوفاة الوارد في المصدر هكذا: سنة (201)؟ وانظر في سيرة الملك سيفاكس: **محمد الصغير غانم**، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، عين مليلة/الجزائر، دار الهدى، 2005، ص: 133-143.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 255.

3- المصدر نفسه، ج1، ص: 73.

عاما في سرعة الفتح العربي لجميع الأوطان"[1]، كما أن سرعة انتشار الإسلام بين البربر مرده إلى أن العرب لم يأتو إلى المنطقة "لغرض سياسي أو تجاري أو استدماري، وإنما أتوا لنشر مبدأ فيه سعادة البشر في الحياتين، وأيدوا صدقهم في قصدهم بقسطهم، فأقبل البربر على ذلك المبدأ وهو الإسلام"[2]، وقد أثنى الشيخ الميلي على سياسة العرب في المرحلة الأولى، ذلك أنهم اعتمدوا في إدارة شؤون البربر على "سياسة الإخاء والحرية والمساواة حقا، فتركوا لهم أراضيهم ولم يثقلوا كاهلهم بالضرائب، حتى أن مالية ولاية المغرب كانت غير كافية، وتمدها ولاية مصر بمائة ألف دينار كل عام"[3].

كما أن الشيخ مبارك لم ينسق وراء الدعاية الفرنسية حول الهلاليين، فرغم اعترافه بما جرته الهجرة الهلالية من فساد، مبرزا أن هزيمة صنهاجة أمامه قد أدى إلى "فوضى في الوطن، فانقطعت الصلة بين المدن بإخافة السبل، وفر الفلاحون من الضواحي، فوقفت التجارة والفلاحة، وانحصرت العمارة والأمن في السواحل شمال قسنطينة حيث لا شر بين العرب والبربر"[4]، إلا أنه رفض المبالغات اتي تضمنتها الدراسات الفرنسية حول الموضوع، كما رفض أحكام ابن خلدون في ذلك، حيث علق على قوله في آثار الهجرة الهلالية على البلدان التي بلغتها:"فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير!"، بأن قوله أقفر من بلاد الجن، وأوحش من جوف العير، ومبالغة أجنبية عن أسلوب التاريخ، رادا عليه بالاعتماد على الإدريسي الذي تتبع الحملة الهلالية أحسن تتبع، ووصف طبنة ومقرة والمسيلة وغيرها بالعمران[5].

1- المصدر نفسه، ج2، ص: 36.
2- المصدر نفسه، ج2، ص: 42.
3- المصدر نفسه، ج2، ص: 43-44.
4- المصدر نفسه، ج2، ص: 185.
5- المصدر نفسه، ج2، ص: 185.

وفي معرض رده على المؤرخ الفرنسي كاريت/Carette الذي كتب أن "هجوم العرب الفاتحين كالإعصار الذي يقتلع الأشجار ويهدم المنازل، وهجوم الهلاليين كالحريق الهائل الذي يلم الأشجار والمساكن رمادا تذروه الرياح فما أبقاه الاعصار قضى عليه الحريق، وما بقي عن السياسة العربية قائما بالمغرب ذهب به الطبع العربي الهدام، فتمم الهلاليون اعمال التخريب التي ابتدأها الخلفاء الأولون"[1]، بتذكيره بأن هذه الأوصاف إنما تصلح للحروب الأوروبية، حيث كتب الميلي في الرد على الفقرة السابقة:

"هي غيض من فيض ريح مسيحية القرون الوسطى وروح الاستدمار العصري؟ لعل كاريت تصير حربا أروبية بآلاتها المدمرة واستعار نتائجها لنتائج حرب سلاحها السيف والقوس! ولعل عاطفته على هذا الوطن أمام الهجوم العربي استعارها من انسان كامل رأى الحملات الأروبية على الأمم المستضعفة! اسمح لي أيها الكاتب أن أقول لك: لست بمؤرخ يحترمه القارئ، ولا بسياسي يغر البربر، فإنهم لا يرضون عن تحاملك على العرب ولا سيما الفاتحين"[2].

ولكي يدحض النظرية التقسيمية بين العرب والبربر يرد الميلي على كاريت/Carette بأن "البربر يعلمون أن ما نتج عن هجوم الهلاليين ليس ناشئا عن عداوة جنسية أو قسوة حربية، ولذلك اختلطوا بهم وأخذوا عنهم عوائد اجتماعية وأخلاقا فاضلة أضافوها الى عوائدهم وأخلاقهم"[3]، أما السبب الحقيقي فيما لحق بلاد المغرب في تلك المرحلة، فقد رده الشيخ الميلي إلى" صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وجرأتهم عليها بما كان بين دولتيها من تنافس"[4]، منبها في صورة المؤرخ الناقد القادر على تفكيك أسرار النصوص والنفاذ إلى خلفياتها، إلى مبالغة كتّاب العربية "في تقدير تلك الأضرار ثم حملوا الهلاليين مسؤوليتها، ذلك لأنهم كتبوا

1- المصدر نفسه، ج2، ص: 186.

2- المصدر نفسه، ج2، ص: 186-187.

3- المصدر نفسه، ج2، ص: 187.

4- المصدر نفسه، ج2، ص: 187.

لدول بربرية، ولم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم في إنعامها، ولبداوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم أو عليهم، واتخذ كتاب الفرنسوية مبالغات كتاب العربية سلّما لثلب العرب، وصاروا يطرون البربر بعد ما كانوا يقذفونهم بأشنع القذائف في الدورين الروماني والبزنطي"(1).

وفي صورة أخرى من صور الخلفية الإصلاحية التي يصدر عنها المؤلف، تعاطى الشيخ مبارك الميلي مع المذهب الشيعي الإسماعيلي باعتباره مذهبا غريبا، بل إنه اعتبر التشيع بعد علي بن أبي طالب ضربا من ضروب الدجل السياسي(2)، منبها إلى أن غلاة الشيعة الامامية والاسماعيلية والقرامطة، "لما غمرتهم القوة العباسية تدثروا بالزهد والنسك، ونشروا دعاتهم في البلاد لاصطياد غفل العوام بأشراك سداها التدجيل بالغلو في العبادة والمبالغة في تعظيم آل البيت ونسبة الكرامات إليهم"(3)، كما لم يسمّ المؤلف دولة المهدي الفاطمي سوى بالدولة العبيدية، سيرا على موقف أغلب مؤرخي السنة في نفي النسب الفاطمي عنهم.

وفي مناقشة المؤلف لمسار تشكل الخريطة المذهبية في بلاد المغرب، قدم رؤية عقلانية نقدية، تدل على إدراك عميق بآليات انتصار الأفكار أو انحسارها، فقال أن "انقسام البربر على تلك المذاهب لما بين قبائلهم من منافسات وعداء، فتلك المذاهب فيهم نتيجة السياسة لا ربيبة العلم، ومع ذلك فلا بد أن يبقي المذهب أثرا في أتباعه وإن استبدلوا به غيره، لأن العامي ليس معه من العلم ما يفرق به بين المذهبين، فتجتمع لديه المتناقضات من حيث لا يشعر، ولو تجرد عالم مفكّر لدرس وطنا مثلا من حيث المعتقدات، لألفى بين جنبي الواحد عقائد مختلفة كان أهلها يتقاتلون من أجلها، ثم هو لا تحارب أجزاؤه بعضها بعضا! وقد استغل جهل العامة بحقيقة ما تدين بها كثير من الناس في أوقات مختلفة، يتظاهرون لها بمذهبها قولا ويصرفونها عنه فعلا"(4).

1- المصدر نفسه، ج2، ص: 187.
2- المصدر نفسه، ج2، ص: 131.
3- المصدر نفسه، ج2، ص: 341-342.
4- المصدر نفسه، ج2، ص: 169.

وفي الجزء الذي خصصه للتصوف في باب الدولة الموحدية المؤمنية، عمل على التفريق بين الزهد كممارسة شرعية، وبين التصوف كرياضة روحية أو تأمل عقلي بجذوره اليونانية والشرقية، مؤكدا على الفرق الكبير بينهما، ومركزا على ما دخل من قبل التصوف من الانحرافات على مستوى الأفهام والسلوكات، كالقول بوحدة الوجود والحلول والأقطاب، والبعد عن أحكام الشريعة، والوقوع في الشركيات المتعلقة بالقبور كالمسح والطواف والنذر وغيرها، معتبرا أن هذا الموضوع الذي خصص له حوالي عشرة صفحات "موضوع طويل عريض، وله بحياة المسلمين الدينية والسياسية ارتباط قوي، فلا يجدر بالمؤرخ اهماله وان لم يسعه استقصاؤه"(1).

لقد عمل الميلي على تبرئة التوجه السني من الممارسات التي تدعي أنها استمرار له، مشيرا الى أن دجاجلة الصوفية قد اتخذوا الانتساب الى سني صوفي عظيم سببا للارتزاق، وخلبوا عقول العوام بالظواهر والدواعي، وغمروها بالخرافات والأضاليل فأوردوها موارد الردى وصدوها عن سبل الهدى"(2)، ويبدو أنه هنا إنما يبرئ عبد القادر الجيلاني أو أبو حامد الغزالي من أفعال المتصوفة الطرقية وانحرافاتهم.

كل ما سبق ذكره يكشف بجلاء الوظيفة الإصلاحية والمنافحة الحجاجية في الدفاع عن الأمة الجزائرية[3]، ضمن كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي، وهو ما جعل الشيخ عبد الحميد بن باديس يرى أن الكتاب يستحق عنوان "حياة الجزائر"(4)، وقد احتفت الصحافة الوطنية والنوادي والجمعيات الثقافية يومها بصدوره، إذاعتبر بمثابة سد ثغرة كبيرة في مناهضة السياسة الثقافية الاستدمارية، وقد أرجع الشيخ أحمد حماني قيمته إلى أنه أول كتاب جعل للجزائر

1- المصدر نفسه، ج2، ص: 347.

2- المصدر نفسه، ج2، ص: 348-348.

3- نبه سعد الدين بن شنب إلى أن الميلي يكثر من استعمال مصطلح الأمة، كما نلحظ أيضا كثرة استعمال لفظ وطن الجزائر، وهو تأكيد منه على وجود امتدادا تاريخي للجزائر أمة ووطنا، أنظر:

Saadedine BENCHENEB, op,cit, p. 481.

4- مبارك الميلي، المصدر السابق، ج1، ص: 9.

212/377

تاريخا مستقلا، فلم ينسج أحد قبله على منواله، لأنه أرّخ لأمة الجزائر، وأثبت وحدتها وشخصيتها، وأثرها الفعال في الماضي العريق، وفي عصور الاسلام[1]، وعده الكثير من الباحثين بمثابة التأسيس الفعلي وإرساء معالم المدرسة التاريخية الحديثة لكتابة التاريخ الوطني، واستحق بذلك لقب شيخ المؤرخين الجزائريين[2]، بينما اعتبر عبد الملك مرتاض تأثير هذا الكتاب وقيمته النفسية والروحية والأخلاقية يكاد يساوي ثورة عسكرية قائمة بنفسها ضد الاستدمار[3].

لقد كان كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث أداة فاعلة من أدوات الصراع الفكري في فترة الاستدمار الفرنسي، حيث استطاع أن يحصن الجزائري المسلم من الدعاية المغرضة التي تقدمها الكتابة التاريخية الفرنسية عن وطنه، ومع أننا لا ندعي للكتاب التفرد على المستوى المنهجي والتحليلي من حيث مسار الكتابة التاريخية في وقته، فهو على المستوى الوطني رائد ومتقدم، ولذلك فكما يحق لنا تبني الرؤية التي تموضعه ضمن أشكال الكتابة التاريخية الظرفية التي تكتسي أهميتها من سياقها الزمني[4]، فإننا نؤكد من ناحية أخرى أن مبارك الميلي هو صاحب السبق في التأريخ لهذا الوطن بعيون أبنائه، والمؤرخ المتعامل مع الكتابة التاريخية الفرنسية بالحس النقدي المدرك لخلفيات المؤرخين وللأفكار العنصرية التي يصدرون عنها، والغايات التبريرية التي يريدون تحقيقها من خلال التعاطي الموجه مع التاريخ، بحثا عن النتائج الموضوعة سلفا، لا عن التصورات التي يكتشفها البحث الموضوعي المتجرد.

---

1 ـ أحمد حماني، المرجع السابق، ج2، ص: 19.

2 ـ أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة، 2013، ص: 325.

3 ـ فارس كعوان، المرجع السابق، ص: 349.

4 ـ علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 96.

أ. لزهاري تريكي

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة

إسهامات الشيخ العلاّمة أحمد حماني
- في الحركة الوطنية الجزائرية -

قال صاحب الحركة الوطنية الجزائرية أن علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح، والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع[1]، وهذا الكلام ينسحب على الشيخ أحمد حماني رحمه الله، الذي كان أحد رجال الجمعية العاملين، وواحد من أهل العلم الذين تفخر بلادهم الجزائر بهم، نظرا لما قدم في سبيل وطنه، في شبابه وكهولته وشيخوخته، قبل استقلال البلاد وبعده، ومن ذلك الدور الرائد في الحركة

1- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(1930 - 1945)، ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج3، ص 88.

الوطنية الجزائرية، لذلك نقدم في هذه المداخلة والمقال لجانب من أعمال الشيخ أحمد حماني في الحركة الوطنية، متسائلين عن الكيفية وحجم النضال الذي قام به الشيخ في الحركة الوطنية حتى وصل لهذه المكانة ضمن هذه الدائرة.

وكانت أول مشاركة للشيخ أحمد حماني في الحركة الوطنية في سنة 1934 حيث حضر مظاهرة شعبية كبرى كان على رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس والدكتور ابن جلول، وكانت ضد إغلاق المساجد في وجوه العلماء والمدرسين، وحضر ثورة شعبية يوم 5 أوت 1934 بقسنطينة ذل بعدها اليهود[1]، في هذه السنة حضر الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة بدعوة ممضاة من الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولأول مرة يحضر مثل هذه الاجتماعات ويستمع لعلماء القطر وعين في لجنة الانتخابات كأصغر الأعضاء العاملين بجانب المهدي البوعبدلي وقدور بن هونة.[2]

في 26 سبتمبر 1934 التحق الشيخ أحمد حماني بتونس للدراسة، لتتواصل بعد هذه السنة سلسلة من السنوات كان فيها الشيخ مجدا في الطلب، لكن هذا لم يمنعه من النشاط والمساهمة في الحركة الوطنية في موطن دراسته بتونس، أو في الجزائر، فقد كان الشيخ -و هو في تونس- على تمام الاتصال بمدرسته الأولى؛ مع الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه -في حياته- ومع أعوانه بالخصوص أحمد بوشمال وعبد الحفيظ الجنان، وعمل كمندوب للشهاب ثم البصائر ثم متجولا، مع المشائخ محمد الملياني، علي مرحوم، محمد صالح رمضان، أحمد بن ذياب وبلقاسم بن رواق بدأت سنة 1937م [3]، حيث نشر للشيخ مقال عن "الشاب المسلم" في الشهاب حث

1- أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، دار البعث، ج2، ص 289.

2- أحمد حداد: الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره(1915- 1998)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف،قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007 – 2008، ص 42.

3- أحمد حماني: المصدر نفسه، ج2، ص 291.

من خلاله الشباب على طلب العلم ودراسة تاريخهم الإسلامي، وألقى أول محاضرة في ناد مليء بالشباب في سكيكدة، ونشرت في الشهاب تحت عنوان: "واجب شبابنا" ومما جاء فيها: "..إن الشباب هو الروح المتحركة الناشطة الفعالة في الأمة فإن أنت أيها الشباب أخلدت إلى التكاسل والبطالة واستعذبت النوم والجهالة فاعرف أي ذنب بل أي جرم جنيته على أمتك وبلادك، لقد كان الشباب المسلم في أول حياة الإسلام أنشط الشباب وأقدره على تسيير دفة السياسة وإحراز الفوز والنصر ونشر المدنية والعلم، ورفع راية الدين فكان له الفضل في نشر الإسلام والتبشير به حتى فتح نصف الكرة الأرضية في نصف قرن، فهل سمعتم بشباب يفعل مثل هذا؟ اقرؤوا تاريخكم أيها الشباب لتعلموا أعمال الشباب مثلكم في تاريخ الإسلام فلعلكم تجعلونها نبراسا لكم.. فلقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم الراية لأسامة بن زيد (رضي الله عنهما) على جيش فيه أفاضل الصحابة (رضي الله عنهم) وعمره لم يبلغ العشرين سنة فغزا وانتصر ورجع ظافرا"[1]. بالموازاة مع ذلك كتب الشيخ سلسلة من المقالات لجريدة البصائر تحت عنوان "حديث المتجول" وكان هذا أول ما نشر له، إضافة إلى القاء المحاضرات في النوادي أو في المساجد.[2]

ألقي القبض في أوت 1937 على زعيم حزب الشعب السيد مصالي الحاج وبعض رجاله، ومرت الحركة الوطنية حينها بظروف عسيرة، وفي ظل توجيهات الشيخ ابن باديس، عمل الشيخ أحمد حماني وإخوانه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على التبشير لا التنفير، وطمأنة الناس مانعين اليأس من التطرق إليهم، وتتابعت الجولات حتى جاءت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة 1939م[3]، لكن قبل ذلك، وبالضبط في بداية السنة الدراسية عاد إلى تونس لاستكمال تعليمه، وخلال وجوده بتونس وصلته في مارس 1938 رسالة من أحمد بوشمال يخبره فيها بأن جريدة البصائر تعاني ضائقة مالية، وأن علي مرحوم المسؤول عن جمع اشتراكاتها قد دخل

1- أحمد حداد، المرجع السابق، ص 43،44.
2- أحمد حماني، المصدر السابق، ج2، ص 291.
3- المصدر نفسه، ج2، ص 291.

المستشفى واقترح عليه أن يعوضه لبعض الوقت، فاستجاب لهذا النداء ولبى الطلب، قبل أن يقفل راجعا للزيتونة بتونس بعد أن أتم هذه المهمة العاجلة على أكمل وجه، ليعود إلى قسنطينة بعد نجاحه فكانت العطلة الصيفية للشيخ أحمد حماني فرصة أخرى للعمل المكثف المتواصل، إذ قام بجولة صحفية لجريدة البصائر شملت غرب العاصمة وشرقها، بلاد القبائل الكبرى ثم عمالة وهران.[1]

وفي سيدي بلعباس توافق عقد الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع رحلة الشيخ أحمد حماني إليها، فكان ثاني اجتماع يحضره ويشارك فيه كاتبا لوقائعه، ومما عايشه في هذا اللقاء تقديم الشيخ الطيب العقبي لاستقالته من الجمعية، فمر الشيخ أحمد حماني في مقال له نشر بالبصائر، التي هو مراسلا لها، مر على الأسباب التي قادت الشيخ العقبي للاستقالة؛ خاصة وأنه كان شاهدا على أحداثها، فخفف بذلك من آثار الانشقاق في مجلس علماء الجمعية وعلى أنصارها، ليعود بعد لقاء سيدي بلعباس إلى جولاته الصحفية، إذ كلف بجنوب عمالة قسنطينة في الوادي وبسكرة.[2]

تميزت مقالات الشيخ أحمد حماني المنشورة بالبصائر بوصف الحياة الاجتماعية، الدينية والثقافية بالقرى والمدن التي يحلّ بها، كما يبيّن فيها الخلافات والمشاكل التي تعاني منها الحركة الإصلاحية، ويقترح الحلول التي من الممكن أن تساهم في وحدة وتماسك المجتمع[3]، ويمكن استنباط مما كتب ما يلي:

- تمسك الشيخ أحمد حماني بهويته وانتمائه لوطنه
- لفت انتباه القراء إلى ما يحاك ضد وطنهم الأسير
- نبذ الاختلاف والفرقة والحث على التوافق والوحدة

1- أحمد حداد، المرجع السابق، ص 44.

2- أحمد حداد، المرجع السابق، ص 45.

3- المرجع نفسه، ص 44.

217/377

إضافة للعمل في الجمعية كان للشيخ صولات وجولات في الصحافة والسياسة فكتب مقالات اجتماعية وسياسية في بعض الجرائد التونسية عن الحالة في الجزائر، كان لها صدى كبير، وسمع الشيخ حماني الثناء من أجلها من المشائخ عبد الحميد بن باديس، محمد بن العابد ومبارك الميلي وسجل ذلك في البصائر[1]، وفي سنة 1942 نزلت القوات الألمانية والإيطالية بتونس، محتلة للجزء الشمالي منها، وفي غياب سلطة فرنسا، كانت الظروف مواتية للقيام بنشاطات لفائدة جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين التي تم إحياؤها من جديد بعد الفتور الذي أصابها بعد تأسيسها، وكان على رأسها الأستاذ الشاذلي المكي، وتولى أمانتها العامة الشيخ أحمد حماني[2].

إضافة بالمشاركة في تحرير وإخراج جريدة (إفريقيا الفتاة) وكانت لسان حال الحزب الحر التونسي آنذاك بجانب الشهيد الحبيب ثامر وإخوانه، كما عمل الشيخ بجانب أستاذه الشيخ العلامة محمد الشاذلي النيفر والشيخ صالح النيفر، والمرحوم الهادي مجدوب وهو أحد الشبان الجزائريين النشطاء في العمل الاصلاحي، وكان ممن اتصلوا بالقيادة الألمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب، وللقيام بمساعي لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، حيث نقلوا للألمان أن: "الشعب كان يعرف أن الزعيم الحبيب بورقيبة ورفاقه قد اعتقلتهم فرنسا ونقلتهم إلى سجونها منذ عام 1939م، وقد غلبتم فرنسا فلِمَ تتدخلوا للافراج عنهم، وها أنتم اليوم تحتلون مرسيليا وجنوب فرنسا حيث هم، كما تحتلون تونس وطنهم فلا عذر لكم إذا هم بقوا مسجونين" وبسرعة تم الافراج عنهم وجيء بهم إلى تونس عن طريق روما واحتفى الشعب التونسي بزعيمه بورقيبة وخصصت جريدة إفريقيا الفتاة أعمدة كثيرة له[3].

1- **أحمد حماني**، المصدر السابق، ج2، ص 292.

2 المصدر نفسه، ج2، ص 291،292.

3 المصدر نفسه، ج2، ص 292.

في الوقت نفسه حاول الجزائريون في تونس والشيخ أحمد حماني الشاب واحدا منهم حاولوا جس نبض الألمان والتعرف على مقاصدهم نحوهم فأسسوا منظمة وطنية أطلقوا عليها اسم "الحزب القومي الجزائري" ووضعوا له قانونا أساسيا وكانت غايته الكبرى وهدفه الأسمى تحرير الجزائر وانشاء دولة وطنية على ترابها، وعرف بذلك الألمان فأملوا بتسخير أبناء الجزائر لخدمتهم، وتكوين فرقة منهم يطلقونهم بالمظلات ليأتوهم بالأخبار، واستطاعوا أن يغرروا باثنين هما: الشهيد حسن مقراني وهو من رجال جمعية العلماء وابراهيم بن سليمان وهو أحد التلاميذ الشجعان، وقد تم الاتصال بهما مفردين، بينما رفضت الجماعة عرض الألمان وامتنعت عن العمل معهم فيئس الألمان من أن يتخذوهم عملاء، ولما طلبوا حصة في الإذاعة رفض الألمان ذلك وقال لهم أحد القواد: "تريدون أن تقوموا بعمل ضد فرنسا؟ أنا لا أسمح بهذا"، بل إن هتلر في برقيته للماريشال بيتان قال عن نزول قواته بتونس في نوفمبر 1942 : "إننا نزلنا بتونس لنحافظ على إفريقيا لأوربا"[1].

وفي مقابلة مع أحد القادة الألمان طالب بها الحزب للغرض نفسه قال له الشيخ أحمد حماني:"ما هي نواياكم نحو الجزائر؟ إن تونس لها كيان دولي، ومصر والمغرب كذلك، أما الجزائر فإن فرنسا تعتبرها أرضا فرنسية، وإننا نخشى أن تعتبروها أنتم تراثا ورثتموه عنها فقال: إن نيتنا نحو البلاد العربية كلها حسنة، ونريد أن نعاملها معاملة كريمة. فقال الشيخ أحمد حماني: هذا شيء حسن ولكنا نريد أن يصدر من حكومتكم تصريح رسمي، فيه وعد بأنه سيكون للجزائر استقلال ودولة في حال انتصار المحور، بهذا وحده نكون مطمئنين ويمكن أن يثق بكم شعبنا ويساعدكم. فالتفت إلى زميل له -بعد أن سمع القول- وقال له: هذا صغير ولكن تفكيره بعيد، ثم التفت للشيخ وقال: هذا أمر من السياسة العليا، ولا نملك أن نتدخل فيه"، ومنذ ذلك اليوم فترت

---

1 المصدر نفسه، ج2، ص 293.

218/377

حماسة الجزائريين للألمان وفهموا أنهم كانوا مخطئين في تعليق آمالهم عليهم وعلى انتصارهم، الذي إن تم لكان معناه استمرار استعباد الأمة واستغلال الوطن واحتلال افريقيا.[1]

ومع عودة الفرنسيين طال البحث والاعتقال النشطاء السياسيين، ومنهم الشيخ أحمد حماني الذي بحث عنه المستعمر في ربيع 1943 باذلا الجهد في ذلك فاختفى في مدينة تونس ثم في مدينة بنزرت عند السيد السعيد القاسمي رحمه الله، وساعده في الاختفاء والاختباء دركي جزائري يدعى العمري، فكتم عنه وضلل الطالبين برغبة من المرحوم صفصاف الذوادي، الذي كان يعرفه جيدا -أي الدركي-، وبقي الشيخ أحمد حماني مختفيا حتى هدأت الأحوال وخف الطلب، حتى استطاع الرجوع إلى الجزائر بعد نحو سنة في 30 أفريل 1944م.[2]

لم يستطع الشيخ أحمد حماني البروز في قسنطينة بعد ذلك، بسبب ما حدث في تونس وبسبب الطلب للجندية، ليقدم من ألقي عليهم القبض للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية، في حين يتم محاكمة من لم يلق عليهم القبض غيابيا، ومن الصنف الثاني الشيخ أحمد حماني، والمحاكم غيابيا يحاكم غالبا بالإعدام، فعلم الشيخ البشير الابراهيمي بالأمر فسعى بالمال والجهد من أجل الدفاع عن الجماعة أمام المحكمة التي التأمت في شهر مارس 1945، ليصدر الحكم بالبراءة أو بتخفيف أحكام السجن، لتأتي بعد ذلك أحداث ماي 1945 التي تصادفت مع مرض الشيخ حماني بمرض خطير، لينتهي الأمر بدخوله المستشفى لإجراء عملية جراحية ساهمت في تخلصه من الملاحقة قصد الانخراط في الجندية.[3]

بسبب ما حدث في شهر ماي تم غلق مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان رئيسها في السجن ولم يطلق سراحه إلا في شهر مارس 1946، لكن أحمد حماني؛ الذي

---

1 المصدر نفسه، ج2، ص 294.
2 المصدر نفسه، ج2، ص 295.
3 المصدر نفسه، ج2، ص 295،296.

غادر المستشفى في جانفي 1946 لم يكن مع أصحابه الموجودين خارج السجن، لم يكونوا غافلين فقد تم إرسال السيدان أحمد بوشمال وعبد الحفيظ الجنان إلى الجزائر، واتصلا بالأستاذ ابن شنب فوضع لهما تقريرا هاما عن التعليم العربي وضرورة عودته، وقُدِّم كإعذار وإنذار للإدارة الاستدمارية فلم تعره اهتماما.(1)

ثم تقرر عقد مؤتمر من المعلمين الأحرار ورؤساء جمعيات التربية والتعليم بولاية قسنطينة، ليلتئم المؤتمر في 16 مارس 1946 في قسنطينة، وحضره عدد كبير من المعلمين ومن رجال الجمعيات والمسؤولين عن التعليم، وقدمت تقارير مهمة، رفعت للرئيس محمد البشير الإبراهيمي، حيث سافر وفد إلى بسكرة لهذه المهمة، كان من بين صفوفه الشيخ أحمد حماني، الذي التقى في هذه الرحلة لأول مرة الشاب العربي بن مهيدي، لتفتح المدارس بعد مساع حثيثة في جهات أخرى خلال شهر أكتوبر 1946م.(2)

عين رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عين الشيخ أحمد حماني كاتبا لشؤون الجمعية على مستوى ولاية قسنطينة القديمة، كما عين أستاذا بمدرسة التربية والتعليم، كما تطوع بإعطاء دروس لبعض طلبة المدرسة الرسمية ولبعض طلبة الكتانية كانوا يأتونه في تكتم من المستعمرين خشية التنكيل بهم(3)، وفي سنة 1947 أخذ الشيخ أحمد حماني على كاهله -بصفته كاتب العمالة- مسؤولية التحضير العلمي والاداري لانشاء معهد ابن باديس الثانوي، فتلقى الطلبات وقام بالتفاهم مع المشائخ والأساتذة بإعداد برنامج الدراسة، وتم توزيع الحصص الدراسية على المشائخ، ليستمر المعهد في أداء رسالته إلى أن اندلعت ثورة التحرير المباركة في 1954م.(4)

---

1 المصدر نفسه، ج2، ص 297.
2 المصدر نفسه، ج2، ص 297.
3 المصدر نفسه، ج2، ص 297،298.
4 المصدر نفسه، ج2، ص 298.

220/377

هكذا انضم الشيخ أحمد حماني في العمل النضالي في الحركة الوطنية، ضمن صفوف الصحافة وجمعيات الطلبة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان بحق الابن البار لوطنه، الساعي لرؤيته في مطلع الأمم، فكانت تضحياته في سبيله ضمن دائرة ساهمت بعد ذلك في اندلاع الثورة التحريرية في غرة نوفمبر 1954، لذلك نتساءل عن دور الشيخ أحمد حماني -رحمه الله تعالى- في الثورة التحريرية، ثم عن دوره في جزائر الاستقلال، جزائر البناء والتشييد، وهي نقاط طرقها بعض الباحثين على مستويات معينة، لهم جزيل الشكر عن ذلك، لكن عجلة البحث التاريخي لا تتوقف هنا، فهل من مواصل للمسيرة حتى نسجل تاريخ آبائنا الناصع والذي يسجل على صفحات التاريخ بحروف من نور وذهب.

ملاحق البحث:

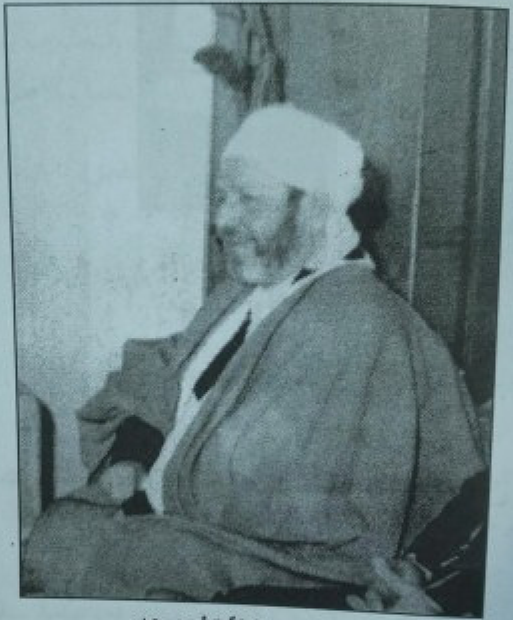

صورة الشيخ العلاّمة أحمد حماني

أ. رمضان أولاد بلة

الجامعة الأفريقية أحمد دراية أدرار

الوطنية عند المجاهد المصلح محمد الصالح ابن عتيق
- مفهوما وتفعيلا -

لئن غدت الوطنية نزعة عاطفية ومحبة قلبية لمسقط رأس الإنسان ومنبت أسرته ومستقر آبائه وأجداده، وانتماءا سياسيا يعطي لساكني الوطن الواحد أحكاما وخصائص تميّزهم عن غيرهم، فإن هذا الوطن الغالي –الجزائر– عَرف رجالا وطنين كُثر، امتزجت روح الوطنية بكيانهم الجسدي، وتُرجمت تلك النزعة العاطفية والمحبة القلبية إلى سوك عملي مثمر، كيف لا؟ وبينهم وبين هذا الوطن من الصّلات والروابط المتينة ما صيّر منزلة الوطن بالنسبةإليهم كمنزلة الغصن من الشجرة، والابن من الأم، والعضو من الجسد؛ والجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ومن الوطنيين الغيورين، في هذه البلدة الطيّبة –جيجل– الشيخ العلامة المجاهد المصلح محمد الصالح بن عتيق؛ والذي يُكتب له أن يدرس سيرته من خلال كتابه: "أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر"، ومن خلال السؤال والبحث عنه ليجد الوطنية عنده روحا وقولا وعملا، امتزجت من خلالها العاطفة القلبية بالمعرفة العقلية وبالأعمال الجسدية.

النَّفيضة[1]: مدلولات العنوان (الوطنية، الأسس، الدعائم، التفعيل)

1- الوطنية

الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه[2]، أما (وطنيّة) وهي اسم مفرد، فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أنها:

- اسم مؤنّث منسوب إلى وَطَن. إرادة وطنيّة: منبثقة من الوَطَن ومُمثّليه.
- حبّ الوطن والإخلاص والتّضحية من أجله "الوطنيّة تعمل ولا تتكلّم". لا وطنيّة: عدم إخلاص للوطن.
- مصدر صناعيّ من وَطَن: سياسة اجتماعيّة تقوم على حماية مصالح أهل البلد الأصليين وتقديمها على مصالح المهاجرين.
- شركات وطنيّة: (قص) شركات تابعة للدولة برأسمالها.[3]

1- النفيضة: هي الجماعة التي تسبق الجيش لنفض الطريق، أي اختباره، خلوه من العدو، وهنا أنحو بها منحى مجازيا بمعنى التمهيد. أنظر في معنى النفيضة: **أحمد بن فارس**، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط.د، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، ج.5، ص. 462.

2- **عبد القاهر الجرجاني**، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط.01، (بيروت– لبنان: دارالكتبالعلمية، 1403هـ –1983م)، ص. 253.

3- **أحمد مختار عبد الحميد عمر** بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط.01، عالم الكتب، 1429 هـ – 2008 م، ج.3، ص. 2463.

وقد عُرِّفت الوطنية بتعاريف عديدة أختار منها هذا التعريف: محبة الفرد لوطنه وبلده وقيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام ووفاؤه بها، وتقوية الرابطة بين أبناء الوطن الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم[1]، ومظاهرها هي ما عبّر عنه الإمام البشير الإبراهيمي بقوله:(تربية على طهارة الإسلام، وهمم العرب ومجد العروبة، والإيمان بحقوق الوطن، والعمل على تحقيق استقلاله وحريته، وبنائه طبقا عن طبق، وإعلاء أخلاقه خلقا على خلق).[2]

2- الأسس:

قال ابن فارس: (أَسَّ) الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ يَدُلُّ عَلَى الْأَصْلِ وَالشَّيْءِ الْوَطِيدِ الثَّابِتِ، فَالْأُسُّ أَصْلُ الْبِنَاءِ، وَجَمْعُهُ آسَاسٌ، وَيُقَالُ لِلْوَاحِدِ: أَسَاسٌ، بِقَصْرِ الْأَلِفِ، وَالْجَمْعُ أُسُسٌ. قَالُوا: الْأُسُّ أَصْلُ الرَّجُلِ، وَالْأُسُّ وَجْهُ الدَّهْرِ، وَيَقُولُونَ: كَانَ ذَلِكَ عَلَى أُسِّ الدَّهْرِ[3].والمقصود هنا بأسس الوطنية: أصولها وجذورها، وما تبنى عليه.

3- الدعائم:

جاء في معجم مقاييس اللغة: (دَعَمَ) الدَّالُ وَالْعَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يَكُونُ قِيَامًا لِشَيْءٍ وَمِسَاكًا. تَقُولُ: دَعَمْتُ الشَّيْءَ أَدْعَمُهُ دَعْمًا، وَهُوَ مَدْعُومٌ. وَالدِّعَامَتَانِ: خَشَبَتَا الْبَكَرَةِ. وَدِعَامَةُ الْقَوْمِ: سَيِّدُهُمْ. وَيُقَالُ لَا دَعْمَ بِفُلَانٍ، أَيْ لَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا بَعْنَ[4] .والمقصود هنا بدعائم الوطنية: ما تستند إليه، وتتقوى به.

1- سلوى بنت محمد المحامدي: مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي، بحث مقدم لندوة الانتماء الوطني في التعليم العام رؤى وتطلعات المنعقدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ-2009م، ص.07.

2- محمد البشير الإبراهيمي، جمعية العلماء -أعمالها ومواقفها-، جريدة البصائر، العدد الرابع، السنة الأولى من السلسلة الثانية، الجمعة 13 شوال 1366هـ الموافق لـ 29 أوت 1947م، ص.30.

3- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،مرجع سابق، ج.01، ص.14.

4- المرجع نفسه،ج.2، ص.282.

4- التفعيل

فعّل الأمرَ: نشّطه، قوّاه "فعّل مساعيه/ المؤتمر- أوصى المؤتمر بتفعيل توصياته ومتابعتها- يجب العمل على تفعيل دور التعليم"[1]. إذن: وزن تفعيل يدل على زيادة الفاعلية، وكثرة الفعل، والمبالغة، فعلى إضافتها إلى الوطنية تكون بمعنى تنشيط وتقوية وزيادة فاعليتها.

معنى الثقافة

عُرّفت الثقافة بتعاريف مختلفة وعديدة، أكتفي هنا بهذا التعريف: "حصيلة النشاط الاجتماعي في مجتمع، وأساليب الحياة والسلوك وأنماط القيم السائدة فيه"[2].

أسس ودعائم الوطنية عند ابن عتيق

يقول الشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق: "الوطنية الصادقة تلك التي تدعمها الأخلاق والدين، أساسها العلم والثقافة لا الجهل والغرور"[3]؛ يشير الشيخ بهذا الجملة إلى أهم ركن في الوطنية وهو القيم؛ إذ الوطنية لها ثلاثة أركان: التراب، والإنسان، والقيم.

وانطلاقا مما قاله الشيخ ابن عتيق عن دعامة وأساس الوطنية الصادقة؛ وكون الثقافة تشمل معنى العلم والأخلاق والدين والقيم، أكتفي هنا ببيان معنى الثقافة، ثم أعزّز هذا المعنى ببيان العوامل التي جذّرت معنى الوطنية في الشيخ ابن عتيق.

1- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ج.3، ص 1725.

2- عبد الله بن بيه: خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، ط.01، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1419هـ/ 1999م)، ص.33.

3- محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ط.01، الجزائر-عنابة: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 1436هـ/2015م، ص.106.

العوامل التي غذّت روح الوطنية في ابن عتيق

المنح الإلهية: عند الاطلاع على سيرة الشيخ محمد الصالح بن عتيق تجد جانب المنحة الإلهية في توجيهه واختياره وتوجهه؛ ولا شك أن من مظاهر المنحة الإلهية والعطية الربانية تولد المحبة للتعلم والتعليم والتربية والإصلاح، وإليك ملمح من ذلك حيث يقول عن تعلقه باللغة العربية لغة القرآن عندما تعرف على زاوية الشيخ سعيد بن زقوطة بواد العثمانية: "ولولا شوقي لتعلم العلم، ودراسة اللغة العربية ما كنت أغادرها حتى آتي على آخر آية".(1)

التعلم: وهو جانب مهم في تجذير الروح الوطنية عند المجاهد محمد الصالح بن عتيق، وكيف لا؟ وقد بذل فيه جهدا كبيرا، مزجه بالهمة العالية التي كان من آثارها سيل الدم من أصابع يديه وقدميه، وقطع المسافات الطويلة حافيا، من أجل الظفر بمرغوبه، يقول الشاعر:

فيا وصل الحبيب ما له   بغير مشقة أبدا طريق

وقد نوّه الشيخ محمد الصالح ابن عتيق عن دور العلم في تنمية الروح الوطنية بقوله:(وإن أنس فلا أنس فعاليّة التعليم في إيقاظ الفكر والروح الوطنية، وانتشال الشعب من الانغماس في الخرافات والطرقية، وهذا بقيادة رائد الإصلاح الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وجماعته من العلماء الأحرار(2)، وقد اغترف الشيخ ابن عتيق من علوم مختلفة، وأخذ منها بنصيب وافر، فكان له حصة في ميراث النبوة، ومن تلك العلوم:

حفظ القرآن الكريم: وقد حفظه الشيخ وهو صغير؛ والذي يُكتب له أن يقرأ مذكرات الشيخ يجد تأثره بالقرآن الكريم من خلال كثرة استشهاده به والاستنباط منه؛ ومن الأمثلة على ذلك: ما قاله أثناء حديثه عن الأشخاص الذين استعانت بهم فرنسا في تخدير الشعب الجزائري

1- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق،ص.60.

2- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.211.

وإضلاله:(فكانوا عينه التي يبصر بها ويده التي يبطش بها)[1]، وهذا مستمد من قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[2]، وفي موضع آخر عندما تحدث عن انطباعاته عن حياة الناس في باريس، حيث أن الناس إما غاد إلى أماكن العلم أو العمل وإما إلى أماكن الفجور والمجون، فقال:(ولكل وجهة هو موليها ومنهمك فيها)[3]، وهذا مستنبط من قول الله سبحانه جل جلاله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، وقال عن الباريسيين واصفا مفهوم الحياة عندهم: (كلوا واشربوا وتمتعوا)[5]، وهذا مستل من قوله تعالى عن حياة المجرمين: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[6]، والنظر مقالات الدلاعة فهي حافلة بالاستنباط من القرآن الكريم[7]واستنباطاته كثيرة على هذا النحو.

السنة النبوية: وكما تأثر الشيخ ابن عتيق بالقرآن الكريم للمصدر الأول للتشريع الإسلامي، فقد تأثر بالسنة النبوية –القولية والفعلية والتقريرية–، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ومما أسجله هنا من استنباطاته من السنة قوله: (فالثورة تجب ما قبلها، ولا تحاسب إلا من سار في طريق معاكس)[8]، وهذا مستوحى من قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاءه عمرو بن العاص –رضي الله عنه– يبايعه على الإسلام: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ

1- المرجع نفسه، ص.33.

2- سورة الأعراف، الآية: 195.

3- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.110.

4- سورة البقرة، الآية: 148.

5- ابن عتيق: أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.112.

6- سورة المرسلات الآية: 46.

7- ابن عتيق، أحداث ومواقف، مرجع سابق،ص.188.

8- المرجع نفسه، ص.39.

قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»[1]، وما يؤكد هذا (بحار) أنه ذكر العبارة الآنفة أثناء حديثه عن الثورة. وعند حكايته لثبات الجزائريين أثناء تعرضهم لصور من التعذيب الذي لاقوه في سجن بوسوي: (لو رأيتهم كذلك لتمثلت فيهم فتيان بدر وأحد ولعادت إلى ذاكرتك تلك الشجاعة التي كان يتمتع بها شباب محمد صلى الله عليه وسلم)[2]، كما عبّر عن الصورة التي كان عليها المعتقلون في التآلف والتعاطف بقوله: (فكانوا كالجسد الواحد، إذا تألم أحدهم تألموا جميعا)[3]، وهذه العبارة مُستلهم معناها من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[4].

التاريخ: الاطلاع على التاريخ عامل مهم وحيوي في تثبيت روح الوطنية، والإمام محمد الصالح بن عتيق له اطلاع واسع على التاريخ العربي والإسلامي، وخير دليل على ذلك ما كتبه عن قلعة بني عباس، وكيف صال وجال في وصفها، وتاريخها[5]، وكذا عند حديثه عن البرج، وحديثه أيضا عن مدينة تيهرت[6].. والتاريخ جزء مهم من اهتمامات جمعية العلماء في منهجها الإصلاحي داخل الوطن وخارجه، ففي البرنامج الذي سطرته الجمعية للجالية الجزائرية في الخارج نجد حضور التاريخ، بل ويتلقون بصفة خاصة التاريخ والسيرة النبوية، والرياضيات وما إلى هذا من

1- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، رقم الحديث: 121، ج1، ص. 112.

2- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.164.

3- المرجع نفسه،ص.175.

4- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المرجع السابق، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 2586،ج.4، ص 1999.

5- انظر: ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.98- 100.

6- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.135.

العلوم المختلفة[1]. وعندما نقل لنا كتب التاريخ التي كان يدرسها ابن باديس لتلاميذه -وهو منهم- يربطها بالوطنية فيقول: (كان الأستاذ يعنى بدراسة التاريخ عناية بالغة، ويرى في تلقينه للامذته بعثا لحياتهم واعتزازا بتاريخهم، واقتداء بأجدادهم الذين بنوا حضارة لا يوجد مثلها عند غيرهم من أمم الأرض.. ونظرة التاريخ عند ابن باديس تتجلى في كلمته التي قرض فيها (تاريخ الجزائر/ الجزء الثاني) للعلامة مبارك الميلي تنويها بعمله، إذ قال رحمه الله: "أخي مبارك سلام ورحمة حياك الله تحية من علم وعمل وقفت على الجزء الأول من كتابك (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) فقلت لو سميته (حياة الجزائر) لكان بذلك خليقا.. أخي مبارك إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة، أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها)[2]..

اللغة العربية: التي نزل بها القرآن، وهي اللغة التي بها يفهم، وهي التي ينتسب إليها الشعب الجزائري: **شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب**

يقول عنها الشيخ ابن عتيق: (اللغة هي الشرط الأساسي في المحافظة على الإسلام.. فالإسلام مثله القرآن، والقرآن بلغة عربية مبينة، ولا يمكن أن نفهم ديننا إلا بتعلم القرآن، والتفريط في اللغة العربية أو تهميشها إنما يعني عند المسلم الغيور تهميش للدين ومحاربة له)[3]،وهذا التعبير الذي عبّر به الشيخ عن موقفه تجاه العربية تجد آثاره كعامل مُنَمٍ للروح الوطنية عنده، ومن أدلة ذلك كثرة استشهاده بالشعر، فقد استعمل الشعر العربي للتعبير عن حبه لوطنه – وهو عنوان من عناوين

1- المرجع نفسه،ص.105.

2- المرجع نفسه، ص.76. **مبارك بن محمد الميلي**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مرجع سابق، ج.01، ص.09-10.

3- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.243. نقلا عن: حوار منشور في مجلة العقيدة، العدد الصادر يوم الأربعاء 24 رجب 1411هـ، الموافق لـ 06 فيفري 1991م.

الوطنية- حيث يقول عندما رجع من باريس:(وعندما وطئت قدماي تراب الوطن، وهبت علي نسماته المنعشة، حمدت الله تعالى، وأنشدت قول الشاعر:

ولي وطن آليت أن لا أبيعه　　　وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما　　　بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم　　　عهود الصبا فيها فحنوا لذلك[1]

ومن شعره -رحمه الله- قوله:

أهذه خزية الدنيا، أم هي باريس　　　أشياطين سكانها، أم أباليس؟[2]

وإلى جانب استشهاده بالشعر، يوظف الحكم والأمثال العربية، ومنها: "وعند جهينة الخبر اليقين"[3]، "وعادت لميس إلى عنزتها"[4]، كما كان يكتب المقامات التي تحمل الروح الوطنية.

الفقه: والحديث عن الفقه هنا حديث مهم جدا، وذلك لأن المذهب المتبع في الجزائر هو المذهب المالكي، وهو المذهب الذي درس متونه الشيخ ابن عتيق، وحفظ جزءا منها، ودرّسها لتلاميذه، وقد نقل لنا الشيخ ابن عتيق كتب الفقه التي كان يُدرّسها ابن باديس لتلاميذه -وهو منهم-: (ويُدرّس الفقه من كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، أو كتاب أقرب المسالك، وكتاب الشيخ خليل على حسب مستويات الطلاب، يحاول في دراسته للفقه ربط الفروع بالأصول، ذاكرا مأخذها ومنشأ الخلاف بين الفقهاء على طريقة ابن رشد، وربما كان أوسع وأعمق في الاستدلال والاستنباط)[5]،والحديث هنا عن المذهب الفقهي له ارتباط بالوطنية، لأن في التمذهب بمذهب المالكية مراعاة للخصوصية الحضارية، يقول أبو القاسم سعد الله: (وعندما نتحدث عن الانتاج

1- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.117.
2- المرجع نفسه، ص.113.
3- المرجع نفسه، ص.141.
4- المرجع نفسه، ص.168.
5- المرجع نفسه، ص.56-57.

الفقهي في الجزائر فمن الطبيعي أننا سنركز على إنتاج الفقه المالكي، ذلك أن معظم سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك..)[1]، وقبل أبي القاسم سعد الله، قال الشيخ مبارك الميلي: (ومنذ أعلن المعز بن باديس مذهب مالك أصبح هو مذهب أهل السنة بالمغرب وزاده المرابطون تأييدا).[2]

التربية: وهي من أهم العوامل في غرس شجرة الوطنية، شريطة أن يقوم بالمهمة أهلها والقادرون عليها، ولا يختلف اثنان في أهلية وقدرة ابن باديس على ذلك، ومن مدرسته تخرج الشيخ محمد الصالح ابن عتيق، بمعنى الذي عجن وصنع التربية الوطنية في الشيخ محمد الصالح هو ابن باديس، وهذا بشهادة الشيخ محمد الصالح بن عتيق فقد تأثر بشيخه ابن باديس أيما تأثر، حيث يقول عن هذا التأثر: (وكان نصيبنا معشر الطلاب في هذه الدعوة نصيبا وافرا، فتجندنا بحرارة لها وحماس، وخضنا معركتها من غير احتراس، وأقبلنا بشغف على المزيد من العلم والمعرفة لنتزود بسلاح كاف ضد الخصوم)[3]، ويقول في موضع آخر: (وإني لأعترف بالعجز عن إعطاء صورة كاملة للانقلاب المفاجئ الذي يحدث لمن يجلس بين يديه تلميذا، أو يرافقه صديقا).[4]

ما هي النزعة التي كانت تحملها دعوة ابن باديس الإصلاحية؟ يجيبنا ابن عتيق بقوله: (والإدارة الاستعمارية من جهة ثانية، ترى في الحركة الإصلاحية النزعة الوطنية، وتخشى أن يستيقظ الشعب الغافل وينتبه على صيحتها ويطالب بحقه في الحياة)[5]، كيف لا؟ وجمعية العلماء إنما كانت تتصرف وفق الوطنية؛ وتأمل في جواب الشيخ مبارك الميلي عندما طلب من الشيخ ابن عتيق أن

1- **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م، ج.02، ص.65.

2- **مبارك بن محمد الميلي**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مرجع سابق، ج.02، ص.338.

3- ابن عتيق، أحداث ومواقف، مرجع سابق، ص.65.

4- المرجع نفسه، ص.73.

5- المرجع نفسه، ص.94.

ينتقل إلى تيهرت، وبعد معارضة جمعية التهذيب بحجة الخوف على مدرستها من الانهيار، أجاب: (إن انتقال الشيخ ابن عتيق إلى تيهرت أمر ضروري بناء على مراعاة المصلحة العامة للوطن)[1].

يعبّر الشيخ ابن عتيق على الشخصية الوطنية الجزائرية بما نادى به الإمام ابن باديس: "شعب الجزائر مسلم"؛ وقد بين لنا الشيخ ابن عتيق طابع الدروس التي كان يوجهها ابن باديس للنساء قائلا: (وكانت هذه الدروس تتناول واجبات المرأة المسلمة نحو بيتها وأولادها وزوجها، ونحو دينها ووطنها) ثم بين آثارها؛ ومنها قوله: (فهذه زوجة أرغمت زوجها على الصلاة، وشهود الجماعات، والمشاركة في المؤسسات الإصلاحية والوطنية..)[2]،يصل الأمر عنده إلى حدّ أن يقرنها بالإيمان فيقول عن ثبات المعتقلين في معتقل الدويرة: (ورغم هذا فلم يحصلوا على نتيجة وتحطمت آمالهم على صخرة المؤمنين بالله والوطن).[3]

جهود ابن عتيق في ترسيخ الوطنية الصادقة

للشيخ ابن عتيق جهود طيبة كبيرة في تعزيز روح الوطنية وغرسها، وقبل الحديث عن مظاهر تفعيله وترسيخه لها، أنقل شهادات شهدت بصدق على وطنيته، ثم أثني بالحديث عن الوسائل التي استخدمها لغرس وتعزيز الوطنية بمعانيها الكبيرة.

شهادات على وطنية ابن عتيق الصادقة

- شهادة العقيد عميروش: يقول في رسالة بعث بها إلى ابن عتيق يُثني على ترسيخه لمعنى الوطنية التي عاش نتائجها بقوله:(جئتُ إلى القلعة فوجدت القوم على أتم استعداد لخوض معركة التحرير

1- المرجع نفسه، ص.131.

2- المرجع نفسه، ص.197.

3- المرجع نفسه، ص.168.

والتحاق بالمجاهدين، وبذل المال والرجال، يا ليتنا عملنا على نشر هذه المدارس في الوطن إذا لأرحنا من كثير من المشاكل التي تعترض سبيلنا اليوم).(1)

- شهادة الشيخ أحمد حماني: (إن الشيخ صالحا خير مثل لطلبة ومدرسة ابن باديس: إيمان قوي، ودين صحيح، وخلق متين، وعلم غزير، ووطنية صادقة، وكفاءة نادرة، وعمل دائم مستمر مع تواضع جم، وانكار للذات، ووفاء للأصدقاء والإخوان، وإخلاص في العمل)(2).

- شهادة أحمد بري: (وأبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رجال نجباء، أنجبتهم الجزائر، وترعرعوا في أحضانها، ورضعوا –في صغرهم– من لبنها، الأمر الذي جعلهم يهيمون بحب العربية(لغة القرآن) وحب الوطن (موطن الأجداد)، فكان شعارهم في دنياهم:"ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم").(3)

- يقول المجاهد علي بن حميود زطال– أحد تلاميذ الشيخ ابن عتيق–: (إن الشيخ ابن عتيق كان يبني في تلاميذه روح الوطنية، وأثناء تدريسه لابد وأن يأتيك بفقرة من فقرات الروح الوطنية)، ويقول المجاهد عبد المجيد لحمر:(محمد الصالح وطني لا يخاف ولا يهاب)(4).

- والحق ما شهدت به الأعداء؛ ومما يفتخر به وطنية ابن عتيق: خوف المستدمر الفرنسي من شخصه، وفي هذا ينقل لنا ما قاله الحاكم بالميلية: (إن المسمى هيدوك محمد الصالح – وهو المفتي الرسمي– أحد المشوشين الكبار، وكلما حلّ بالميلية تحركت العناصر المعادية لفرنسا، فإبعاده عنها أمر ضروري).(5)

1- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.97.

2- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، قسنطينة،ج.01،ص.104.

3- أنظر: ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.29.

4- حوار أجريته معهما بتاريخ :05 صفر 1437هالموافق17 نوفمبر 2015م، صباحا.

5- ابن عتيق، أحداث ومواقف، مرجع سابق، ص.122.

- وعموما الشيخ ابن عتيق ينتمي إلى جمعية العلماء، ويمكن أن نستمد سمات خطابه الإصلاحي الوطني من سمات وملامح المنهج الخطابي الإصلاحي الوطني الذي انتهجته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد صرّح بهذه الشخصية الشيخ أحمد حماني عند حديثه عن تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى محللا شخصية أعضائه قائلا: (وهكذا بدأ العمل منذ سنة 1966م، فجمعية العلماء كانت موجودة في أشخاصهم بمبادئها القويمة)[1]. ويعبر الشيخ ابن عتيق عن وطنية ابن باديس وعن التغير الجذري الذي يصنعه ابن باديس في تلاميذه قائلا: (فإن الطالب ليجلس بين يديه الأيام القليلة، فتتغير تصوراته للحياة بسرعة، ويشعر بأنه خلق لتأدية رسالته الإنسانية الشريفة، ويدرك مسؤوليته الكبرى كمسلم يدافع عن إسلامه وعروبته في حرارة وإباء، يحارب الخرافات التي ألصقت بالدين، ويكافح لإحياء لغة الضاد التي كادت اللغة الأجنبية تقضي عليها، وتحتل مكانها، ويعتز بالانتساب إلى وطنه، ويفتخر بتاريخه وقوميته ويؤمن بحقه في الحياة، كل ذلك بصبر وثبات، واستعداد للتضحية بأنواعها).[2]

الوسائل المتبعة:

أجمل الوسائل التي اتبعها الشيخ ابن عتيق في وسيلتين؛ وهما: الخطابة والتأليف، ثم أفرع منهما.

- **الخطابة:** لقد كان من معهود جمعية العلماء أن تُعيّن في كل شهر رمضان مجموعة من الدعاة والعلماء للقيام بمهمة الوعظ والإرشاد، ولا تكاد تخلو قائمة من قوائم القائمين بتلك المهمة من ذكر اسم الشيخ، وفي الملحق الذي ارفقه بهذه المداخلة دليل على ذلك؛ ثم هي كثيرة جدا تلك

1- **أحمد حماني**، فتاوى الشيخ أحمد حماني – استشارات شرعية ومباحث فقهية–، راجع أصولها وصححها ورتبها وعلق عليها وخرج أحاديثها: مصطفى صابر، ط.01، الجزائر: عالم المعرفة، 1433هـ/2012م، ج.01، ص.14.

2- ابن عتيق ،أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.73.

الخطب والمواعظ والدروس التي قدّمها الشيخ إن في إطار التعليم في المدارس التابعة لجمعية العلماء، أو في المساجد، أو في غيرها من المناسبات.

الكتابة: لم يكن الشيخ كثير الكتابة بقدر ما كان واعظا مرشدا وخطيبا ومدرسا ومحاضرا، ولو كتبت خطبه ودروسه ومحاضراته، لكانت أسفارا قيمة، وفي الآتي بعض ما كتب الشيخ:

الصحافة: المقال الوحيد الذي وجدته للشيخ ابن عتيق في جريدة البصائر جاء بعنوان:" مائدة كليبي"، وهو مقال منشور في جريد البصائر، السنة الثانية من السلسلة الثانية، العدد:35، الصادر يوم الإثنين 01 رجب 1367هـ الموافق لـ 10ماي 1948م، ص.274.

- **التأليف:** كتاب (أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر) وهو كتابه الوحيد الذي ألفه، وهو في الحقيقة عنوان للوطنية، لا أكون مبالغا إن قلت إنه لا تخلو صفحة من صفحات هذا السفر القيم إلا وفيها حديث عن الوطنية والوطن، والحَكَمُ بيني وبين القارئ كتاب الشيخ فليُرجع إليه، وقد عبّر عن الوطنية الصادقة بتعبيرات مختلفة يجمعها القول بأنها تشغله وتأخذ حيزا في قلبه؛ فتارة يعبر بالروح الوطنية، وتارة الشخصية الجزائرية، وتارة بحملته على من يحملون نظرة حاقدة لكل ما هو عربي وإسلامي مستعملا من التعابير مثلا: الوطنية المزيفة، وتارة بثنائه على المثقفين المشاركين مشاركة فعّالة في الحركات الوطنية والإصلاحية حتى من المثقفين بالفرنسية فقد استثناهم من هجمته كما استثنى أبناء الزوايا ورجالاتها الذين وقفوا مع الثورة قائلا:(واستثني طائفة من المثقفين باللغة الفرنسية فقد شاركت مشاركة فعالة في الحركات الوطنية الإصلاحية، وكانت تحمل روحا طاهرة، ونوايا حسنة نحو بلادهم، وغيرة صادقة على كرامة قومهم، وقد رأينا منهم أيام ثورة التحرير من تجند في صفوفها وخاض غمارها وقاد مسيرتها في إخلاص وصدق؛ كما استثني طائفة صالحة من أبناء الزوايا ورجالها، قدموا يد المساعدة والعون

للثورة)[1]، ويُلصق ببعض الأفراد لفظ الوطنية، فيقول مثلا عن عضو من أعضاء جمعية التهذيب بالميلية هو السيد محمود بن نيي: (الوطني الغيور)[2]،ويقول عن الأديب نورالدين درويش:(لقد نشأ على ما كان عوده أبوه إخلاصا لدينه، وصدقا في وطنيته ودفعا لحركة الإصلاح والثورة)[3]..

ويضيف تارة إلى الوطنية لفظ الإسلامية فيقول: (مشروع وطني إسلامي)[4].

مظاهر ترسيخ وتفعيل الوطنية عند ابن عتيق

1. دراسة سير وتراجم الأعلام الوطنيين: ضمّن الشيخ محمد الصالح بن عتيق كتابه شخصيات إصلاحية ووطنية كبيرة ممن التقى بهم في حياته وتأثر بهم، أو التقى بهم في المعتقلات، وقد عقد لبعضهم فصلا تحت عنوان: (بعض من اجتمعت بهم في المعتقلات)[5] ويقرن الحديث عنهم بالوطنية بمختلف الاشتقاقات والتعبيرات: (حماية الوطن، الوطني، الحركة الإصلاحية والوطنية، روح وطنية صادقة، وطني صميم، وظيفة الحركات الوطنية، الحركة الوطنية..)، وأما الذين تأثر بهم في تعزيز مبدأ الإصلاح والوطنية عنده، فقد عقد لكل واحد منهم فصلا خاصًا به: (ترجمة الشيخ مبارك الميلي)[6]، (من مواقف الأستاذ الإمام ابن باديس)، وفي الملحق: (الشيخ البشير الإبراهيمي)[7]، (الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي)[1]، ثم يترجى الشباب في أن يدرس تفاصيل حياتهم، ويقتدي بهم في اتحادهم وشجاعتهم وإخلاصهم في وطنيتهم وجهادهم.[2]

1- ابن عتيق، أحداث ومواقف، مرجع سابق،ص.39.

2- المرجع نفسه،ص.127.

3- ابن عتيق،أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.128.

4- المرجع نفسه، ص.141.

5- المرجع نفسه، ص.176.

6- المرجع نفسه، ص.67-71.

7- المرجع نفسه، ص.215.

2. **دراسة تاريخ الحركة الوطنية:** كتابه (أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر)- عنوانا ومضمونا- خير شاهد على هذا المعنى؛ فقد سجّل لنا في كتابه الكثير من الأحداث الدينية والثقافية والوطنية.

3. **الإسهام في تحويل السجون والمعتقلات إلى مدارس تهذيبية تثقيفية:** وما كان دفاعه عن الوطنية والعمل على ترسيخها إلا سببًا في دخول المعتقلات وتنقله بينها؛ يقول عن مدتها: (قضيت ست سنوات كاملة بالشهر الهلالي أي من أول رمضان 1956 إلى رمضان 1962)[3]، وقد أدى دورا كبيرا في السجون مع إخوانه من المثقفين، تمثل في تحويلها إلى معاهد علمية ومراكز تثقيفية تحفظ في المسجونين روحهم الوطنية، يقول عنه الشيخ أحمد حماني: (وكانت للشيخ رحلة طويلة في المعتقلات ابتدأت في البرواقية ومرت بآفلو، وأركون، وبوسوي، والدويرة، وأخيرا سيد الشحمي أو الشامي بقرب مدينة وهران، وممن صاحبوه وصادقوه في بعض هذه المعتقلات الشهيد عيسات ايدير مؤسس اتحاد العمال الجزائريين، ومن العلماء المشائخ سعيد صالحي، ومحمد الشبوكي صاحب نشيد (جزائرنا يا بلاد الجدود) وعمر شكيري، وأحمد بن سحنون، ومن المثقفين الثوريين الدكاترة: بوعباد، وجناس، وعروة وابن عربية، والأستاذان: زرطال وزعيبك، وهؤلاء كلهم كانوا يؤدون واجبهم في إلقاء الدروس والمواعظ والمحاضرات، ويحولون المعتقلات إلى مدارس تهذيبية تثقيفية تحفظ في المسجونين روحهم الوطنية، وتثبت فيهم الثقافة الحق، وتدفع عنهم الروح الانهزامية الاستسلامية، وتقاوم تعاليم المستعمرين ومكائدهم لتحطيم روح المقاومة)[4]، والاحتفالات التي كان المعتقلون

1- المرجع نفسه، ص.229.
2- المرجع نفسه،ص.175.
3- ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق، ص.40.
4- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ص.104/103.

يقومون بها في مناسبات أهمها أول نوفمبر، كانت تشتمل على روايات فكاهية مسلية غير أنها ذات مغزى وطني وروح ثورية.[1]

4. **التربية والتعليم**:ومن ملامحها انتعاش الحركة الإصلاحية والوطنية بوجوده، فلما أسس مدرسته بالمليلية، جاء في جريدة البصائر شهادة الشيخ أحمد حماني على نشاطه الإصلاحي، حيث يقول:(أهل المليلية شديدو التمسك بالدين، خصوصا منه الصلاة، وبالمليلية أيضا زاوية طرقية للتيجانية، وكانت دروس الشيخ محمد الصالح بن عتيق – حينما كان هناك – تلقى فيها، ولكنهم في الأخير وجدوا الناس انفضوا من حول طريقتهم فبحثوا عن السبب فإذا هو لإصلاح قد قوض أركانهم وشتت شملهم الذي لم يكن في يوم من الأيام مجتمعا إلا على الضلال، فاسرعوا على الانتقام ولم يكن أقرب إليهم من معلم الصبيان في زاويتهم ... وكان مصلحا شديد التحمس للإصلاح فانتهزوا ذهابه إلى الجزائر لحضور الاجتماع العام لجمعية العلماء لإخراجه فلما رجع من الاجتماع وجدهم صمموا على الدخول في زمرة المانعين لذكر الله في المساجد،فاتكل على الله واعتصم بالصبر وكافحهم ونجح إذ أسس له كُتابا حرا وهو الآن أحسن منه يوم أن كان عندهم)[2] .وقد انتعشت قلعة بني عباس وما جاورها من مناطق خلال وجوده، وانطمس الكثير من آثار الفساد الديني والاجتماعي على يديه هناك، وكانت المدرسة التي أنشأها نموذجا في كل شيء حسا ومعنى،وانتشار الإصلاح؛ وممن شهد بفضلها الشيخ المصلح ابن باديس بوسمها قلعة الإصلاح، وكذا شهادة الشهيد عميروش –رحمه الله.

وقد ساهم الشيخ ابن عتيق من خلال التربية والتعليم في حفظ الهوية الدينية والوطنية لأبناء وطنه، إن في داخله أو خارجه، فبالنسبة لخارج الوطن تمثل ذلك في المغتربين المتعاملين بفرنسا، فقد جاء في جريدة البصائر في مقال تحت عنوان: اهتمام جمعية العلماء بالحركة التهذيبية في باريس: (لم

1– انظر: ابن عتيق، أحداث ومواقف، المرجع السابق،ص.185

2– أحمد حماني، حديث التحول، جريدة البصائر السنة الثالثة، العدد 114، 20 ربيع الأول 1357هـ، الموافق 20 ماي 1938م، ص.206

التحق بالشيخ "الفضيل" إخوان آخرون وهم الشيخ "صالح بن عتيق"، والشيخ "الزاهي الميلي"، والشيخ "سعيد البيناني"، وكانت مهمتهم جميعا إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد والتربية الاجتماعية، وتعليم القراءة والكتابة في قاعات النوادي التي أسسها رجال هذه الحركة التهذيبية، وأعدوها لهذا الغرض الشريف)[1]. هذا غير مستغرب عن الشيخ ابن عتيق، وهو الذي قطع على نفسه عهدا لله، ثم لجمعية العلماء على الإخلاص والتفاني في خدمة العربية والإسلام اللذين هما من مبادئ جمعية العلماء[2]. ولذلك لما أنعم الله على الجزائر بنعمة الاستقلال استأنف نشاطه العلمي والدعوي في المساجد من خلال دروس الوعظ وخطب الجمعة،وفي الإدارة من خلال توليه مناصب دينية وتعليمية وسياسية، ومن خلال الرحلات إلى أقصى الشرق والغرب والجنوب. وقد كان من بين أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى، هذا المجلس الذي يقول عنه الشيخ أحمد حماني:

(لقد اقتضى نظر أولي الأمر في الدولة الجزائرية الفتية سنة 1966م أن تنشئ هيئة من العلماء لاستشارتها والاستعانة بها في بعض الأمور المتمحضة في الدين، وكانت حكومة الثورة حديثة العهد بالانتصار، ورأى رئيسها الجديد هواري بومدين بأن ينظم هذه الشؤون الخطيرة، وأن لا يتركها هملا تسير حسب آراء من عملهم سياسي محض، والشؤون الدينية تحتاج إلى خبرة الخبراء حتى لا تزل فيها الأقدام، ولا تحل بمقتضى الهوى فقط، وهكذا تأسس المجلس الإسلامي الأعلى، واختير له من يتسم بهذا الوصف).[3]

5. **إحياء المناسبات الدينية والوطنية:** كذكرى المولد النبوي الشريف، وذكرى ابن باديس.. والتي من أهدافها إحياء معاني الوطنية وتجديد العهد معها، وقد ورد في البصائر مقال تحت عنوان:

1- **عزيز بن عمر الزواوي:** اهتمام جمعية العلماء بالحركة التهذيبية في باريس،جريدة البصائر، السنة الثالثة، العدد.103، 08 محرم 1358هـ الموافق لـ 11 مارس 1938م، ص.112.

2- **عمار القلي:** مدرسة السيد محمد خطاب بالميلية، جريدة البصائر، السنة الرابعة من السلسلة الثانية، العدد: 138، 14 ربيع الثاني 1370هـ الموافق لـ 22 جانفي 1951م، ص.28.

3- أحمد حماني،فتاوى الشيخ أحمد حماني،مرجع سابق، ج.01، ص.13.

"احتفال مدرسة تيهرت بذكرى ابن باديس" جاء فيه: (ثم أعطيت الكلمة إلى مدير المدرسة الأستاذ محمد الصالح بن عتيق، فارتجل خطابا حلل فيه نفسية الفقيد، وأعطى للسامعين صورة محسوسة من جهاده وإخلاصه، ثم أتى دور التلاميذ فقاموا بمحاورة موضوعها كيف كان يفكر الأستاذ الإمام للنهوض بالجزائر مع إخوانه الأساتذة: الإبراهيمي، الميلي، التبسي، فكانت محاورة تاريخية هامة أعجب الحاضرون بها وتأثروا لها).[1]

من خلال هذا العرض البسيط أسجل النتائج الآتية:

- نلمس في وطنية ابن عتيق: اللهجة الصادقة، والعاطفة الجياشة، والإيمان الخالص، والغيرة على الإسلام، وعلى العروبة والوطن.
- الوطنية هي: روح تحمل حب الوطن واثبات هويته، وفهم الدين فهما سليما، وتأدية الواجب نحو الوطن، ومحاربة النزعة الاستدمارية؛ بتحريره وتطهيره وتعميره، وترسيخها عن طريق العلم والتعليم، والثبات على المبدأ، شعارها الإسلام دينا والعربية لغة والجزائر وطننا.
- من خلال السياقاتالتي ذكرتها آنفا يمكن أن أقول بأن الوطنية عند ابن عتيق تعني: الاهتمام بالأمة الجزائرية أينما كانت،و مراعاة المصلحة الوطنية؛وأنها لا تقبل المساومة رغم الجراح والآلام والتنكيل والعذاب الذي قد يتعرض له الوطني الغيور، وهي تلك التي لا تقف عند زمن دون زمن أو حال دون حال؛ فهي مغروسة مغروزة في القلوب تجري في الدم مع العروق، وهي تضحية في سبيل إعلاء كلمة الله وحرية الوطن، والدفاع عنه، والتفاني في خدمة الشعب، والعمل على جمع الكلمة، والاتحاد على الحق، والشجاعة في نصرته، والإخلاص في الجهاد..

---

[1] خياطي محمد، احتفال مدرسة تيهرت بذكرى ابن باديس، جريدة البصائر، السنة الثانية من السلسلة الثانية العدد:138، العدد:35، الإثنين 01 رجب 1367هـ الموافق لـ 10ماي 1948م، ص.275.

ملاحق البحث:

بعض المواقع والمراجع التي ورد فيها اسم الشيخ محمد الصالح بن عتيق

الرقم	الموضوع	المرجع
01	الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمدرسة الحياة الجيجلية	جريدة البصائر: السنة الرابعة، العدد :168، ص.228.
02	التعليم بالميلية	جريدة البصائر: السنة الرابعة، العدد :163، ص.188.
03	التعليم بالميلية	جريدة البصائر: السنة الرابعة، العدد: 147، ص.60.
04	الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين	جريدة البصائر: السنة الثالثة،العدد :133، ص.351.
05	الدروس الأسبوعية في جمعية التربية والتعليم	جريدة البصائر: السنة الثالثة، العدد: 125، ص.292.
06	صوت الجزائر من فرنسا – برقيات احتجاج وتضامن-	جريدة البصائر: السنة الثالثة، العدد: 110، ص.172.
07	اهتمام جمعية العلماء بالحركة التهذيبية في باريس	جريدة البصائر: السنة الثالثة، العدد :103، ص.112.

08	العلماء العاملون حماة الأمة	جريدة الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى/ العدد السادس قسنطينة يوم الاثنين 29 ربيع الثاني 1352هـ... Constantine le 21 juillet 1933
09	تنظيم النسل	مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد الخامس، نظيم النسل، وثيقة من المجلس الإسلامي الأعلى بالجمهورية الجزائرية
10	قائمة الوعاظ لشهر رمضان	جريدة البصائر: السنة السابعة من السلسلة الثانية، العدد: 314، ص.355.
11	خطوة جديدة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: لجنة التعليم	جريدة البصائر: السنة الأولى، العدد:38، ص.310.
12	صورتين للشيخ محمد الصالح بن عتيق وهو يؤم ويخطب خطبة العيد بالبليدة	جريدة البصائر: السنة السابعة من السلسلة الثانية، العدد:287، ص.137.
13	بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عن سفر المعتمدين إلى كل جهات البلاد الجزائرية	جريدة البصائر: السنة السابعة من السلسلة الثانية، العدد:282، ص.95.
14	قائمة الوعاظ لشهر رمضان	جريدة البصائر: السنة السادسة من السلسلة الثانية، العدد :228،ص.03.س العدد

15	قائمة الوعاظ لشهر رمضان	جريدة البصائر: السنة الخامسة من السلسلة الثانية، العدد :190،ص.78.
16	انتخاب المجلس الإداري	جريدة البصائر: السنة الرابعة من السلسلة الثانية، العدد :173/172،ص.296.
17	حركة جمعية العلماء في بني فرقان	جريدة البصائر: السنة الرابعة من السلسلة الثانية، العدد :159،ص.187.
18	قائمة الوعاظ لشهر رمضان	جريدة البصائر: السنة الرابعة من السلسلة الثانية، العدد :156،ص.163.
19	مدرسة السيد محمد خطاب بالميلية	جريدة البصائر: السنة الرابعة من السلسلة الثانية، العدد :138،ص.28.
20	مائدة كليسي	جريدة البصائر: السنة الثانية من السلسلة الثانية، العدد :35،ص.274.
21	احتفال مدرسة تيهرت بذكرى ابن باديس	جريدة البصائر: السنة الثانية من السلسلة الثانية، العدد :35،ص.275.
22	مؤتمر شعب جمعية العلماء العمالي بوهران	جريدة البصائر: السنة الثانية من السلسلة الثانية، العدد :39،ص.303.
23	الوعظ في رمضان	جريدة البصائر: السنة الثالثة من السلسلة الثانية، العدد :122،ص.264.
24	الأستاذ محمد الصالح عتيق بالميلية	جريدة البصائر: السنة الثانية من السلسلة الثانية، العدد :52،ص.55.

25	رجلا الجزائر بالميلية	جريدة البصائر: السنة الثالثة من السلسلة الثانية، العدد :94،ص.43.
26	تيهرت وذكرى ابن باديس	جريدة البصائر: السنة الثانية من السلسلة الثانية، العدد :78،ص.264.
27	تراجم لأبرز الناشطين في فرنسا في مرحلة 1936م/1940م	سعيد بورنان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 – 1954 .جامعة الجزائر كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ ،ص.82-85.
28	قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949 - 1950م	جريدة البصائر: السنة الثالثة من السلسلة الثانية، العدد :93،ص.36.
29	إلى الواعظين والمرشدين	جريدة البصائر: السنة التاسعة من السلسلة الثانية، العدد :361،ص.332.
30	من ثمار حسن التسيير	جريدة البصائر: السنة الثامنة من السلسلة الثانية، العدد :324،ص.63.
31	إحياء سنة المصلى بالبلدية	جريدة البصائر: السنة السابعة من السلسلة الثانية، العدد :285،ص.119.
32	صفحة القراء: من جيجل	جريدة البصائر: السنة السادسة من السلسلة الثانية، العدد :233،ص.67.
33	صفحة القراء: من جيجل	جريدة البصائر: السنة الخامسة من السلسلة الثانية، العدد :188،ص.68.
34	قائمة توزيع المعلمين لسنة	جريدة البصائر: السنة الثالثة من السلسلة

	1949هـ/ 1950م (مدرسة سكيكدة)	الثانية، العدد :93،ص.36.

صورة الشيخ محمد الصالح بن عتيق في خطبة الجمعة

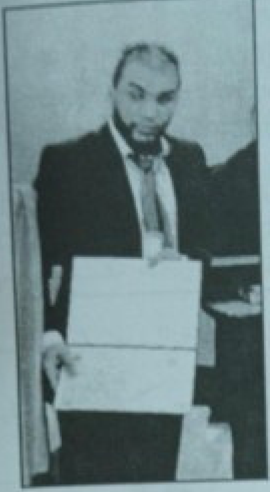

أ. مصطفى حليمي

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة

أ. محمد بن عربة

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

دور مصلحي جمعية العلماء المسلمين في الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية

- العلاّمة مبارك الميلي أنموذجا -

يمثل الدين واللغة في المقاربة الثقافية الدور الاستراتيجي الموحد للمجتمع الجزائري والمقوي للروابط التي تربط عناصره المختلفة، وكان الاستدمار الفرنسي على دراية وإدراك كامل لهذا الدور، ولهذا سعى إلى محو كل المقومات التي تشير إلى الجزائر وتاريخها، وعمل على تغريب الإنسان الجزائري واختراق قيمه الدينية والثقافية من خلال تغيير الحياة الاجتماعية الجزائرية.

لقد انتبه العديد من العلماء الجزائريين إلى الضعف الذي ينتابهم جراء التشتت الذي يميز صفوفهم ونقص فعاليتهم في المجتمع على الرغم من أن بإمكانهم فعل الكثير، من هذا اقترح بعضهم

اجتماع علماء الجزائر في جمعية أو هيئة إدارية تمثلهم. وبعد عمل مضني كان للعلماء الجزائريين أن اجتمعوا في "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" في 5 ماي 1931. وكانت هذه الجمعية هي الهيكل الإداري الذي تمناه كل جزائري أصيل. تدافع عن أصول الأمة، تربي، تصلح وتنصح.. فأصبح الجزائريون يمتلكون من يمثلهم ويتكلم باسمهم في شؤونهم الدينية، ويوصل انشغالاتهم إلى الحكومة العامة في الجزائر وحتى حكومة فرنسا بباريس. هذه المهام جعلت من جمعية العلماء المسلمين جامعة لكل المصلحين الوطنيين الذي أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الهوية العربية الاسلامية، وعلى الرغم من أن جهود المصلحين كانت تتم كلها باسم جمعية العلماء إلا أن هناك من كان له الفضل الأكبر، من خلال مساهمته الكبرى في التسيير الإداري والانتاج الفكري العلمي والديني، ومن أولئك العلامة مبارك الميلي الذي كان من أقطاب الجمعية ومؤسسيها وكان له الفضل في كتابة تاريخ الجزائر القديم والحديث.

لقد تناولت العديد من الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية جمعية العلماء بالدراسة والتحليل لكل أعمالها، أما لأعمال مصلحي جمعية العلماء فرادى فهي لم تلق العناية الكافية والدراسة المضبطة، وفي هذا الشأن تتبادر إلى الأذهان إشكالية الدور الحقيقي الذي لعبه كبار مصلحي الجزائر وعلى رأسهم العلامة مبارك الميلي في تاريخ الجزائر ودوره الاصلاحي في بعث الوطنية العربية الاسلامية.

تتناول هذا البحث الذي نرمي من خلاله إلى إعادة بعث هذا الإرث التاريخي الذي غطته جمعية العلماء المسلمين بأعمالها الجماعية الكثيرة التي ابتعدت عن العمل الفردي ونحاول أن نقدر الفضل الذي قدمه هذا الرجل للجزائر ولتاريخها، تتناول كل هذا وفق للمنهج التاريخي الذي يقوم على رصد الأحداث وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا ووصفها حسب كل مرحلة من المراحل، ثم ننتقل إلى اعتماد التحليل لكثير من الأحداث التاريخية.

أولا: دور جمعية العلماء في الدفاع عن اللغة العربية والدين الاسلامي

واقع المؤسسات الدينية والتعليمية في الجزائر قبيل تأسيس جمعية العلماء

كانت السياسة التعليمية الاستدمارية تسير وفق استراتيجية دقيقة لترسيخ قيم التغريب والأوربة والانسلاخ عن مقومات الانتماء العربي الإسلامي. فالتعليم – في منظور السياسة الفرنسية – لم يشكل مجرد أداة عادية لاستنفاذ أهداف عامة وحسب؛ بل مثل واحدا من الأسلحة الاستراتيجية لدى الإدارة الاستدمارية.[1] ولا يخفى على أحد أن السياسة الاستدمارية في مجال التعليم عملت على تحقيق هدفين أساسيين، يتمثل الأول في محاربة التعليم الأهلي بكل مؤسساته التعليمية الموجهة للأهالي ووسائله الموصوفة بالتجهيل لدى الفرنسيين[2] وهذا ما يفسر جانبا من الوصول الضعيف إلى المستويات الجامعية من خلال خلق نمط من التعليم لا يؤدي إلى الجامعة ويكتفي بوجود فئتين من المدارس (أ) و(ب)، حيث ينتهي المطاف بتلاميذ الفئة (ب) في أحسن الأحوال معلمين وهم أحسن من الفئة الأولى[3]، وتعكس الإحصائيات بدورها الصورة المزيلة لرواد التعليم العالي الفرنسي في الجزائر، فإذا نظرنا إلى التعليم الثانوي فإننا لا نجد إلا حوالي 125 طالب مسلم سنة 1905م في مجموع الثانويات الفرنسية في الجزائر، وارتفع العدد إلى

1- **مالكي (محمد)**، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، أوت 1994، ص 297

2- **MIRANTE (Juan)**, La France Et Les œuvres indigènes en Algérie, Publications du Comité National Métropolitain du Centenaire de L'Algérie 1930, p 73

3- **ELISON (castonguedj)**, enseignement indigène en Algérie au coure de la colonisation (1832 – 1962), Éduction les écrivant, paris 2000, p 78

180 طالب سنة 1910م ثم تقهقر إلى 170 طالب سنة 1914م ليصل إلى 813 طالب في إحصاء 5 نوفمبر 1933م[1]، والذين لا يوفق منهم إلا عدد قليل في شهادة البكالوريا.[2] حيث لا تتعدى نسبة الخمسة في المائة على الأكثر[3]. وتتوافق الإحصائيات السابقة مع الإحصائيات الجامعية، فالمدارس العليا لم تسجل سنة 1884 سوى 6 طلبة مسلمين فقط، وارتفع هذا العدد إلى حوالي 50 طالبا سنة 1907م ثم إلى 62 طالبًا سنة 1922[4] و93 طالبًا سنة 1930[5] ثم 103 طالبًا في 1933[6].

1- **J. Carde**, (G.G), Exposé De La Situation Générale De L'Algérie En 1933, Alger, Imprimerie Solal Rampe de La Pêcherie, 1933, p 680

2- **Voir** : Expose de la situation général en Algérie (1894 – 1960) **voir aussi** : statistique général de l'algerie (1894 – 1929)

3- **G. Le Beau**, (G.G), Exposé De La Situation Générale De L'Algérie En 1935, Alger, Ancienne Imprimerie Solal, 1936, p p 29 – 33

4- بارفيلي (غي): النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1900 – 1962، ترجمة محمد سعود وآخرون، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص28.

5- **J . Carde** (G.G), Exposé De La Situation Générale De L'Algérie En 1930, Alger, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, 1931, p 273

6- **J . Carde** (G.G), Exposé De La Situation Générale De L'Algérie En 1933, op-cit, p 662

كانت حصيلة التعليم الفرنسي في الجزائر هزيلة وكارثية وفاشلة[1] والسبب يعود أساسا إلى مسألة التأطير المقنن الذي اعتمدتها الادارة الاستدمارية[2]، حيث بلغ عدد المدارس العامة الخاصة بالأهالي 570 مدرسة منها 544 للأولاد و26 مدرسة للبنات وتدرس هذه المدارس 51542 تلميذ منهم 47957 ذكور و3585 بنات[3]، ولم يتغير العدد كثيرا في السنة الموالية حيث بلغ عدد المدارس العامة الخاصة بالأهالي في 5 نوفمبر 1932 602 مدرسة منها 571 خاصة بالذكور و31 مدرسة خاصة بالبنات وتحتضن هذه المدارس 59777 أهلي مسجل منها 54926 ذكور و4851 بنات.[4]

كان الهدف الأسمى للنظام الاستدماري الفرنسي في الجزائر هو القضاء على الإسلام والعروبة تمهيدا للانصهار الكلي للأمة الجزائرية في الكيان الفرنسي وسلك في سبيل ذلك طرق ووسائل عديدة.[5] وكانت الأمة الفرنسية مليئة بأولئك المتحمسين للفكرة الاستدمارية من أساتذة ومنظرين متشبعين بالوازع الديني المسيحي ومتحمسين لرؤية فرنسا الإمبراطورية، وكانوا يعتقدون أن من واجبهم تسهيل العملية الاستدمارية ولهذا عملوا على تأسيس علم السياسة الاستدمارية وتأسيس

1- يتناول أجيرون هذه الفكرة بقوله "سياسة تعليم المسلمين وإخفاقها النسبي" وهو بذلك يدعي أنها كانت ناجحة نسبيا . ينظر: أجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، ترجمة عياش سلمان، مج2، دار الأمة، 2008، ط 1ص ص 250- 259

2- حليمي (مصطفى)، صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الاستدمارية 1931 - 1956، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2013 – 2014، ص 132

3- J . **Carde** (G.G), Exposé De La Situation Générale De L'Algérie En 1930, op-cit . P333

4- **Ibid**. 1932. p 676

5- بن خليف (مالك)، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2010، ص 71

فروع علمية وتقنية في ميدان الأساليب الاستدمارية[1] فاتفقوا على أن السياسة التي ينبغي العمل بها في الجزائر هي الفرنسة وإبادة الهوية الجزائرية.[2] لقد سعوا بضراوة إلى تحطيم المجتمع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كما حاولوا أن يجعلوه صفحة بيضاء ويحولوا الجزائر إلى مقاطعة فرنسية، ولكن لم يتماشى ذلك التجهيل الهادف إلى تطويق اللغة العربية واستئصال الإسلام وأحيانا تشويهه مع رفع المستوى الثقافي الفرنسي، مثلما قد يبدو لنا منطقيا كان الهدف هو ضرورة مكافحة الشخصية الجزائرية.[3]

وفي هذا الشأن فإن الوثائق الأرشيفية تثبت هذا التوجه المعادي للتعليم العربي الإسلامي من خلال عدد الرخص المخصصة لفتح أي مدرسة قرآنية والتي قدرت بـ 21 رخصة[4] بالإضافة إلى الشروط القاسية لفتح مدرسة قرآنية ممثلة في ملف دقيق يحتوي على إثباتات للحالة المدنية وتقارير صادرة عن الإدارة وأخرى صادرة عن الشرطة[5]، وجاء في أحد التقارير الصادر عن الشرطة بتاريخ 22 نوفمبر 1941 موجها لعامل (Préfet) عمالة قسنطينة جاء فيه معلومات مفصلة عن معلم قرآن طلب رخصة للتعليم ومعلومات عن حالته الشخصية والعائلية وعمره

1- أوليفيه (لوكر غرانديزون)، الجمهورية الإمبراطورية في سياسة الدولة العنصرية، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص 60

2- مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستدمارية" الملتقى الدولي حول الاستدمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، 2 – 3 جويلية 2006، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر 2007، ص 19

3- مهساس (أحمد)، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 26

4-Archive w Constantine, boite 20, (services reformes), 26 – 02 – 1942, N- 41/1942

5- حليمي (مصطفى)، صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الاستدمارية، المرجع السابق، ص 135

وانتهى التقرير بتزكية المعلم[1]، وهذا دليل واضح على المتابعة الصارمة التي تخصها الإدارة الاستدمارية لرجال الإصلاح ولم يكن هذا حالة شاذة أو خاصة يمكن استثنائها بل شمل هذا كل العمالات.[2]

– البرنامج التعليمي العربي لجمعية العلماء المسلمين

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3] في ظرف حساس بعد فترة طويلة من النقاش الحاد من خلال جريدة "الشهاب"[4] جاء ليعيد للشعب الجزائري القيم الدينية التي ما انفكت تتلاشى منذ الغزو الفرنسي على الجزائر.[5] ففي فيفري 1931 قرر برجوازي من العاصمة يدعى عمر إسماعيل أن يشكل الحزب الديني المأمول منذ مدة طويلة، لقد خصص عمر إسماعيل جائزة

1-Archive w Constantine, boite 20, (services reformes), 22 – 11 - 1941, N= 3244

2– تلقى رؤساء بلديات قسنطينة وإداريوها أمرا من عامل عمالة قسنطينة يلزمهم فيها بمعرفة كل ما يمكن معرفته عن عدد المدارس القرآنية الموجودة في بلدياتهم خلال السنة الحالية إضافة إلى عدد معلمي القرآن، وعدد الطلبة المتابعين لتعليمهم، وأشار عليهم أن هذا الإحصاء سيتم تضمينه لـ annuaire statistique de l'Algérie ينظر: Archive w Constantine, boite 20, (services reformes), 04 – 02 - 1941 , N= I. 722

3– للاطلاع أكثر حول موضوع تأسيس الجمعية عد إلى المصادر التالية : **الإبراهيمي (البشير)**، مجلة الشهاب، ج 5، مج 7، عدد ماي 1931، ص 341، **ابن باديس (عبد الحميد)**، مجلة الشهاب، ج 6، مج 7، عدد جوان 1931، ص ص 351 - 356، **المدني (توفيق)**، حياة كفاح، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 172 وما بعدها.

4- **Claude (collot)**, jean-robert (henry), le mouvement national algérien textes 1912 – 1954 , o p u , Alger 1977, p 44

5- **Vatin (Jean Claude)**, L'Algérie politique, histoire et société; éditions El Maarifa, Alger, 2010, p 187

قدرها ألف فرنك لكل مثقف يتوصل إلى وضع أسس جمعية اسمها جمعية العلماء[1]، وقد وعد أيضا بدفع ألف فرنك أخرى إلى صندوق هذه الجمعية بمجرد الإعلان عن إنشائها وإصدار قوانينها.[2]. وتوجت الجهود بأن انعقدت الجمعية التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349 الموافق لـ 5 ماي 1931 بنادي الترقي[3] وكان الهدف الأسمى لهذه الجمعية يتمحور بصفة خاصة في تلقين الثلاثية المقدسة "الإسلام ديننا، العربية لغتنا والجزائر وطننا" للجزائريين وسبيل هذا التلقين هو الاستثمار في التربية والتعليم.[4]

كان البرنامج التعليمي لجمعية العلماء المسلمين مكثفا ويحمل الكثير من المشاريع التعليمية الكبرى، حيث كانت الجمعية تفكر في تأسيس كلية للعلوم الشرعية لتخرج العلماء والدعاة إلى الله على بصيرة[5]، وقال الشيخ ابن باديس عن البنامج التعليمي للجمعية التي يرئسها:" لقد وضعت الجمعية برنامجا صالحا لتعليم الصغار اللسان العربي وتكميل معلومات من تعلموا باللسان الأجنبي،

1- **Claude (collot)**, jean-robert (henry), op-cit, p 44

2- **مراد (علي)**، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 154

3- يعد نادي الترقي النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين وقد كان في بادئ الأمر مقر لجماعة من المفكرين الجزائريين، يعقدون فيه الندوات الفكرية والحفلات الكبرى، في هذا النادي تم استخلاص مبادئ مقاومة أفكار الإدماج والجنسية الفرنسية والدعوة إلى الإسلام والعروبة. أنظر: **خير الدين (محمد)**، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، دون طبعة، 2000، ص 106.

4- **حليمي (مصطفى)**، الثلاثية المقدسة والمرأة في تاريخ الجزائر المعاصر، الملتقى الوطني حول إسهامات المرأة الجزائرية في الثقافة والفكر والأدب يومي: 17 – 18 نوفمبر 2015 بجامعة جيجل

5- **الدراجي (محمد)**، مواقف الإمام الإبراهيمي، عبد الحميد بن باديس، عالم الأفكار، ط1، الجزائر، 2007، ص 14

كما خصصت دروسا للكبار[1] واستعان الشيخ ابن باديس بالأمين العمودي في الفترة الممتدة من 1931 إلى غاية 1935 وكلفه بإصدار جريدة " الدفاع" باللغة الفرنسية وتبليغ رسالة جمعية العلماء المسلمين إلى الجزائريين الذين تعذر عليهم تعلم لغتهم العربية.[2]

لقد استطاعت المدرسة الإصلاحية أن تسع الجزائريين الذين لم تستوعبهم المدارس الفرنسية، فوفرت لهم التعليم بلغتهم الوطنية وأنقذتهم من الجهل وأتاحت لهم الفرصة لكي يقرؤوا تاريخ بلادهم ويتحصنوا بمعرفة تراثهم الإسلامي ولغتهم العربية[3] وقد ساعدهم في ذلك أن جل الشخصيات البارزة في جمعية العلماء كانت تنتمي إلى سلك التربية والتعليم وليس إلى الأحزاب السياسية المتنافسة على كراسي المسؤولية والسلطة في المجالس المحلية المنتخبة[4] وكان لهذا التوجه التعليمي أن انعكس على البرنامج التعليمي لجمعية العلماء، فكان تركيزهم على مناح واضحة وأنواع محددة من التعليم وهي:

1- التعليم المسجدي (وكانت الجمعية تستغله في الدروس العامة والخاصة وتعليم القرآن)

2- التعليم المكتبي (الإبتدائي)

3- تعليم الطلبة (يتولاه ابن باديس شخصيا ومنه تخرج نخبة من المشايخ)

4- تعليم الكبار (محو الأمية)

1- **ابن باديس (عبد الحميد)**، آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف طالبي عمار، الشركة الجزائرية، ط3، 1997، ج2، م2، ص 332

2- **AGERON (Charles Robert)**, histoire de l'Algérie contemporaine, paris p.u.f, 1979, p 326

3- **حليمي (مصطفى)**، صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الإستدمارية، المرجع السابق، ص ص 120 - 121

4- **AGERON (Charles Robert)**, histoire de l'Algérie contemporaine, op-cit, p 337

وقد استطاعوا بهذا التفصيل في التعليم من تحقيق نجاح كبير، ففي سنة 1936 تمكنت جمعية العلماء من تأسيس 136 مدرسة حرة في الجزائر[1] بحكم جديتهم واعتبارهم مسألة التعليم من المسلمات التي لا بد من بلوغها، وفي هذا الأمر يفصل رئيس جمعية العلماء الشيخ ابن باديس قائلا:" إنّ مسألة تعليم أولادنا دينهم ولغة دينهم هي في نظر كلّ مسلم مسألة المسائل وأعظم المطالب... فلن نستطيع صبرا على منعنا من تعلمنا لغتنا ولاسكوتا على من يتسبّب في ذلك المنع كائنا من كان...".[2]

كانت جمعية العلماء تدرك جيدا قيمة اللغة العربية في حفظ الهوية، وهذا يعني أنها تعي سبب اندفاع فرنسا لقهر العربية[3] والاجراءات القمعية التي كانت تتخذها الادارة الاستدمارية تجاه التعليم العربي، فقد كثر إغلاق المدارس[4] وسجن المعلمين[5] وقد كتبت جريدة البصائر[6] اللسان المركزي لجمعية العلماء تندد بالعراقيل التي تضعها إدارة الاحتلال في وجه التعليم العربي الحر تحت عنوان "محاربة التعليم العربي في الوطن الجزائري" قالت: "وهذه حكومتنا (تعني حكومة

1- **بوحوش (عمار)**، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1997، ص 252

2- الصراط، ع3، بتاريخ 25 سبتمبر 1933م، ص 01

3- كانت الإدارة الاستدمارية تتفنن في قهر وتدمير العربية ومنع أي نوع من تعليمها ولكنها في الوقت نفسه كانت تنشر تعليم العربية في وسطها الإداري الذي يتعامل مع الجزائريين بشكل مباشر حتى يتمكنوا من الاجهاز التام على الجزائريين والتعامل معهم بدون وساطة، ينظر: Bulltin mensuel du comité de l'Afrique française et du comité du Maroc, Paris 1940, p 511

4- في هذا الشأن ولتفصيل أكثر ينظر نماذج من اغلاق المدارس الحرة من طرف إدارة الاحتلال: البصائر، ع157، 17 مارس 1939م.

5- في هذا الشأن ولتفصيل أكثر ينظر نماذج من سجن المعلمين الأحرار: البصائر، ع 151، فيفري 1939م، وينظر كذلك: البصائر، ع 178، أوت 1939م، ص 01.

6- البصائر، ع 90، 10 ديسمبر 1937م.

256/377

الاحتلال) أكبرت علينا بضع مدارس لا يأوي مجموعها ألف ولد من أمة تعد ستة ملايين نسمة" وقالت: "أصبحت الحكومة لا تسمح لنا بالتعليم إلا برخصة ولا تمنح الرخصة لطالبها ولو انتظرها السنين"

في الوقت الذي كان فيه رجال الإصلاح يحتجون على الواقع المر للتعليم العربي كانوا يقومون في الوقت نفسه ببناء وتشييد المدارس حيث كان عدد المدارس التابعة لجمعية العلماء في فترة 1934 – 1935 سبعين مدرسة تدرس ثلاثة آلاف تلميذ[1] ولم تكن الإدارة تعلم منها سنة 1936 إلا بوجود 61 مدرسة إصلاحية[2] كما تم إنجاز دار الحديث بتلمسان في مدة قصيرة قبل أشهر من اندلاع الحرب العالمية الثانية من طرف مساهمات السكان المتضامنين[3] وتم إعطاء المزيد من الاهتمام لبناء المدارس وتشييدها حتى بلغت سنة 1947 نحو 90 مدرسة تقريبا وبها حوالي 20 ألف تلميذ في سنة 1947[4] أما جمعية العلماء فتأكد أن عدد المدارس التابعة لها ارتفع من 70 مدرسة سنة 1940 إلى 175 سنة 1955، كما وصل عدد البنات المتعلمات في مدارس الجمعية إلى 13 ألف تلميذة في سنة 1953 وبنت الجمعية ما لا يقل عن خمس مدارس للبنات.[5]

كما افتتح في قسنطينة معهد ابن باديس وكانت هذه المؤسسة التعليمية الثانوية تهدف أساسا إلى إعداد معلمين لمدارس الجمعية الابتدائية وطلابا لجامعة الزيتونة في تونس ووصل عدد الطلبة بالمعهد إلى 700 طالب ونشرت الجمعية في سنة 1954 أنها تدرس 40 ألف تلميذ

1– حليمي (مصطفى)، صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الاستعمارية، المرجع السابق، ص 151

2– أجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 549

3– **SARI (Djilali)**, l'émergence de l'intelligentsia Algérienne, (1850 – 1950) édition sanep, 2006, p 12

4– أجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 944

5– البصائر، ع193، 24 – 31 ماي 2004، ص 03

وكان عدد مدارس العلماء سنة 1955 يبلغ 181 مدرسة 58 منها كانت تسدي تعليما رفيع المستوى لأكثر من 11 ألف طالب[1] ولتطوير التعليم في مدارس جمعية العلماء وتأطيره قامت قيادة الجمعية بإنشاء لجنة التعليم في سنة 1948 للإشراف على التعليم ومراقبته ووضع البرامج وتقرير الكتب المدرسية كما تم إنشاء امتحان الشهادة الإبتدائية ثم الشهادة الأهلية في 29 جوان 1952، وأصدرت هذه اللجنة نداء لمدارس الجمعية لاعتبار يوم 17 رمضان عيدا سمي يوم بدر.

أدرك مصلحي جمعية العلماء في وقت مبكر ما للتربية والتعليم من أثر في سلوك الأفراد وتوجيه أنظارهم إلى وجهة معينة وانطلاقا من هذه القناعات أولى المصلحون عناية كبيرة بالعمل التربوي في مشروعهم الحضاري[2] ويعتبر في هذا الصدد الجامع الأخضر بقسنطينة أول مركز انطلق فيه التعليم المسجدي، يضاف إلى ذلك التعليم المدرسي الذي خصص له **150** من المدارس الابتدائية لتعليم العربية والدين، إلى جانب المساجد حيث شيد نحو **70** مسجدا[3] كما تم مضاعفة طلبات فتح المدارس القرآنية خصوصا في الظروف الاستثنائية علهم يحصلون على أكبر قدر منها؛ وقد بلغ عدد طلبات فتح المدارس القرآنية 83 طلبا[4] خلال الحرب العالمية الثانية (1939 - 1944).[5]

- **الوعظ المسجدي وشرح تعاليم الإسلام في منهج رجال الإصلاح**

1- أجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 945

2- البصائر، ع155، 1 – 8 سبتمبر 2003، ص 15

3- **KADDACH** (**Mahfoud**), **SARI** (**Djilali**), l'Algérie pérennité et Résistances 1830-1960, Alger : place centrale, Ben Aknoun, p 31

4- A w c, boite 20.

5- رفض الإدارة الاستدمارية كل الطلبات المقدمة من قالمة وسطيف وسكيكدة وعنابة وباتنة ورفضت البعض منها في قسنطينة وبجاية، ينظر: A w c, boite 23

258/377

لقد كان هدف الاستدمار الرئيسي من احتلال الجزائر هو إحياء المسيحية التي "انطفئت بمجيء الإسلام"[1]. ولهذا عملت فرنسا على القضاء على المقاومة المعنوية ومنها الدين، فبدأت بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وأحالت كثيرا من المساجد إلى كنائس، ثم شرعت في تنفيذ برنامجها البطيء؛ فضيقت على دروس الدين ودروس العربية لأنهما المقومان الروحيان للأمة الجزائرية حتى ينسى الناس دينهم ولغتهم بالتدريج. وبقيت تتصرف فيهما تصرفا مطلقا، فهي التي تعين المفتين ولائحة للمؤذنين وكل ما تعلق بالمسجد، فتوصلت بذلك إلى إفساد هذه الطائفة الدينية حتى أصبح رجال الدين كلهم جواسيس لها[2]، وكان من الوسائل المستعجلة التي اعتمدتها فرنسا لإفساد مقومات الأمة:

1- حماية الدجالين والمضللين باسم الدين من شيوخ بعض الطرق الصوفية الضالة، وقد جندت فرنسا من هؤلاء كل خير لنفسها، فقد كانوا مطاياها وجنودها.

2- نشر الفجور وحمايته

3- نشر الخمر لإتلاف الأموال وإفساد العقول

4- إرسال الكنيسة المسيحية عددا من رجال الدين للقيام بمهمة التبشير " المقدسة"[3]

كانت الإدارة الاستدمارية تشجع الضياع اللاعقلاني للشعب الجزائري من خلال ما كان يفعله به الطرقيون.[4] فقد كانت تدرك أن الزاوية تقدم تعليما متخلفا جدا بدون أي قيمة معنوية

1- التميمي (عبد الجليل)، انطباعات حول أهمية الدين في الممتلكات الفرنسية في أفريقيا، المجلة التاريخية المغربية، عدد 01، تونس، جانفي 1974، ص 37

2- الابراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2007، ص 73- 74

3- التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 35

4- حمادي (عبد الله)، "موقف المجاهد المرحوم عمار أوزقان من الحركة الوطنية من خلال كتابه (الجهاد الأفضل)، الذاكرة مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، عدد4، المتحف الوطني للمجاهد، 1996م، ص 231

259/377

260/377

أو أخلاقية أو اجتماعية[1]، وبما أن المرابطين ينصبون أنفسهم مطهرين ومتطببين وصانعي معجزات فهم أعداء الدين والأوهام والأشياء التي تجلب الانحطاط والجهل، الأشياء التي يستغلها النظام الاستدماري لتدمير الاسلام. إذا فكلما تعلق الأمر بالطرقية أو بعض الصوفية فإن الاستقامة في خطر، أضف إلى ذلك أن الارتباطات والتواطؤ مع السلطات العمومية معروفة لدى الجميع، وزادها إصدار قرار ميشال سنة 1933 لتمنع أعضاء جمعية العلماء المسلمين من إلقاء الخطابات في المساجد دون أن يمس هذا القانون أعوان الشؤون الدينية الطيعون والأوفياء للإدارة.[2]

كانت الإدارة الاستدمارية تعين أرباب الزوايا على ما هم فيه من ضلالة وعماية فما من أحد يطلب منها أن تأذن له في زاوية يفتحها لنشر الخرافات إلا استجابت له بكل سرعة وأذنت له وربما أعانته بالمال وربما منحته وساما جزاء ما قتل من العقول وأمات من الفكر والشعور.[3] واستطاعت هذه الزوايا الصوفية بفضل كثرتها السيطرة على قطاع واسع من آراء واهتمامات الجزائريين بمختلف مشاربهم.

لقد كانت التركيبة الأيديولوجية لرجال الإصلاح تتناقض تماما مع تركيبة رجال الادرة الاستدمارية فكان الأوائل يريدونها أمة عربية مسلمة كما هو قسمها في القدر وحظها في التاريخ وحقها في الإرث وحقيقتها في الواقع، كانوا يريدونها كذلك ويعملون لتحقيق ذلك، أما الأخرون فيريدونها هيكلا لا تترابط أجزائه ولا تتماسك أعضاؤه[4]. ولما وقف ابن باديس باعتباره أحد قادة

1- **MIRANTE (Juan)**, op-cit, p 73

2- SARI **(Djilali)**, op-cit, p 241

3- بلعجال (أحمد)، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد الزاهري، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005-2006، ص63

4- الإبراهيمي (محمد البشير)، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص 55

الإصلاح على مواطن الضعف والفساد في الجزائر استقر رأيه على أن الدواء لكل هذا البلاء إنما يكمن في عقيدة الإسلام ذاتها، ففيها صلاح المسلمين جميعا.

وفي تأكيد بن باديس على أهمية الدين كأساس أول للإصلاح لابد من الاستناد إليه نجده يقول موضحا ذلك ومعللا اختياره الدين للنهوض بالأمة: "فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة، وتمسكنا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد وبث الخير والثبات على وجه واحد والسير في خط مستقيم" وفي هذا السبيل وهب ابن باديس نفسه لخدمته ونشر مبادئه وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون من بدع.

لقد كان المنهج العام الذي تبناه رجال الإصلاح في عملهم الدعوي الإصلاحي منهجا خاصا نلمس فيه الكثير من العلمية حيث نجدهم اهتموا بإصلاح التعليم الديني قبل الخوض في مجالات أخرى لأنه في رأيهم أساس الإصلاح، وقد ورد في الشهاب: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ولن يصلح العلماء، إلا إذا صح تعليمهم، فالتعليم يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه ولغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم".[1]

ثانيا: مبارك الميليّ ودوره الإصلاحي الوطني

- **مولد مبارك الميلي ونشأته:**

هو شيخ الجزائر وعالمها مبارك بن محمد بن رابح بن علي، لقبه ابراهيمي ولقب أسرته الميليّ نسبة إلى مدينة الميلية[2] ولد بدوار أولاد مبارك وهي الآن تابعة لولاية جيجل وقد كان

1- الشهاب، ج11، مج 10، أكتوبر 1934م، ص 478

2- الميلية: دائرة من دوائر ولاية جيجل تعود نشأتها إلى القرن 11 ق.م على يد قبائل كتامة، وأعاد تأسيسها الفرنسيون سنة 1860م، أدت دورا كبيرا في مقاومة الاستعمار سواء في الحركة الوطنية أو الثورة التحريرية.

مولده في عام 1898م[1]. نشأ الشيخ مبارك بالبادية نشأة القوة والصلابة والحرية وترى يتيما، فبعد وفاة والده محمد توفيت أمه تركية بنت أحمد بن فرحات بن حمروش فكفله جده رابح ثم عماه علاوة وأحمد.[2]

نزح مبارك الميلي إلى مدينة (ميلة) التي كانت تستقطب طلاب حفظ القران الكريم بصدر رحب وكرم مشكور وهناك حفظ القران وزاول الدراسة العلمية الابتدائية على يد الشيخ الزاهد (محمد معنصر ابن الطريف الميلي) وقد أهلته هذه الدروس للالتحاق بدروس العلامة عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر وهناك وجد بغيته في دروس الأستاذ الحية ومنها تشبع بالأفكار الإصلاحية بحماس وإيمان فكان من أنجب تلاميذه ومن الجادين المجتهدين الراغبين في التحصيل، فأعجب به أستاذه وأحبه كثيرا وقربه إليه.

بعد تكوينه في الجزائر ارتحل الشيخ مبارك الميلي نحو تونس لطلب العلم حيث مكث في جامع الزيتونة مدة ثلاث سنوات على يد الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور في مادة الأدب العربي عموما وديوان الحماسة لأبي تمام خصوصا مما جعله يتبحر في الكلام العربي ويسيطر بإتقان على المنظوم والمنثور، كما أخذ عن مجموعة من الشيوخ منهم: الشيخ محمد النخلي القيرواني، والشيخ محمد الصادق النيفر والشيخ بلحسن النجار والاستاذ محمد بن القاضي وغيرهم[3]. وبعد تحصيله على شهادة الجامع رجع إلى الجزائر مشحونا بالحماسة والطموح فشرع بعد تخرجه مباشرة بعلم

1- **محمد علي دبوز**: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى 1975، ج3، مطبعة البعث قسنطينة 1978 ط، ص 16

2- **مبارك بن محمد الميلي**: رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمان محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2001، ص 13

3- **عبد الحميد بن باديس**: آثار عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1982م، ج3، ص ص: 271-272

بمكتب "سيدي بومعزة" وسيدي فتح الله بقسنطينة[1]، وهذا لزرع روح العروبة والإسلام في قلوب وعقول الصبية والمتعلمين.

آثاره العلمية:

تحتفظ الذاكرة الوطنية وتتمسك بمقولة تفيد بأن الشيخ مبارك الميلي علامة الجزائر ومؤرخها الأكبر إلا أن هذا لا يزال قليلا في حق شيخ اقتحم كل الأبواب التي أغلقتها الإدارة الاستدمارية لتجهيل الشعب الجزائري فمن تدريسه في المساجد والكتاتيب إلى تدريسه بالتعليم مرورا بالتوعية في المجلات والصحف، وكان في هذا كله إيمان، صبر، مصابرة، احتساب ومثابرة، وهذا ما جعل محيطه آنذاك يثني عليه ويفتخر بصحبته أو التتلمذ على يده أو العمل معه.

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "إن لأخينا مبارك الميلي على البصائر حقا، فقد تولى الشيخ الميلي إدارة جريدة البصائر فأحسن الإدارة وكانت ميدانا لنشر كتابه (الشرك ومظاهره)"[2]، والمناسبات التي أثنى فيها الشيخ البشير الابراهيمي على العلامة مبارك الميلي كثيرة ومتعددة منها قوله: "إن لأخينا مبارك الميلي على جمعية العلماء حقوقا فقد كان مرجعها يوم تظهر المشكلات وتضل الآراء فيشرق عليها بالرأي كأنه فلق الصبح، وقد كان معقلها يوم تشتبه المسالك وتكاد الأقدام تزل فيثبت على الحق كالجبل الراسي، وكان منها بحيث لا يجترئ عليها مجترئ ولا يفتر عليها مفتر إلا رمته منه بالسيف الذي لا تنبو مضاربه"[3]، وقال عنه المؤرخ أحمد توفيق المدني رحمه الله: "كان رحمه الله أول من عرفت في القطر الجزائري من رجال العمل الصحيح والوطنية

1- **أحمد حماني**، صراع بين السنة والبدعة

2- **عبادة (عبد اللطيف)**، الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية – دراسة مقارنة – مجلة الثقافة، السنة 15، يناير-فبراير 1984م، عدد 85، ص 118

3- **البشير الإبراهيمي**: آثار محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 575

الحقيقة"[1] ويقول في موضع آخر: "لقد كان من رجالنا المعدودين وكان من بناة قوميتنا المذكورين وكان من الذين خلدوا أسمائهم بأعمالهم الجليلة وجهادهم الموفق في صفحات التاريخ الوطني الحافل الثري"[2].

على الرغم من غزارة علم الشيخ مبارك الميلي كغيره من علماء الجمعية المسلمين الجزائريين آنذاك إلا أنه لم يترك آثارا علمية كثيرة تعكس علمه وقدراته وقد يعود ذلك إلى أن العلامة توفي صغيرا وكان كثير الترحال وكثير الانشغال بالتربية والتعليم بالإضافة إلى التزاماته الإدارية وحرصه على الأداء الحسن والمميز في الجمعية، ورغم كل هذا فقد تمكن رحمه الله من ترك عملين كبيرين بالمقارنة بظروف عصره والامكانيات المتاحة آنذاك فكان احترافيا وموضوعيا في كتاب (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)، وهو عبارة عن موسوعة حول تاريخ الجزائر من القديم إلى العصر الحديث صدر الجزء الأول منه سنة 1927 والثاني سنة 1932 وفيه توقف عند بداية الوجود العثماني في الجزائر وتوفي رحمه الله قبل أن يتمه إلا أن ابنه محمد أتم بعد الاستقلال جزاءه الثالث[3]، الذي كان موضوعه حول الجزائر العثمانية. وقد لاقت كتاباته التاريخية إعجاب وفخر القريب والبعيد من الجمعية وحتى من علماء المسلمين المشارقة،كونها كانت منبر للدفاع عن العروبة والتاريخ والموضوعية الذي حاولت سلطات الاستدمار منذ عقود محوها. يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الكتاب "وقفت على الجزء الأول من كتابك (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) فقلت لو سميته (حياة الجزائر) لكان ذلك خليقا فهو أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك وقد نفخت في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حية على وجه الدهر تحفظ اسمك تاجا لها في

1- مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، المرجع السابق، ص 19

2- المرجع نفسه، ص 19

3- انظر: مقدمة الجزء الأول من كتابه (تاريخ الجزائر في القديم والحديث).

سماء العلا وتخطه بيمينها في كتاب الخالدين)[1]، أما العلامة المشرقي شكيب أرسلان فقد أبدى إعجابه بكتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث وقال عنه في رسالة بعثها إلى الشيخ الطيب العقبي: "وأما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت أظن في الجزائر من يفري مثل هذا الفري ولقد أعجبت به كثيرا"[2] وقد كان لصدور هذا الكتاب ضجة كبيرة في الأوساط العلمية الفرنسية والصحفية واعتبرته الإدارة الاستدمارية مقاومة جديدة في ميدان جديد عبر عن وعي الشعب الجزائري وإيمانه بتاريخه وانتمائه.

أما كتابه الثاني فجاء عنوانه (رسالة الشرك ومظاهره) وهو كتاب قيم فريد من نوعه وفي عصره ذلك بسبب تشجيع الإدارة الاستدمارية لحالة الجهل والفقر وتفشي الشرك بمظاهره والقبورية فجاء هذا المؤلف من أجل إحياء السنة وإماتة البدعة والدعوة إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح وقد نظم الشيخ مبارك كتابه هذا نظما عجيبا ابتداء من التعريف بالشرك وبيان مظاهره وموقف الكتاب والسنة منه ثم تعرض إلى تاريخ الشرك فيما سبق من الأمم ثم أعطى العديد من مظاهره وقرائنه التي كانت مستوحات مما يعيشه الشعب الجزائري، وقد لاقى هذا المصنف موافقة جمعية العلماء وأقر مجلس إدارتها مادته بعد أن درسها، يقول الشيخ العربي التبسي في تقريره عن الكتاب: "إن دعاة الإصلاح اليوم في حاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع جامعة لأدلة هذه المسائل.. فنهض الى القيام بهذا الفرض الكفائي الأستاذ المحقق مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي أمين مال جمعية العلماء وجمع رسالة بعنوان "رسالة الشرك ومظاهره" خدم بها الإسلام ونصر بها السنة وقاوم بها العوائد الضالة والخرافات المفسدة للعقول[3] وهاته الرسالة قد

1- محمد بن مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، المرجع السابق، ص 21

2- مزهود (سليم)، مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، 2005-2006، ص 104

3- المرجع نفسه، ص 105

انتشر صداها خارج تراب الجزائر وقد بادرت الأوساط العلمية التونسية إلى تبني ما جاء في رسالته عن "الشرك ومظاهره" وفرضت تدريسها في المعاهد "التونسية المتفرنسة"[1].

أعماله الإصلاحية :

لم ينفصل عمل وخطاب الشيخ مبارك الميلي عن الطريق العام الذي تبنته الجمعية ورجالها من أجل النهوض بالأمة الجزائرية والحفاظ على مقوماتها وشخصيتها، وهذا كله لتهيئتها للحظة الثورة على المستعمر وأخذ الحرية. والإصلاح في نظر الشيخ مبارك الميلي يختلف تماما عن النظرة التقليدية التي طالما دأب عليها علماء الأمة في تخصص الإصلاح في مجال معين فهو يرى أنه يجب أن يشمل جميع نواحي الحياة، ويرى الشيخ مبارك الميلي أن "رسالة الإصلاح" هي واجب يقدمه المصلحون من العلماء والمفكرون في كل مرحلة من الزمان وفي كل مكان، وهو مرتبط بالمرجعية والتي هي الكتاب والسنة، وفي هذا يقول: "إن الإصلاح الديني هو واجب على من له في المجتمع سيرة دينية من علماء وزعماء، فواجب العلماء الدعاء والإرشاد في نزاهة وإخلاص، وواجب الزعماء الانقياد والتأييد والتنفيذ في سلامة الصدر وانشراح بال، والتقاعس عن هذا الإصلاح معرة في الدنيا وشقاوة في الأخرة."[2]

يرى الشيخ مبارك الميلي أن على المصلح الذي يريد خدمة وطنه أن يحتك بجميع الوسائل التي يمكنها أن توصل خطابه ومنظوره وأولها التدريس، فالمدرس الذي يريد أن يكون مصلحا يتلقى المسائل ويطبق منها ما يحتاج إلى التطبيق، ومن الوسائل أيضا خطب الجمعة، فالخطيب يجب أن يكون مصلحا ينتقي مواضيع الخطابة ويقدم منها ما يراه أمس بإصلاح المصلين متحريا في ذلك صحيح العلم متفطنا إلى ما يؤثر من لطيف المواعظ والمحاضرات بالتجمعات والنوادي، ويذكر

1- الجابيري (محمد صالح)، مبارك الميلي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، 1928، ص 21

2- مزهود (سليم)، المرجع السابق، ص 111

266/377

الشيخ مبارك الميلي من وسائل الخطاب الاصلاحي الصحف فأنزلها منزلة الواجب الديني وشدد على ضرورة ولوجها حيث قال:"الإصلاح الديني بواسطة الصحف السيارة هو من مستحدثات العصور ولكن ليس بدعة في الدين أن الكتابة في الصحف أو غيرها من العبادات المحدودة بل هي من باب الدلالة على الخير.. إن الصحف الاصلاحية هي أهم وسائل الإصلاح وأعمها فائدة؛ لأن الكاتب يفكر في كتابته وينقحها ثم يقدمها للجمهور خلاف المدرس مثلا، فهو أقل عناية بدرسه من الكاتب ثم هو يقدمه لطائفة قليلة"، والمتتبع لنضال الشيخ في الحركة الإصلاحية يجد أن مبارك الميلي قد التزم بما نظّر له فهو جزء لا جزء كبير من نشاطه للكتابة في الصحف التي أسهم في إنشائها في إطار عمل الجمعية وهي " المنتقد " و"الشهاب " معاضدا الجهد الذي كان يقوم به أبو النهضة ابن باديس ويتولى بعد وفاة الشيخ ابن باديس الاضطلاع بإدارة جريدة " البصائر " إلى آخر يوم في حياته.

دعوته إلى العقيدة الاسلامية والتعليم

إن التيار الذي كانت تتبناه جمعية العلماء وكبار رجالها هو التيار السلفي الذي كانت مرجعيته الكتاب والسنة وأثر السلف السالف، وقد كان الشيخ مبارك الميلي من روادهذا المنهج، واستطاع بعلمه وفهمه وتعايشه مع واقع المجتمع الجزائري أن يوصل صوته وأن يلمّ بجميع الانحرافات التي رأى أن الإصلاح والتحرير لا يكون إلا بعد القضاء عليها وأن هاته الآفات حتى وإن ظهر للبعض حسنها فيجب استئصالها فمثلاعن الزرد وهي الموروث الذي لازال متواصلا حتى اليوم بطقوسه البدعية قال عنها الشيخ مبارك الميلي إبان أيام الاستدمار مايلي:" ثم لو كانت الزردات خيرا لظهر خيرها ولكن السلف أولى بما منا بكل خير فهل فعلها النبي على قبر سيد الشهداء حمزة؟ أم وضعها الصحابة على القصر الشريف؟ أم اتخذها التابعون على قبور الخلفاء أو الشهداء أو غيرهم ممن كل واحد منهم من ألف ممن يزردون لهم اليوم؟ كلا لم يكن شيئ من ذلك.. وما أعرب عنه الكتاب والسنة وكلام فحول الأئمة من مفسرين ومحدثين وأصوليين والفقه

إنما يكون من هذه العلوم الثلاثة[1] وقد أظهر وبيّن الشيخ مبارك الميلي في مصنفه: "رسالة الشرك ومظاهره" مظاهر البدعة والوثنية التي تتنافى مع مبادئ التوحيد والتي كان يعيشها الشعب الجزائري بتواطؤ وتحريض من الإدارة الاستدمارية وبعض الطرق الصوفية المنحرفة، وسعى إلى دحضها، والمتفحص لهذا الكتاب يدرك أن الشيخ انطلق من واقعه وهذا ما يلاحظه في مسائل: الكرامة، الكهانة، السحر، الزيارات، الذبائح والزردات هداة الشرك وحماته[2] أما في مجال التنظيم فإن الشيخ مبارك الميلي يعد من الرواد الأوائل الذين أسسوا الحركة الإصلاحية التعليمية العربية في الجزائر مباشرة بعد تخرجه من جامع الزيتونة وإقامته بقسنطينة عام 1925 وبداية ممارسة التعليم بالمكتب العربي بسيدي بومعزة وقد كان عمله ينصب على إعداد وتكوين الفرد الجزائري وكان خطابه الإصلاحي يعمل على النهوض بالتربية والتعليم تثبيتا للعقيدة الاسلامية الصحيحة وتمكينا للغة العربية وتشبثا بالتراث الذي خلفه السلف الصالح في أمور الدين وبالتراث الفكري الجزائري في الثقافة الوطنية.

دور مبارك الميلي في بعث الوطنية الجزائرية

استطاعت الإدارة الاستدمارية أن تنشئ منظومتها الثقافية ملغية فاعلية النظم الثقافية والتجربة التاريخية المحلية الأصيلة، وحاولت قدر المستطاع محو كل المقومات التي تشير إلى الجزائر وتاريخها وتجفيف المنابع الحضارية التي تتغذى منها المقاومة والشعب الجزائري، وتمكنت – إلى حد بعيد – من تعطيل المشروع الثقافي للأمة وعرقلة النمو الطبيعي والسوي للمجتمع الجزائري في إطاره العام. لم يكن هذا الأمر ليستمر أكثر من قرن؛ حيث جاءت الحركة الإصلاحية لتعيد المجتمع الجزائري إلى هويته الأصلية ونشطت في وقت كادت الإدارة الاستدمارية أن تجهز بشكل كامل على الأمة الجزائرية. كان الوعظ المسجدي والمدرسة الشعبية الحرة بقيادة رجال الإصلاح

1- علي بن الطاهر: مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر (1897 – 1945)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2000 – 2001، ص 115

2- المرجع نفسه، ص 111

بمثابة الإعلان عن ثورة ثقافية شعبية ومركز حقيقي لانبعاث الشعب الجزائري بمختلف مكوناته، لأنها استطاعت محاربة حالات استلاب وارتماء الجزائريين في أحضان الجهاز الثقافي الاستدماري وحتى الكهنوت الإسلامي الرسمي والطرقية. واستطاع العلامة مبارك الميلي - في إطار القوانين الفرنسية المتاحة - أن يرتقي بالفعل الثقافي ويجعله جبهة من جبهات الصراع مع الاستدمار الفرنسي، وهو ما لم نعهده ولم نره في دول أخرى مستعمرة، وتمكن بمهامه التعليمية وكتبه التاريخية الدينية من إفشال المشروع الاستدماري المسيحي وحقق إلى جانب زملائه المصلحين استقلالا ثقافيا يمكن أن نعتبره الجزء الأكبر من الاستقلال الشامل. استطاع العلامة مبارك الميلي إلى جانب إخوانه المصلحين خلال ربع قرن من المقاومة أن يقود الجزائريين إلى نوع جديد من المقاومة، فمن منهج استعمال القوة العسكرية في المقاومة اتجه الجزائريون إلى المقاومة الدفاعية الممثلة في التمسك بالثقافة العربية الإسلامية، وهي مقاومة - عكس بقية المقاومات - شاملة يشارك فيها جميع الجزائريين أطفالا، شبابا، شيوخا، رجالا ونساء أيضا. لقد استطاع بحق أن يهدم ما بنته الإدارة الاستدمارية خلال أكثر من مئة سنة، لقد بعث الجزائر من جديد وأثبت بالدليل القاطع أن الجزائر هي امتزاج عنصري الجغرافيا والتاريخ ببنيته الاجتماعية والثقافية والإثنية المتماثلة والتي تضافرت في تكوينها ديناميات الإنتماء إلى الدين الواحد واللغة المشتركة ورمزت إليها طريقة عيش الناس وكسوتهم وأنماط تفكيرهم وذاكرتهم الجماعية، وذلك بالرغم من مظاهر التنوع التي تخصب مكونات هذه البنية أكثر مما تفعل في تباينها وتنافرها.

لقد ساهم الميلي بقوة في خلق وبعث التاريخ الوطني، فبفضله نشر الماضي الجزائري وعرفه الطلاب وكان يدعو الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم الطويل إضافة إلى إدخاله تدريس تاريخ العرب الحديث إلى الجزائر وكان يعلمون طلابهم أن جميع سكان شمال إفريقيا من أصل عربي، وفي هذا الصدد فقد حاول إعادة كتابة التاريخ الجزائري على أساس وطني من خلال كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" الذي تصدى فيه للفرنسيين الذين كانوا يقولون أن الحضارة الرومانية قد أثرت في الجزائريين وأن الإسلام جاء بالدين فقط ولم يأت بأية حضارة. وساهم بكتابه رسالة

269/377

الشرك في توضيح ما لبس على الجزائريين في عقيدتهم ودينهم الاسلامي فتجنبوا ما ينهى عنه الدين وأقبلوا على ما يدعوهم إليه.

270/377

الجلسة الرابعة

الإسهامات المباشرة لعلماء منطقة جيجل ومشايخها في الثورة التحريرية المباركة

رئيس الجلسة/ أ. لخضر شامول

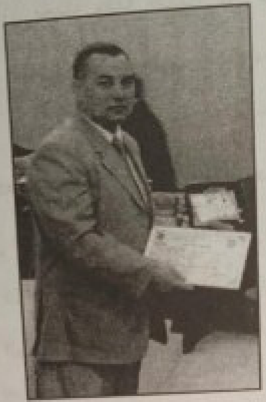

أ. مسعود بولجويجة

مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

إسهامات علماء مشايخ منطقة جيجل في القضاء
- إبان الثورة التحريرية 1954-1962 -

إن موضوع مساهمة العلماء في القضاء إبان الثورة التحريرية المباركة هو موضوع لم يهتم به الباحثون والدارسون كثيرا، لقلة المادة العلمية من جهة، ولحساسية الموضوع من جهة ثانية، لذلك فإن بحثنا هذا هو بحث ميداني، اعتمدنا فيه على وثائق وشهادات صانعي الثورة، من مجاهدي المنطقتين الأولى والثانية من الولاية التاريخية الثانية، والتي تقع داخل حدودها منطقة جيجل الحالية. في بداية الثورة التحريرية المباركة، أصدرت قيادة الثورة قرارا بمنع المواطنين الجزائريين من التقاضي لدى المحاكم الفرنسية، حتى في الأمور البسيطة، وكان الهدف من هذا المنع أن يُبدي

272/377

الشعب رفضه القاطع لفرنسا ومؤسساتها وأنه مع ثورته قلبا وقالبا، وقد استجاب الشعب الجزائري لأمر ثورته، وعيًا منه بضرورة التآزر معها، ولهذا جمدت كل القضايا المطروحة على المحاكم الفرنسية[1] "وهكذا أصيب النظام القضائي الاستدماري بالشلل، وأصبحت المحاكمة خالية إلا من المعمرين والعملاء"[2].

إذن، امتنع الشعب من التردد على المحاكم الفرنسية لطرح قضايا جديدة،فكانت الكثير من المشاكل التي تحدث تحل عن طريق اللجوء إلى الجماعة أو الأصهار والأقارب، أو لجان الصلح، أو الشيخ، بينما علقت الكثير من القضايا المتعلقة بالمنازعات العقارية، والقضايا الكبرى، التي لا يمكن حلها بالمصالحة، فكان من الضروري إحداث جهاز قضائي ثوري بديل، يتكفل بالفصل في مثل هذه المنازعات.

القضاء إبان الثورة التحريرية المباركة:

قبل ظهور التشريع الخاص بالقضاء العسكري، المؤرخ في : 12 فيفري سنة 1958م، والصادر عن لجنة التنسيق والتنفيذ، كان هناك قضاء يمارس بشكل أو بآخر منذ بداية الثورة، فالقضاء تطور بتطور الثورة، وانتشر بانتشارها، وهو جزء لا يتجزأ من التنظيم الثوري بصفة عامة. ويمكن تقسيم القضاء إبان الثورة، من حيث الهيكلة والإختصاص إلى المراحل التالية:

المرحلة الأولى: (من أول نوفمبر 1954م إلى مؤتمر الصومام 1956م):

1- تذكر العديد من شهادات المجاهدين الأوائل، إن فرنسا قامت في يوم واحد بجمع أربعين إماما، من قضاة الثورة سنة 1955م، وقامت بإعدامهم كإنذار لغيرهم، كي لايمنعوا الشعب من التقاضي إلى الإدارة الاستدمارية، وكان ذلك دون جدوى، بل زاد من التفاف الشعب حول ثورته، أنظر: **يوسف مناصرية**، القضاء في الثورة من خلال بعض النصوص- استراتيجية القضاء في الثورة وأهدافه، ضمن كتاب أعمال الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر: 2007م، ص:113.

2- علي كافي، المذكرات، دار القصبة للنشر، الجزائر 2011، ص: 198.

وفي هذه الفترة كانت الثورة منشغلة بإرساء هياكلها، وفي تجنيد الشعب الجزائري بجميع فئاته حول ثورته، لذلك عرف الجانب العسكري للثورة تطورا كبيرا، بينما الجانب السياسي كان يسير ببطء، نظرا لما يتطلبه من طاقات بشرية تتوفر على الحد الأدنى من الكفاءة العلمية، والحنكة السياسية[1].

وقد عرف القضاء في هذه الفترة نوعا من التنظيم والهيكلة، حيث كانت القضايا المتعلقة بالنزاعات والخلافات، سواء بين المواطنين فيما بينهم، أو التي يكون أحد أطرافها مجاهدا، فهي من اختصاص "القائد مسؤول الفوج"، أو "مسؤول الدشرة"، فهو المكلف بحل المشاكل التي تقع بين المواطنين عن طريق الصلح، وكانت الفكرة – حسب رأي علي كافي – أن تساهم الجماهير، بل تحل مشاكلها بنفسها دون تدخل من قيادة الجيش.

ولكن مع ضخامة صفوف الثورة ومقاطعة محاكم الإدارة الفرنسية، أصبح من الضروري تكوين نظام قضائي مهمته النظر في المنازعات والمخالفات والجنح التي تقع بين المواطنين، أو التي يكون أحد طرفيها من جبهة وجيش التحرير الوطني.[2]

المرحلة الثانية: (من مؤتمر الصومام 1956م إلى أفريل 1958م):

في هذه الفترة، وبعد القرارات التي صدرت عن مؤتمر الصومام، والتي تقضي بتغيير وتوسيع الهيكلة السياسية والعسكرية للثورة، تم فصل مهمة القاضي عن المسؤول السياسي، وظهر ما يمكن تسميته بهيكل تنظيمي خاص بالقضاء، على الأقل على مستوى الولاية التاريخية الثانية، فقد صدر القرار، رقم: 11 المؤرخ في 16 جوان 1957م، الصادر عن قيادة الولاية التاريخية الثانية، والمتضمن تنظيم لجان العدل، وقد تم نشر هذا النص كاملا ضمن كتاب: "القوانين الداخلية لجيش التحرير

1- الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني، دار البعث، قسنطينة، الجزائر: 2000، ص ص 333-334.

2- علي كافي، المرجع السابق ص: 196-197.

الوطني" للمجاهد علي بوداري[1]، كما تمت الإشارة إليه بتفصيل في مذكرات المجاهد الرئيس علي كافي[2]، ومن ثم فقد أنشئت لجان قضائية على مستوى كل قسم، وهذه اللجان تتشكل من أشخاص مثقفين يتسمون بالصلاح والعدل، وتسمى هذه اللجان بـ (لجان العدل)، ومهمتها البث في النزاعات التي تحصل بين المواطنين، وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، وسنفصل في هذه النقطة لاحقا.

المرحلة الثالثة: (من أفريل **1958**م إلى الإستقلال في **1962**م):

وأبرز ما يميز هذه المرحلة، هو استمرار القضاء المدني، أي (لجان العدل) في عملها، ونشأة (القضاء العسكري)[3]، والذي نستطيع أن نقول إنه لم يكن قضاء بمعنى الكلمة، لانعدام الشروط الضرورية، وإنما يمكن تسميته بـ (محاكم عسكرية)، ذلك أنه كثيرا ما كان يترأس المحاكم ضابط سامي عسكري لا علاقة له بالقضاء، وكان يصدر أحكاما تذهب أحيانا كثيرة إلى الإعدام بتهم واهية، وتنفذ بصفة سريعة ودقيقة، فهي محاكم شكلية تأتي بأحكام مسبقة، وتنفذها باسم الثورة، دون المرور على الهيئات الرسمية التي انبثقت عن مؤتمر الصومام.

التنظيم القضائي بمنطقة جيجل :

لقد كانت الولاية التاريخية الثانية ـ التي تحتوي منطقة جيجل الحالية[4] سباقة إلى تنظيم القضاء إبان الثورة، وذلك بفضل وجود العديد من الشخصيات التاريخية من أبناء المنطقة أمثال: زيغود يوسف، لخضر بن طوبال، علي كافي، صالح بوبنيدر، حسين رويبح، مسعود بوعلي، بودراع

1- لمراجعة النص كاملا، أنظر: **علي بوداري**، القوانين الداخلية لجيش التحرير الوطني، دار نوميديا، قسنطينة، 2014م، ط1، ص : 116 وما بعدها.

2- **علي كافي**، المرجع السابق، ص : 146 وما بعدها.

3- وذلك بمقتضى التعليمة الصادرة عن لجنة التنسيق والتنفيذ، المؤرخة في 12 أفريل 1958م.

4- منطقة جيجل الحالية، كانت تتبع لـ : المنطقة الأولى، والمنطقة الثانية، من الولاية التاريخية الثانية.

صالح وغيرهم.. يتمتعون بثقافة عالية. فتطبيقا لقرارات وتوجيهات مؤتمر الصومام التي أقرت إنشاء جهاز قضائي يتولى مهام القضاء أثناء الثورة، بادرت قيادة الولاية التاريخية الثانية إلى إصدار نص تنظيمي هو القرار رقم: 11، المؤرخ في: 16جوان 1957م السالف الذكر، والمتضمن إنشاء لجان العدل[1]، وهو نص موجه إلى كل إدارات المناطق، والنواحي والأقسام وإلى لجنة العدل، للتنفيذ، ويتناول هذا النص العديد من المسائل أهمها:

- تكوين لجنة العدل على مستوى كل قسم.
- تركيبة لجنة العدل.
- شروط الالتحاق بلجنة العدل.
- اختصاصات لجنة العدل.
- المراجع التي تعتمد عليها لجنة العدل.
- كيفيات إجراء المحاكمات.
- أحكام مالية.

إنشاء لجان العدل:

تم الإعلان عن إنشاء لجان العدل على مستوى كل قسم، تتولى مهام القضاء أثناء الثورة، وهي لجان تتكون من: رئيس وأربعة أعضاء، لذلك كانت تسمى في بعض الأحيان بـ(اللجنة الخماسية)، كما اشتهرت تسميتها بـ (اللجنة الشرعية) لأنها تستمد أحكامها من الشريعة

1- على خلاف ما ذكرته الأستاذة منى صالحي، أنها لم تعثر خلال بحثها على قانون أو أمر من جبهة التحرير لإنشاء هذه اللجان (أنظر: **منى صالحي**، تطور القضاء المدني أثناء الثورة، الولاية الأولى نموذجا، ضمن كتاب: القضاء إبان الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص: 160.)، وكذلك على خلاف ما ذكره الأستاذ جمال يحياوي بقوله "لا أعرف أن هناك هيكلا خاصا (statut) بالقاضي في هذه المرحلة" (أنظر: **جمال يحياوي**، القضاء إبان الثورة، المرجع السابق ص: 118.).

الإسلامية، ولم يكن القاضي هو الذي يختار هذه الوظيفة أو يطلبها، وإنما كانت تختار له، نظرا لعدة عوامل وشروط يجب أن تتوفر فيه:

أولها: الإخلاص للثورة.

ثانيها: الدراية بالفتوى وأحكام الشريعة الإسلامية.[1]

ثالثها: المشهود له بحسن السيرة والسلوك، والاستقامة الخلقية.

رابعها: التجرد والنزاهة والحياد، وأن تظهر عليه مظاهر الإنصاف.

خامسها: فهم الأمور، والإلمام بواقع وأحوال الناس.

وإدارة الناحية هي التي تقترحهم، وتقوم بتعينهم إدراة المنطقة، وتملك حق العزل لهم، ويعملون تحت إشراف إدارة الناحية، وإدارة القسم، وهم مسؤولون أمامها.[2]

أما اختصاصات "لجنة العدل"، فإن لها القدرة والكفاءة لتحكم في كل المشاكل والخصومات والجنح والجرائم التي تهم المواطنين المدنيين في جهات القسم، فلها أن تحكم في قضايا: الزواج، الطلاق، الكفالة، والبيع والشراء، والقروض والعقارات والممتلكات، والعمال، والسرقة والزنا، والضرب والجرح، فيما عدا جرائم القتل والخيانة للقضية الوطنية، فإنها من اختصاص المحاكم العسكرية.

1- لأنه يحكم بالشريعة الإسلامية، لذلك في نهاية سنة 1956، أكثر من (150) طالبا جزائريا من خريجي معاهد الحقوق في الجامعات الفرنسية آنذاك، والذين كان لهم دور كبير في إضراب الطلبة الشهير، لم نعثر على أحد منهم مارس وظيفة القضاء إبان الثورة المباركة، لأنهم درسوا القوانين الوضعية، وغير ملمين بأحكام الشريعة الإسلامية، بينما محاكم الثورة تحكم بالشريعة الإسلامية، لذلك نجد أغلب الذين مارسوا القضاء أثناء الثورة من خريجي المعاهد الإسلامية كالزيتونة، ومعهد ابن باديس، ومدارس التعليم العربي الحر، والزوايا ... إلخ، أنظر: جمال يحياوي، مرجع سابق، ص: 121.

2- علي كافي، مرجع سابق، ص: 147.

ويلاحظ بأن عدد القضايا التي كانت تعرض على لجان العدل من طرف المواطنين قليلة، وذلك للأسباب التالية[1]:

أولا: اقتناع الظالم مسبقا أنه لن ينجح في دعواه مهما حاول الغش والتدليس، وقد لا يفلت من العقاب.

ثانيا: العدالة حرة في أحكامها، ولا يحق لأي كان أن يتدخل في شؤونها مهما كانت رتبته.

ثالثا: الأحكام القضائية غير قابلة للطعن.

رابعا : المنازعات المتعلقة بالعقار، والشبيهة به، التي تتطلب وثائق ومستندات -الأدلة- يؤجل الفصل فيها حتى الإستقلال.

وقد حدد القرار السالف الذكر، وكذا التعليمات والمناشير التي جاءت بعده[2] طريقة عمل (لجنة العدل) وكيفية إجراء المحاكمات، وأنها ملزمة بإجراء محاكمة لكل شكوى تصلها، بل حتى ولو لم تصلها شكوى، وسمعت بوقوع جريمة، وتستند في عملها إلى محاضر السماع التي تعدها الشرطة، أو الدرك، وإلى شهادة الشهود، والسماع للأطراف المتنازعة، ثم تصدر حكمها.

وفي جميع الحالات، فإن أحكام (لجنة العدل) ينبغي أن تكون ملتزمة بقاعدة الشرع الإسلامي، وأن تكون أحكامها تنفذ فورا، وأن جميع الغرامات المحكوم بها تدخل لخزينة الثورة. وأن اللجنة ملزمة بإعداد تقرير شهري مفصل، يتضمن وجوبا عدد القضايا المعروضة، ونوعها، وعدد المفصول فيها، والمؤجلة، مرفق بتقرير مالي لمداخيل اللجنة، يقدم إلى رئيس الناحية[3].

1- إبراهيم راس العين، مذكرات مجاهد، دار الألمعية، قسنطينة، ط3،2013، ص: 56.

2- أنظر: منشور صادر عن الناحية رقم: 03، عن طريقة عمل اللجنة الشرعية وإصدار أحكامها.

3- أنظر: نموذج عن التقرير المالي ، (2133) الخاص بشهر أفريل 1958م.

والجدير بالذكر، أن أحكام اللجان تعتبر نهائية، وغير قابلة للاستئناف، كما أن المتهم كانت تتاح له الفرصة الدفاع عن نفسه أو اختيار من يدافع عنه[1].

نماذج من لجان العدل على مستوى منطقة جيجل:

ومن أبرز لجان العدل على مستوى منطقة جيجل، التابعة إداريا وتاريخيا إلى الولاية التاريخية الثانية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- على مستوى الطاهير:

تولى هذه المهام، في منطقة الطاهير التي كانت تخضع إلى القسم الأول، ثم خضعت فيما بعد إلى القسم الثاني ثم أخيرا إلى القسم الخامس من الناحية الثانية، المنطقة الأولى، الولاية الثانية، المجاهدون والشهداء الآتية أسماؤهم[2]:

- بوتسطة محمود، رئيسا للجنة، شهيد[3]
- ضربان رابح، عضوا [4]
- سيساوي أحمد الشريف، عضوا [5]

1- علي كافي، المرجع نفسه، ص: 148.

2- عبد الحميد سرحان وآخران، تاريخ بلدية الطاهير 1954م-1962م، دار الخلدونية، الجزائر: 2011، ص: 84-85-108-109.

3- بوتسطة محمود، من مواليد 03 أفريل1925م بالشقفة، التحق بالثورة سنة 1956م، واستشهد سنة 1960م.

4- ضربان رابح، من مواليد 24 أكتوبر 1924م بالطاهير، درس بمعهد ابن باديس، ثم الزيتونة، انقطع عن الدراسة بعد حصوله على الأهلية سنة 1957م، والتحق بالثورة.

5- سيساوي أحمد الشريف، من مواليد 29 نوفمبر1930م، بالطاهير، تخرج من الزيتونة بشهادة الأهلية سنة 1952م، وانقطع، التحق بجيش التحرير سنة 1956 إلى 1962م.

- يسعد صالح، عضوا [1]
- مكيرش الدراجي، عضو، شهيد[2].

وقد واصلت اللجنة نشاطها في فض النزاعات بين المواطنين إلى غاية نهاية الثورة في 1962م، وتجدر الإشارة إلى أن رئاسة اللجنة تداول عليها، كل من: الشهيد بونسطة محمود ثم المجاهد ضربان رابح، أما مكان نشاط اللجنة فهي الدواوير التالية: دوار جنجن، دوار تازية، دوار القلعة، دوار بني سيار.

- **على مستوى الميلية:**

تولى مهام لجنة العدل، في القسم الثاني، الذي تحول فيما بعد إلى القسم الرابع، من الناحية الأولى، المنطقة الثانية، الولاية الثانية، المجاهدون والشهداء الآتية أسماؤهم:

- بوشعيب محمد الصغير، المدعو لخضر بن عتيق، رئيسا [3]
- بوزعموش سعد، عضوا [4] والذي أصبح رئيسا للجنة بعد ترقية بوشعيب محمد الصغير.
- بلعابد سعيد، عضوا [1]

1- يسعد صالح، من مواليد 30 نوفمبر1918 بوجانة، درس بالزاوية الحملاوية، ثم الكتانية بقسنطينة، تصدر للإمامة والتعليم والفتوى، والتحق بالثورة، فكان عضوا بلجنة العدل، بعد الإستقلال عمل بمحكمة جيجل، توفي بالطاهير في 1999/06/16م.

2- الدراجي مكيرش، من مواليد 24 افريل 1927 بالطاهير، التحق بالثورة سنة 1956، واستشهد سنة 1960م.

3- بوشعيب محمد الصغير، المدعو لخضر بن عتيق، من مواليد 1914/10/01م، بالميلية، التحق بجيش التحرير الوطني في : 1955/09/04م، شارك في العديد من المعارك.

4- بوزعموش سعد بن محمد، من مواليد 1918/04/28م، بالميلية، درس بجامع الزيتونة وتحصل على الأهلية سنة 1939م، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1955م إلى 1962م، توفي يوم : 1990/08/07م.

- مصران محمد، عضوا [2]

- جغادر علي، عضوا [3]

وكان اختصاصها ومكان عملها هو أحياء مدينة الميلية، وضواحيها أما الأعضاء: موات محمد، علاوة عنصل المدعو بن جاب الله، زعيتر محمد، لبحور محمد، فقد كانوا أعضاء بلجنة العدل بالميلية، ثم خرجوا منها حسب تصريحات مجاهدي المنطقة[4].

- **على مستوى السطارة:**

تولى مهام لجنة العدل، في القسم الأول، الناحية الثانية، المنطقة الثانية، الولاية الثانية، اللجنة المتكونة من رئيس وأربعة أعضاء معه، وهم :

- بلقاسم لبعيلي، رئيسًا، شهيد[5]

- عبد الله مخناش، عضوا [6]، وبعد استشهاده عوضه أحسن بودماغ[7]

1- بلعابد سعيد بن عمار، من مواليد 1925/07/15 بالميلية، التحق بالثورة سنة 1955م إلى 1962م.

2- مصران محمد، من مواليد 18 أوت 1928م بالعنصر، التحق بالثورة عضوًا في جيش التحرير الوطني من سنة 1955م إلى 1962.

3- جغادر علي، مجاهد.

4- حسب تصريحات المجاهدين: غبيبس عبد الله، دميغة عبد الله، علي بوداري، عمر شبدخ ..إلخ.

5- بلقاسم لبعيلي، من مواليد 22 ماي 1933م، بالسطارة، وبها حفظ القرآن ثم التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1955م، سقط شهيدا في 1959م.

6- عبد الله مخناش، من مواليد 15 نوفمبر 1919م، ببني حي، بلدية سيدي معروف، بعد حفظه للقرآن، تولى تحفيظه بمسقط رأسه، التحق بالثورة سنة 1955م، إلى أن سقط شهيدا 1960/08/06م .

7- أحسن بودماغ، من مواليد 1923م بالسطارة، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1956م، إلى 1962م، توفي في 29 أفريل 2009م.

- زطال مسعود، عضوا، شهيد[1] (4)
- براشن حمدان، عضوا، شهيد[2] (5)
- سعد عابد، عضوا [3] (6) .

أما مكان نشاط اللجنة، فكانوا يتنقلون بين الدواوير والمشاتي: بني صبيح، بني تليلان، أولاد مبارك، الدرامة، القفش، بني حي، بوشارف، بوشميسة، وكلهم استشهدوا إلا سعد العابد، وأحسن بودماغ، فقد بقوا على قيد الحياة إلى الإستقلال[4].

- **على مستوى العنصر:**

تولى هذه المهام في القسم الثالث، ثم تحول إلى القسم الثاني، من الناحية الأولى، المنطقة الثانية، من الولاية الثانية، المجاهدون والشهداء الآتية أسماؤهم:

- مسعود شعراوي، رئيسا للجنة[5]
- علي بن الشريف، عضوا [1]

1- زطال مسعود، من مواليد 1898م بالميلية، التحق بجيش التحرير الوطني 1957م، سقط شهيدا في أفريل 1960م.

2- براشن حمدان، حفظ القرآن على يد الشيخ (ساسي لحمر)، مدرس التعليم القرآني والصلح بين الناس، ثم عين عضوا في لجنة العدل حتى استشهاده.

3- سعد عابد، من مواليد 1932م، بني تليلان، حفظ القرآن ثم أصبح معلما، التحق بالثورة سنة 1955م، وسجن من 1959م إلى 1962م، توفي في 2013/11/04م.

4- شهادات مجاهدين قسمة المجاهدين لبلدية السطارة: صالح بوزق، كمال رابح، زطال علي ...إلخ

5- مسعود شعراوي، من مواليد 1904م، بالعنصر، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1954م إلى 1962م، أصيب في معركة مع العدو الفرنسي سنة 1959م.

- محمد الصالح درويش المدعو العربي، عضوا (2)
- صالح بن داكور، عضوا (3)
- مسعود بولصباع، عضوا (4)

وكان اختصاص هذه اللجنة يشمل دواوير: أولاد يحي، تامنجر، المسيد، أم غريون، تايلمام، حيان، الجناح، وقد بدأت اللجنة عملها سنة 1957م، وأغلب القضايا المطروحة عليها تتعلق بدعاوى: الجروح، الحقوق الزوجية، الطلاق، الزنا، الأرسام، الزيتون، الأراضي، الإرث والشراكة(5).

- على مستوى أولاد يحيى خدروش (بني خطاب):

تولى مهمة لجنة العدل، في القسم الأول، من الناحية الأولى، المنطقة الثانية، للولاية التاريخية الثانية، التي تنتمي اليها منطقة بني خطاب الشهداء والمجاهدون الآتية أسماؤهم:

1- علي بن الشريف زغيوة، من مواليد الميلية تحصل على الأهلية سنة 1951م، التحصيل سنة 1957م بجامع الزيتونة، ثم انقطع عن الدراسة والتحق بالثورة.

2- محمد الصالح درويش المدعو العربي، من مواليد 21 أفريل 1939م بالعنصر، التحق بالثورة عضوًا في جيش التحرير الوطني في 11 جوان 1956م إلى 1962م.

3- صالح بن داكور، من مواليد 1911م بالميلية، التحق بجيش التحرير الوطني 1954م إلى 1962م، مجروح سنة 1959م.

4- مسعود بولصباع، من مواليد 08 نوفمبر 1929م، بالميلية، التحق بجيش التحرير الوطني من 1955م إلى 1962.

5- سجل الأحكام للجنة العدل، بالقسم 3، ناحية الميلية، المنطقة الثانية، الولاية الثانية، مكتوب بخط اليد، تم العثور عليه بقسمة المجاهدين، ببلدية العنصر.

- محمد الزاهي، رئيسا للجنة، شهيد[1]
- رابح غيوة، عضوا [2]
- بولعناني علاوة بن رابح، عضوا [3]
- بوقطوشة مسعود، عضوا [4]
- محمد الصالح، عضوا [5]

وكان اختصاص هذه اللجنة ومكان عملها يشمل الأماكن التالية : أولاد رابح، سيدي معروف، أولاد علي، أولاد يحي، بني هارون، الشيقارة، سيدي مروان[6]

- على مستوى جيجل:

تولى مهمة لجنة العدل، في القسم الرابع، من الناحية الثانية، المنطقة الأولى، الولاية التاريخية الثانية، التي تنتمي إليها منطقة جيجل، المجاهدون والشهداء الآتية أسماؤهم:

- محمد خلاني، المدعو بن تشولاك، رئيسا للجنة[1]

1- محمد الزاهي، من مواليد 1904/10/14م بالعنصر، متخرج من جامعة الزيتونة بشهادة العالمية، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1957م واستشهد في 1959م

2- رابح غيوة، من مواليد 1919/11/17م بالميلية، التحق بالثورة عضوًا في جيش التحرير الوطني منذ سنة 1955م، أصيب في معركة مع العدو سنة 1961م .

3- بولعناني علاوة بن رابح، من مواليد 1932بالميلية، تحصل على شهادة الأهلية بجامع الزيتونة سنة 1954م، وانقطع لالتحاقه بالثورة، استشهد في سنة 1961م .

4- بوقطوشة مسعود، مجاهد.

5- محمد الصالح، مجاهد.

6- شهادات مجاهدي قسمة ناحية سيدي معروف، مراسلة مندوب المجاهدين لناحية سيدي معروف، السيد محمد مروش، رقم :04 مؤرخ في :2016/02/04.

- زرماني رابح، عضوا [2]
- شكيرن أحسن، المدعو ابن شكيرو، عضوا [3]
- مسعود بوسري، عضوا [4]
- عضو آخر

كان اختصاص هذه اللجنة ومكان عملها يشمل الأماكن التالية: أحياء مدينة جيجل، وضواحيها من وادي كيسير غربا إلى مزغيطن والحدادة، إلى قاوس وبني أحمد[5]

- **على مستوى زيامة منصورية :**

فقد تولى مهمة لجنة العدل، في القسم الأول، من الناحية الأولى، المنطقة الأولى، الولاية الثانية، الشهداء والمجاهدون، الآتية أسماؤهم:

- عربيد علي، رئيسًا، وهو شهيد[6]

1- محمد خلافي بن رابح، من مواليد 1933/02/02 بجيجل، إلتحق بالمنطقة المدنية لجبهة التحرير الوطني سنة 1955م إلى تاريخ استشهاده في 1958م .

2- زرماني رابح بن فرحات، من مواليد 18جانفي1928م، حفظ القرآن ثم درس بجامع الزيتونة، وانقطع عن الدراسة في جوان 1953م.

3- شكيرن أحسن، مجاهد.

4- مسعود بوسري، من مواليد 1921/10/20م بتاكسنة، عضو جيش التحرير الوطني منذ سنة 1956م، إلى 1962م .

5- Ali **BOUDJEDIR**, dans une cercle de feu, éditions Awrak Thakafia, Jijel,.2013, P36

6- عربيد علي، المدعو سي علي، من مواليد 1923م بمشتى تيمرجان، درس بالمدرسة الفرنسية، ثم إلتحق بالمدرسة القرآنية فحفظ القرآن، ثم أصبح معلما، انخرط في صفوف حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري

285/377

- محمد الصالح قاوس، عضوا (1)
- مصطفى شكيرو، عضوا (2)
- وعضوان آخران

وكان اختصاص هذه اللجنة يشمل المناطق التالية: العوانة، زيامة منصورية، سوق الإثنين، خراطة (الجنوب الشرقي)، بابور، الدهامشة إلى حدود شلغوم العيد.

خصائص ومميزات القضاء أبان الثورة التحريرية:

عرف القضاء إبان الثورة التحريرية المباركة بخصائص ومميزات، لعل من أهمها:

أنه قضاء متنقل:

فلم يكن للقضاء مقر معين، ولم توجد في الثورة مؤسسة قائمة تسمى "محكمة"، فالمكان غالبا يكون سريا، وكانت أغلب المحاكمات تجري إما في المساجد، أو في البيوت، وفي أحياء كثيرة تجري في الغابات، أو تحت ظل شجرة(3).

ويذكر إبراهيم رأس العين في مذكراته أن اللجنة الشرعية في الناحية الثالثة، كانت تجتمع بطريقة دورية، أي لم يكن هناك تاريخ معين أسبوعي أو شهري، او نصف شهري، كان الاجتماع دوريا،

الرس، بن عباس، وفي 1956م التحق بالثورة وتقلد عدة مناصب، فمن 1956م إلى 1957م كان رئيسا للدوار، ومن 1957م إلى 1961م شغل منصب رئيس اللجنة الشرعية، سقط شهيدا في : 21 أكتوبر 1961م في معركة دامية بجبل حمزة بالعوانة، أسقط فيها المجاهدون طائرة حربية فرنسية.

1- محمد الصالح قاوس، من مواليد 08 ماي 1939م بقاوس، كان عضو جيش التحرير الوطني منذ 1958م استشهد سنة 1960م.

2- مصطفى شكيرو، مجاهد.

3- جمال بحماوي، المرجع السابق، ص :117.

وكان يعقد ليلا، وفي بعض الأوقات يقع التمويه في مقر الاجتماع، مثلا قد يستدعى المتخاصمين على مكان ويذهب رجال الدرك إلى هناك ليأخذوا المتخاصمين أو المتنازعين إلى مكان آخر حيث تعقد الجلسة، وهذا حفاظا على سرية المكان، وأمن العملية[1].

أنه متعدد الوظائف:

فالقضاء في الثورة كان متعدد الوظائف، فالقاضي لم يكن مثلما هو الحال عندنا قاضيا فقط، بل كان يمارس وظائف شتى، فهو قاض للأحوال الشخصية، يزوج ويطلق، ويمارس التوثيق فهو "موثق"، ويقوم بالتنفيذ السريع، فهو "محضر قضائي"، وهو معلم يشرف على التعليم في العديد من النواحي، ويتولى الإمامة وهو من كان يصدر الفتوى، وأكثر من ذلك كان يقوم بالتوعية السياسية في أوساط الشعب والمجاهدين، وهو مراقب مالي يقوم بجمع الزكاة[2].

أنه قضاء متعدد التسميات:

فنظرا لعدم وجود هيكل خاص بالقضاة في البداية، فقد ظهر القضاء، ولكن بتسميات متعددة ومختلفة فالقاضي في بعض المناطق، يسمى (القاضي)، وفي بعض المناطق الأخرى يسمى "اللجنة الشرعية"، كما هو الحال بالنسبة للولاية التاريخية الثانية وفي مناطق أخرى يدعونه "لجنة العدل"، وفي مناطق أخرى كانوا يدعونه "اللجنة الخماسية".

أنه قضاء مكتوب:

فمن مميزات القضاء إبان الثورة هو ترسيخ مبدأ الكتابة والإمضاء، وفي كثير من الحالات استعمال "البصمة" كوسيلة من وسائل الإثبات، ويمكن ذكر بعض العقود المكتوبة التي كان يحررها قضاة الثورة، على سبيل المثال لا الحصر: عقود الزواج، عقود البيع، الوصية، القسمة، عقود الطلاق، الصلح، إيجار العقارات الفلاحية، الكفالة، عقود الحبس، والهبة، وعقود الوكالة، وشهادة

1- إبراهيم رأس العين، المرجع السابق، ص:55.

2- جمال يحياوي، المرجع السابق، ص :119.

الشهود.. الخ، وقد تم اعتماد كل العقود التي حررها قضاة الثورة التحررية المباركة بعد الاستقلال من طرف المحاكم[1].

أنه قضاء شرعي:

فمن مميزات القضاء أثناء الثورة هو الاعتماد على الشريعة الإسلامية، التي كانت هي المصدر الأول في إصدار الأحكام (القرآن والسنة، واجتهادات المذهب المالكي)، بالإضافة إلى التعليمات والقرارات التي تصدرها الثورة من حين لآخر، والتي كانت هي الأخرى بمثابة تشريع وأوامر يجب تطبيقها. وهذه الميزة تنسحب حتى على طبيعة العقوبات المطبقة، والمستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية، والمتمثلة خصوصا في: القتل، والجلد، والتعزير بغرامات مالية مختلفة، وأغلب العقوبات التي كانت تصدر من طرف "اللجان الشرعية" هي الغرامات المالية، أما السجن فلا وجود له إطلاقا في الولاية الثانية[2].

أنه قضاء نافذ منفذ:

فالقضاء إبان الثورة يتميز بالسرعة في إصدار الأحكام، والسرعة في تنفيذها كذلك، فكثير من القضايا كانت مطروحة على المحاكم الاستدمارية ظلت تراوح مكانها لعشرات السنين، بينما وجدت الحل مع قاضي الثورة التحريرية في جلسة خفيفة، ومن طرف قاض يحمل وريقات في محفظته فقط، ولا سيما تلك المتعلقة بالصراع على الأراضي والأرسام، والملكية العقارية، وحتى الطعن في الأحكام أو الإستئناف – في لغة العدالة اليوم – إلى جهات أخرى أعلى، غير مسموح به، وغير موجود في هذه الفترة.[3]

أنه قضاء مستقل:

1- الطاهر ملاخسو، التوثيق في ظل الاحتلال الفرنسي منذ سنة 1830-1962 ضمن كتاب: القضاء إبان الثورة، المرجع السابق، ص :24.

2- الخضر بوالطين، شهادة ضمن كتاب: القضاء إبان الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص: 247.

3- مزهود (الصادق)، المرجع السابق، ص 336

فالقاضي إبان الثورة كان هدفه إحقاق الحق، وترجيح ميزان العدل، فلا يحكم إلا بضميره، ولايحق لأحد أن يلتجئ إلى الوساطة، بل لايحق له الإلتجاء إلى الدفاع سواء كان هذا في شكل هيئة أو شخص محامي، وأن المتقاضي يسمح له بالدفاع عن نفسه فقط، وبكل حرية.

كما أن اللجوء إلى أطراف خارجية للضغط على القاضي، أو تغليب طرف على آخر يعد جريمة في حد ذاته، وأن الشخص المتدخل يمكن اعتباره طرفا يريد تغليط الثورة وخلط أوراقها، وتحييدها عن القسطاس المستقيم، وبالتالي فإن عقوبته سوف تكون أدهى وأمر من عقوبة المخالف الذي تدخل من أجله[1].

ومما يروى في باب استقلال القضاء إبان الثورة[2]، أن مسؤول الناحية صالح بودراع أعطى أمرًا إلى لجنة العدل بإصدار ترخيص بالزواج لامرأة التحقت بالثورة، وهي متزوجة بمغترب لا تدري عنه شيئا، فلما وصل الأمر إلى لجنة العدل، أخذت في التحري فتبين لها أن زوجها ما زال حيا، حسب مراسلات بعث بها، فراسلوا قائد الناحية باستحالة الترخيص لها بالزواج، وهي لاتزال في عصمة رجل، غير مطلق، وغير متوف، فنزل الأمر على القائد كالصاعقة، وتنقل إلى مقر اللجنة، وسأل عمن أفتى بذلك، فأجابه القاضي الشهيد زطال مسعود، نحن جميعا متفقون، والأمر ليس لنا، وإنما هو لكتاب الله، فقال المسؤول: كيف تعصي أمري؟!، فأجابه القاضي: أعصي أمرك وأطيع أمر ربي، فهي محرمة على أي أحد مادام زوجها بالحياة ولم يطلقها، فأخرج قائد الناحية مسدسه، وصوبه إلى رأس القاضي وقال: أنت تجادل، سأمحو اسمك من الدنيا، فأجابه القاضي: تهددني بالقتل، اقتل يا ظالم، أقتل يا صوباح، أقتل يا جبان، وأمام إصرار القاضي تراجع المسؤول وغادر المكان. أما القاضي فقد سارع لتحرير استقالته من (لجنة العدل) مادامت غير مستقلة في عملها، وما إن سمع قائد المنطقة: (بلقاسم فنطازي) بالمشكل حتى ذهب إلى الشيخ وأقنعه بالتراجع عن استقالته ووعده بأن تعمل اللجنة حرة، دون تدخل من أحد في قراراتها وأحكامها،

1– مزهود (الصادق)، المرجع السابق، ص 337

2– علي زطال، شهادة مشاهد، مخطوط قيد النشر، ص 28-29-30

وذهب إلى قائد الناحية ولامه، وقد اعترف مسؤول الناحية صالح بوذراع بخطئه، وجاء إلى الشيخ القاضي، وطلب منه العفو والصفح، فتصالحا وتعانقا[1].

أشهر قضاة الثورة في منطقة جيجل:

ومن أبرز الشخصيات المجاهدين أو الشهداء، الذين تولوا مسؤولية القضاء في المنطقة إبان الثورة التحريرية المباركة نذكر:

1/ القاضي الشهيد محمد الزاهي:

من مواليد 1904/10/17م، بقرية أزيار العنصر، أتم حفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم الدينية والعربية بمسقط رأسه على يد محمد حماني، ثم انتقل إلى ميلة، ومنها إلى جامع الزيتونة بتونس، حيث حصل على شهادة "العالمية" عام 1932م، وهي أعلى شهادة يحصل عليها الطالب في ذلك الوقت، انخرط في الحركة الإصلاحية فاعتمدته ج-ع-م-ج بمدينة جحوط، ثم انتدبته لفرنسا لخدمة الجالية الجزائرية سنة 1937م، وبعد عودته انضم إلى أساتذة معهد ابن باديس بقسنطينة.

وبعد انطلاق الثورة التحق بها، وكان رئيس لجنة العدل (بني خطاب) كما كلف بتنظيم لجان العدل في المنطقة الأولى ثم الثانية. استشهد الشيخ العلامة القاضي محمد الزاهي في معركة زبالة بمنطقة (أولاد علي) في 27 و28 فيفري 1960م. وتكريما له وتخليدا لنضاله وجهاده، أطلقت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف اسمه على المسجد المركزي لبلدية العنصر، وأطلقت وزارة الثقافة اسمه على المكتبة البلدية المحلية.

2/ القاضي الشهيد مسعود زطال:

1- مما يروى أيضا، إن قاضيا بنواحي الميلية، المنطقة الثانية من الولاية الثانية، لوحظ عليه إنه كلما جاءته قضية طلاق، ينظر إلى تلك المرأة، إن كانت جميلة يطلقها في الحين وإن كانت غير جميلة يرفض تطليقها، فسئل لماذا؟ فقال: إن هذه الجميلة تجد كثيرا يتزوجون بها، أما القبيحة المسكينة فإنها ستبقى عالة على المجتمع، أنظر: الخضر بوالطمين: القضاء إبان الثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص: 248.

ولد في سنة 1898م، بدوار أولاد مبارك، بنواحي الميلية، درس على يد العلامة أحمد بن دويدة، ثم على يد ابن باديس بقسنطينة، وبعد تخرجه مارس التعليم القرآني (بتاسقيف) ثم التعليم والإمامة بجامع ابن النجار (القرارم) ثم في (دوار أولاد علي)، ثم عمل مراقبا عاما بمدرسة محمد خطاب بالميلية، والتي كانت فرعا لمعهد ابن باديس قسنطينة، وبعد انطلاق الثورة انخرط فيها سنة 1957م، وشكل في (لجنة العدل) وكان عمله بالقسم الأول، الناحية الثانية، المنطقة الثانية، الولاية التاريخية الثانية.

استمر في عملية قاضيًا بلجنة العدل الثورية إلى أن ألقي عليه القبض من طرف المستعمر الفرنسي وقتل رميًا بالرصاص سنة 1960م.

كانت للشيخ أراء ومواقف منها رأيه في صوم رمضان للمجاهدين فهو رأى بأن الصيام واجب، ويرخص الإفطار عندما يكون هناك تعب وعناء كبير فقط، ورأيه هذا مخالف لما أمرت به الثورة، وهو وجوب الإفطار على المجاهدين.[1]

3/ القاضي المجاهد صالح يسعد:

ولد القاضي المجاهد صالح يسعد بتاريخ 30 نوفمبر 1918م بالشحنة جيجل، أتم حفظ القرآن بالزاوية الحملاوية، ثم انتقل إلى معهد الكتانية بقسنطينة، ومنه إلى جامع الزيتونة بتونس حيث تخرج منه بشهادة الأهلية عام 1951م، منذ تخرجه أصبح يتصدر الفتوى والتعليم وإمامة المصلين، واختير إبان الثورة التحريرية عضوا ب (لجنة العدل) التي كانت تتشكل من (محمود بوتسطة، رابح ضربان، صالح يسعد، مكيرشة الدراجي، سيساوي الشريف)، وكان يتفقد المشاتي للإفتاء والتوعية، ويزور الكتاتيب القرآنية، ويقدم الدروس الفقهية، واستمر في مهمته إلى الإستقلال، وبعده اشتغل القاضي المجاهد بمحكمة جيجل وقد توفي بمقر سكنه بالذكارة الطاهير يوم 1999/06/16م.[2]

1- علي زطال، شهادة مشاهد، مخطوط قيد النشر، ص 28-29-30

2- محمود بن حمودة، بحث خاص (مخطوط)، القاضي المجاهد صالح يسعد.

هذه بعض النماذج عن القضاة إبان الثورة التحريرية المباركة، وكل قاض من قسم مختلف كلهم عملوا داخل حدود منطقة جيجل الحالية.

ملاحق البحث:

ملحق رقم (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

جبهة وجيش التحرير الوطني

ولاية شمال قسنطينة

اللّجنة الشرعية للناحية رقم (03)

أعضاؤها خمسة مثقفين فقهاء، وطنيين مخلصين، متحلين بأحسن الخلق، تتولى حل المشاكل الشرعية، والجرائم الأخلاقية.

أولا : تتلقى الشكايات بتقريرها من المجالس الشعبية بواسطة مسؤولي القسم.

ثانيا : لتعتمد على الحكم بالوثائق الصحيحة للاصل، وبالشهود العدول، وباليمين الشرعي.

ثالثا : وتراعي حق الفرد، وحق الجماعة، وحق الشعب، في الحال والإستقبال في كل ما يعرض عليها، بالفصل، وبالعدل، بدون مماطلة ولاتراخي.

رابعا : التأديب.

التأديب في حق الفرد: يكون برد المظالم مع خطية مالية بسيطة.

التأديب في حق الجماعة: يكون بالخطية المرجاة التنقيد وبالسوط.

التأديب في حق الشعب: يكون بالخطية المالية وبالسوط.

خامسا : فيما يخص الزنا، من المعقول أن نتابع فيه حكم الله، وبما أن المعروف عند الكثير الجهل بالشريعة، ولهذا يتحتم علينا أن نتابع فيه العرف والمعقول حسب الزمان، فالحكم يكون قاسي على الناس الذين يفهمون أكثر من سواهم.

سادسا: ليأخذ المجلس قيمته التوازنية، قراراته العالية تدور على أعضائه الخمسة والرئاسة الشرفية يتولاها أحد معين وحماية المجلس تكون بحضور شرطيان، ولاحق لأحد من أعضائه بالغياب أو التخلف، إلا لعذر قاهر، وبرخصة من رئيس المجلس الدائم .

سابعا: يقدم تقرير، بفصل في القضايا التي عرضت، وعدد المفصول منها، مع الملاحظة عن نوعها، وتقرير مالي في كل شهر إلى رئيس الناحية.

المستشار العام للناحية .

ملحق رقم (2)

تفصيل مداخيل لجان العدل لشهر فيفري 1962[1]

الناحية : 221 (الميلية)

الأقسام / المصادر	• القسم 1 • بني خطاب		• القسم 2 • بني عائشة		القسم 3 مشاط		القسم 4 الميلية المدينة[2]		المجموع	
	العدد	المال	العدد	المال	العدد	المال	العدد	المال	العدد	المال
عقد نكاح	04	10.000	04	15.000	04	10.000	/	/	12	35.000
نزاع زوجي	/	/	/	/	02	1.000	/	/	02	1.000
طلاق	/	/	01	5 000	01	5.000	/	/	02	10.000
نسخ أحكام	01	250	01	250	01	250	/	/	03	750
غرامة[3]	01	5.000	01	10.00 0	/	/	/	/	02	15.000

1– **علي بوداري:** نافذة على اقتصاد الثورة في الشمال القسنطيني، المرجع السابق،ص: 169

2– لا توجد لجنة عدل بالقسم : 4، والأعمال المختصة بها تقدم إلى لجنة القسم الثالث.

3– غرامة أي عقوبة بالتغريم

294/377

قضايا الثمن[1]	05	2500	02	1000	/	/	/	/	07	3500
المجموع	11	17750	09	31250	08	16250	/	/	28	65250

ملحق رقم (3)

جبهة وجيش التحرير الوطني - ولاية شمال قسنطينة - المنطقة (1) الجهة (3) القسم (3)

لجنة العدل

التقرير الشهري[2]

شهر أفريل 1958م

التقرير العملي:

سجلت : 38 قضية.

المفصول منها: 30، تجدها متفرقة على الدواوير حسب الجدول الأول.

المفصول من التخلفات: 09، تجدها متفرقة على الدواوير حسب الجدول الثاني.

الدواوير	الديون	الرجعة	الطلاق	الجنايات		الأرض	الإرث	المجموع بالدوار
				زنا	جروح			
الشقفة					01		01	02
بو يوسف		01	02					03
بني معمر		01	01					02
الجناح		02						02

1- قضايا بالثمن، حق، أو رسم تسجيل.

2- وثيقة مكتوبة بخط اليد، من مكتب قسمة المجاهدين لبلدية العنصر، جيجل.

حيان	05	01	01	01	01	02	03	14
أم لعربون		01						02
تامنجر	02		02					04
أولاد عواط		01						01
المجموع								30
مجموع التخلفات								09
المجموع العام								39

التقرير المالي، أفريل 1958م:

المال المسجل: 50.500، دخل منه : 21.000

مفصل كما يلي:

- خطينة :20.000 ف

- تركة: 1000 ف

- التسجيل: 27 قصبة، بثمن: 300 ف، أي 8100 ف

- المجموع: 29100 ف

المال المصروف:

- أسباط، العدد: 03، 300 ف

- كراريس، رسائل، سراويل: 1560 ف

- معروف اللجنة : 6000 ف

- المجموع: 10560 ف

- الباقي بعد المصروف: 18540 ف

ملاحظات :

- عند سي مسعود شعراوي : 5000 ف دين عليه للجنة، دفع منها معروفه لشهري: مارس أفريل 1958م، الباقي: 3000 ف

- سي بلقاسم، عليه للجنة: 2910 ف

- مجموع الديون للجنة: 5910 ف

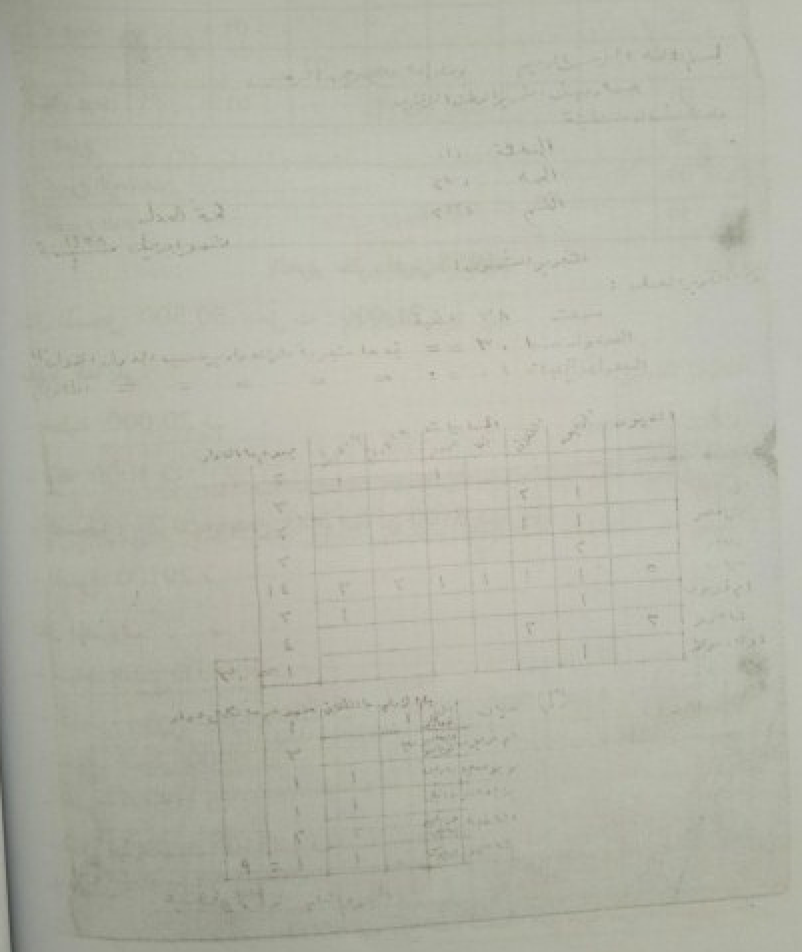

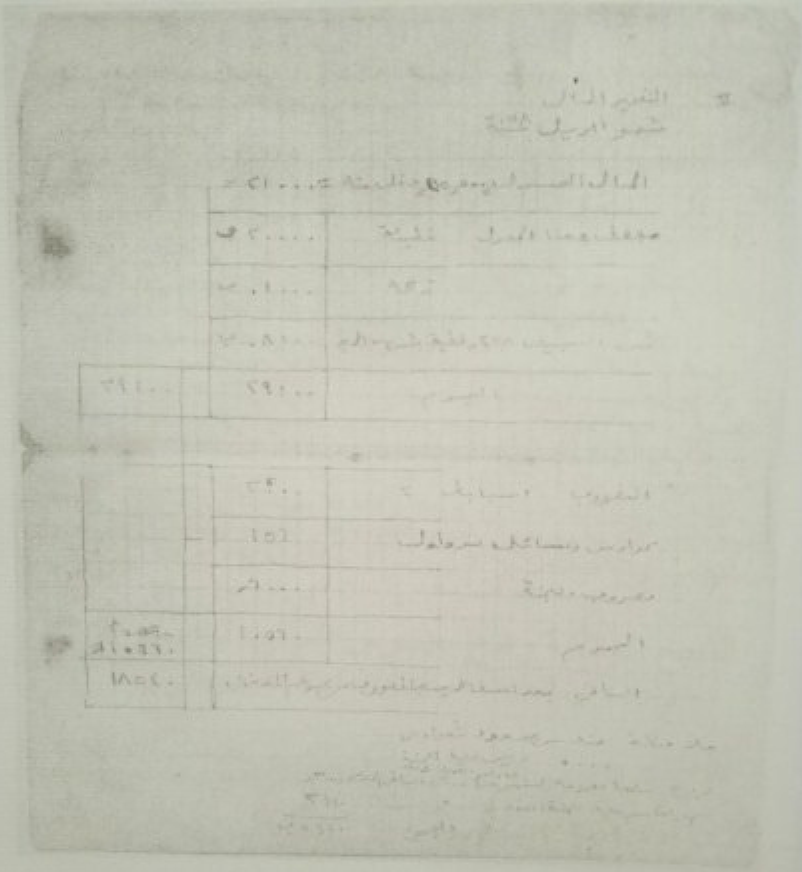
التقرير المالي
المجموع

بسم الله الرحمن الرحيم وبلدة شال قسنطينة جبهة وجيش التحرير الوطني

اللجنة الشرعية للناحية رقم ٣

اعضاؤها خمسة شيخ وفقهاء و كاتب قدير

مختص باعمال التحقيق تتولى حل المشاكل الشرعية والجرائم الاخلاقية

(١) اولا تحقق القضايا تقرير ها من الاعادي الشعبية بواسطة مسؤولي الاقسام

(٢) ثانيا الاعتماد في الحكم بالوثائق الصحيحة الاصل والشهود العدول والاثبات الشرعي

(٣) ثالثا وما هي من الحقوق حق الجماعة وحق الشعب والمال والاستقبال وكل ما يحكم عنها بالحصر و بالعدل بدون مماطلة ولا تراخي

التاديب في حق الافراد يكون بدء المظالم مع الخطية مالية

الجماعة يكون بالخطية المرسات الشديدة و بالعقوبة

الشعب يكون بالخطية المالية و العقوبة

فيما يتعلق الزنا والمعقول تتابع فيه حكم الله وبما أن الدفع فيه الكثير الجهل بالشريعة واهلها يحتم علينا ان نتابع فيه الزجر والعقوبة بحسب الزمان المكان يكون قاسي على الناس الذين يدعمون الشرف سواهم ولياقة المجتمع قيمته الثورية بواسطة العاملين تدور على العطاء خمسة والرئاسة الشرعية يكون لها احد مختص ومساعدة المجتمعين يكون بحضور شرعيان ولا حق لاحد من العطاء مطالبة او التطلع الا لحقه فقط وبعد مكتب من رئيس المجلس الدائم تقديم تقرير بفصل عن القضاء التي حققت وعدد المفصول فيها مع العلاقة عن نوعها و تقرير مالي في كل شهر الى رئيس الناحية المستشار العام الناحية

أ. شمس الدين بوفنش

جامعة الحاج لخضر باتنة

الشيخ العلاّمة رابح عيسوس الميليّ الجيجلي
- ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية -

إن تعميق البحث في تاريخ الجزائر بصفة عامة وتاريخ الحركة الإصلاحية بصفة خاصة يستوجب البحث في التاريخ الإقليمي، وموضوع هذا الملتقى الوطني الموسوم بـ: "دور علماء مشايخ منطقة جيجل وإسهاماتهم في الحركة الوطنية والثورة التحريرية المباركة يومي 17 و18 فيفري 2016 " يغطي فترة هامة من تاريخ منطقة جيجل المجاهدة، ويعد مساهمة جادة في كتابة تاريخ الجزائر.

إن البحث في هذا الموضوع يهدف إلى البحث عن إسهامات علماء ومشايخ منطقة جيجل في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، ومن ثم تحريك المواقف السياسية والإصلاحية والثقافية

300/377

وحتى العسكرية في المنطقة ومختلف ربوع الوطن. وهذا انطلاقا من اسهاماتهم في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية كرواد في سلك الإمامة والدعوة، وسلك التعليم القرآني ومهام القضاء...الخ. ومن أبرز هؤلاء الشيخ العلامة رابح عيسوس الميلي الجيجلي.

والحق أن مترجمنا ساهم على درب أسلافه وأقرانه من علماء ومشايخ الجزائر الزيتونيين في الحفاظ على هوية الشعب الجزائري، وفي مقدمة هؤلاء الذين سار على دربهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ العلامة أحمد حماني.[1]

ومما لا شك فيه أن الشيخ رابح وكغيره من خريجي الزيتونة ورجالات الحركة الإصلاحية الجزائرية، اتبع مجموعة من القيم والأفكار والمناهج في حياته الخاصة وفي مشواره الدراسي وطوال مسيرته النضالية ضد الاستدمار الفرنسي، أو خلال معركة البناء والتشييد بعد استرجاع السيادة الوطنية وبناء الدولة الجزائرية، فهو من جهة تحمل مشقة الهجرة من مسقط رأسه إلى مدينة قسنطينة ومنها إلى الجامع الأعظم إلى أن تحصل على شهاداته العلمية. ومن جهة ثانية على محاربة الجهل والأمية ومجابهة سياسة التجهيل والفرنسة المتبعة من قبل السلطات الاستدمارية الفرنسية. وفي واحدة أخرى من جبهات القتال عمل على درب أساتذته وأقرانه من رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على محاربة البدع والخرافات التي لصقت بأذهان المسلمين الجزائريين جراء تأثيرات بعض شيوخ الطرقية والزوايا وبإيعاز من الإدارة الاستدمارية الفرنسية.

1- **أحمد حماني**: من مواليد سنة 1915 بدوار تامنجر من بلدية العنصر جيجل، من تلامذة ابن باديس ومن الطلبة الزيتونيين، تحصل من جامع الزيتونة على شهادة العالمية مناضل في صفوف الحركة الإصلاحية، ثم التحق بصفوف الثورة التحريرية، ثم أستاذ معهد الدراسات العربية توفي سنة 1999. لمعلومات اكثر ينظر: **خير الدين** شترة الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1900- 1956، ج3، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص30. **وأحمد حداد**: الجهود الإصلاحية والأعمال الوطنية للشيخ أحمد حماني قبل وبعد استرجاع الإستقلال الوطني، أعمال الملتقى الوطني الثاني 27/26 جوان 2012 حول المرجعية الفقهية والإستقرار الإجتماعي في فكر وفتاوى الشيخ أحمد حماني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2013، ص – ص13 -14.

301/377

ورغم مكوثه بتونس طوال فترة تحصيله العلمي فإن ذلك لم يكن مانعا للارتباط بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فبعد عودته من تونس أصبح من أبرز رجالاتها على مستوى قسنطينة ودوار بني خطاب (أولاد يحيى) مسقط رأسه، وبعد اندلاع الثورة التحريرية انخرط في صفوفها بعد اندلاعها مباشرة وأصبح تحت مراقبة الإدارة الاستدمارية.

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذه المداخلة في الترجمة لعلم من أعلام الحركة الإصلاحية، ورجل ثوري مجاهد يعرف على مستوي قسنطينة بالمجاهدالشهيد عيسوس رابح. وتهدف إشكالية الدراسة إلى معرفة بصمات الرجل في تاريخ الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية خاصة وأنه عايش فترة الاستدمار ثم مرحلة الاستقلال. فمن هو الشيخ رابح عيسوس؟ ما هي أهم أعمال ومواقف الشيخ رابح؟ وماهي أهم الأدوار التي لعبها في تنظيم اللاجئين الجزائريين بالمغرب الأقصى طوال فترة تواجده هناك؟

أولا: التعريف بالشيخ رابح عيسوس (1928م– 1970م):

الشيخ رابح عيسوس الميلاد والنشأة:

ولد الشيخ رابح بن عمار بن الطاهر عيسوس وجوهرة عيسوس بمفترض سنة 1928[1] بقرية الدشرة[2] من دوار بني خطاب بلدية أولاد يحي خدروش دائرة الميلية ولاية جيجل، وينتسب الشيخ رابح إلى عائلة ميسورة الحال، مالكة للأراضي والزرع والماشية، كما يشهد لها بأنها عائلة مقاومة للاحتلال الفرنسي ورافضة لوجوده كغيرها من العائلات التابعة لمختلف دواوير الميلية، التي

1- شهادة الميلاد رقم 01970 الصادرة عن مصالح بلدية أولاد يحي بتاريخ 2016/02/14.

2- تقع قرية الدشرة حاليا في دوار بني خطاب، منطقة أيدال التي تعد من أكبر مشاتي بلدية أولاد يحي خدروش، تبعد عن مقر البلدية بحوالي 06كلم وعن ولاية جيجل بحوالي 75كلم.

كانت في مجملها ترفض التعامل مع الإدارة الاستدمارية ومن ذلك تصريح الوزير المقيم في الجزائر (1956-1958) روبير لاكوست قائلا: "كنت بالأمس في الميلية هذه المنطقة الغير متعاونة مع الإدارة الفرنسية، رغم أن سكانها يعانون من الجوع والفقر والحرمان ويرفضون بأي شكل من الأشكال التعاون معنا.."[1]

نشأ الشيخ رابح في بيئة ريفية قائمة على جني الزيتون ورعي المواشي إضافة إلى مهام الحصاد والدرس. يضاف إلى ذلك الاهتمام بتعليم الأبناء (تعليم قرآني) في الكتاتيب على يد مشايخ المنطقة[2] وفي ذلك يكتب الشيخ أحمد حماني في مذكراته قائلا: "كنا نقرأ القرآن ونعمل حيث نشارك في الحياة بمقدار جهدنا، فإذا خرجنا من الكتاب أعطي لنا قطيع الجديان والخرفان للرعي، وإذا جاءت غلة الزيتون عطلنا القراءة، وشاركنا في أعمال الجمع والالتقاط والعجن، ولما أخذنا ندرك تعلم الصلاة، علمنا والدي رحمه الله فرائضها وسننها وعلمنا رسم القرآن.. شاركنا في رعي قطيع الحيوانات وإطعامها العلف والحصاد والدرس وحراسة الحقول".[3]

توحي بعض شهادات معاصري ومعارف الشيخ رابح أنه عاش في أسرة ميسورة الحال[4] تهتم بالعلم وخاصة التعليم القرآني كما تتسم الأسرة بكونها أسرة محافظة مهتمة بأحوال الشخصية

---

1 - Département de la grande Kabylie: Association des maires de la grande Kabylie visite à Tizi-Ouzou de **M. Robert Lacoste** à l'occasion de la réunion constitutive de l'association, Imp administrative: A.JOYEUX, Tizi-Ouzou, 1958.

2- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس عبد الرحمن، بمنزله بأبدال أولاد يحي، جيجل، يوم 20160125 الساعة 10:00 صباحا.

3- أحمد حماني: وثيقة مرقونة، أرشيف العائلة، نقلا عن: أحمد حداد: مرجع سابق،ص،15.

4- شهادة مكتوبة بخط اليد للشيخ الطاهر بن غالية، يوم السبت 2016/02/07، المصدر. ينظر الملحق المرفق.

الإسلامية والهوية العربية، فمثلا أبوه عمار زار البقاع المقدسة وأصبح يلقب بالحاج عمار، ولا تزال هذه التسمية في الذاكرة الجماعية لأهالي المنطقة إلى يومنا هذا[1].

والحق أن النشأة الريفية لقنت الشيخ رابح وأقرانه من أمثال محمد الصالح ابن عتيق الميليّ الجيجلي[2] علمتهم الصبر والإخلاص في العمل ونقاء السريرة، كما علمتهم الشجاعة والتركيز والاهتمام بكل كبيرة وصغيرة، كما علمتهم الحفاظ على تعاليم دينهم الحنيف. وفي ذلك يقول الشيخ أحمد حماني :" وكانت هذه العزلة فضلٌ من الله على السكان إذ كانوا لا يعرفون عن (الروامة) وشرورهم إلا بالسماع ولا يرون منهم إلا حارس الغابة..." [3]. التنشئة البيئية والحالة المادية الميسورة لعائلة الشيخ رابح، إضافة إلى إصرار أبيه وعمه وكل مشايخه ومعارفه وتشجيعهم له على متابعة الدراسات العليا بقسنطينة وبتونس، كلها عوامل شجعته على طلب العلم في رحلة علمية ارتحل خلالها من دوار بني خطاب مرورا بقسنطينة فتونس فالغرب الجزائري ثم المغرب الأقصى.

مساره العلميّ:

نشأ الشيخ في أسرة محافظة مهتمة بشؤون العلم والتفقه في الدين، وكانت عائلة مترفة وكل أفرادها من أعيان المنطقة شجعته على تلقي العلم في مسقط رأسه حيث عكف على دراسة .

1- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس مسعود ،بمنزله بأبدال أولاد يحي خدروش، جيجل، يوم 2016.01.26، الساعة: 11:00 صباحا.

2- **محمد الصالح ابن عتيق**: من مواليد الميلية تتلمذ على يد الشيخ بن باديس ثم بالزيتونة أين تحصل على شهادة عالمية سنة 1932. ينظر: **عبد الغفور شريف**: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر(1954. 1956) مذكرة ماجيستير، نوقشت بجامعة الجزائر03، قسم إعلام واتصال، الجزائر 2010. 2011، ص، 299.

3- **أحمد حماني**: شهداء علماء معهد بن باديس، والشيخ الصادق حماني، قصر الكتاب 2004، ص: 69. نقلا عن: **أحمد حماد**: مرجع سابق، ص 16.

القرآن والفقه وأصول الدين، على يد مشايخ المنطقة في الكتاب حيث تلقى عنهم تعليمه الأولي والمبادئ الأولى في الفقه والتوحيد علاوة على حفظ القرآن الكريم ومن أشهرهم الشيخ ابن الزروق.[1]

عاش الشيخ رابح فترة ثلاثينيات القرن العشرين وفترة الحرب العالمية الثانية في دوار بني خطاب يتلقى تعليمه الأول ويساعد أفراد عائلته في جميع نشاطاتها اليومية، ونتيجة لتحصيله الدراسي الجيد وسرعة بديهته وميولا ته الواضحة والجياشة لإتباع طريق العلم وتمجيد رجالات علماء الإصلاح الزيتونيين الذين داع صيتهم في مختلف ربوع الجزائر حيث أصبح معهد ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين مدرسة يحلم بها أمثال الشيخ رابح ومن عاصره[2]، خاصة وأن تلك السنوات أصبح فيها الصراع عنيفا بين جمعية العلماء والإدارة الاستدمارية على حد تعبير أحمد حداد.[3]

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت رحلة الشيخ رابح في طلب العلم، حيث هاجر من قريته في طلب العلم وبدأ في متابعة دروسه هناك في بعض الزوايا والكتاتيب كما تلقى دروسا في اللغة العربية وفنونها وأخذ دروسا في الفقه والتوحيد، وكان في كل مرة يزور أسرته بدوار بني خطاب، وبعد التحصيل العلمي الجيد بمدينة قسنطينة التي اشتهرت بتوفر العلم والعلماء أقران وتلامذة العلامة عبد الحميد ابن باديس.[4]حيث أصبح من تلامذة معهد ابن باديس أين تلقى هناك مختلف العلوم كالعربية والتاريخ والفقه والتوحيد وكان شديد التأثر بدروس مشايخ المعهد[5].

بعد إنهاء تعليمه بمدينة قسنطينة قرر عمار عيسوس والد الشيخ رابح وبعد أن أشار عليه أساتذته إرساله لمواصلة الدراسات العليا بجامع الزيتونة بتونس، حيث كان يحضر جميع دروس مشايخ

1- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس مسعود.

2- لمعلومات أكثر حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: ينظر: **عبد الكريم بو الصفصاف**: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931- 1945)، دار البعث، قسنطينة، 1981.

3- **أحمد حداد**: مرجع سابق، ص 18.

4- **الشيخ محمد خير الدين**: مذكرات، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص 157-158.

5- مقابلة شخصية مع ابن عمه الشيخ عيسوس مسعود.

الزيتونة، أين تحصل هناك على شهادة الأهلية، ثم تابع الدراسة وتحصل من جامع الزيتونة على شهادة العالمية [1].

بعد تحصله على شهادة العالمية عاد الشيخ رابح إلى مسقط رأسه، ليقام له حفل بهيج احتفالا بتحصيله العلمي، وبعد ذلك بأشهر اختيرت له فتاة من عائلة (مراجي) تزوجها سنة 1952[2]، مكث الشيخ رابح عيسوس بتونس فترة زمنية معتبرة إلى أن تحصل على شهادة العالمية، إلا أن ذلك لم يكن حائلا بينه وبين الارتباط بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأصبح من الأعضاء الفاعلين فيها ينشط كعلم من أعلام الزيتونة يؤثر في مختلف شرائح المجتمع بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته [3].

بعد عودته من تونس والاحتفال بزواجه وفي إطار نشاطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في وهران ثم تلمسان وصادف ذلك اندلاع الثورة المباركة ثورة الفاتح من نوفمبر1954، ليلتحق من هناك بصفوف الثورة التحريرية المباركة يدرس الطلبة ويبعث فيهم الروح الوطنية، ويعمل على تنقية الدين الإسلامي من الشوائب من جهة، ويعمل في صفوف جبهة وجيش التحرير من جهة ثانية. وبعد حادثة غلق معهد ابن باديس ومطاردة رجال جمعية العلماء المسلمين والحكم على البعض الآخر بالإعدام. أمر باللجوء إلى المغرب الأقصى رفقة عائلته، أين واصل هناك جهوده النضالية ضد الاستدمار الفرنسي كرجل من رجال الحركة الإصلاحية من جهة وكرجل ثوري في صفوف الثورة التحريرية.[4]

1- لم يتوصل الباحث إلى تاريخ حصوله على الشهادة في غياب مصادر كتابية أو شفوية تؤكد ذلك.

2- مقابلة مع ابن عمه عيسوس بلقاسم، يوم 12. 02. 2016، الساعة16:00 مساءا، بمقر مسكنه أولاد يحي خدروش.

3- مقابلة شخصية مع ابنه عيسوس جمال، يوم الثلاثاء، 20160209، بمقر سكنه بقسنطينة، الساعة 11:00 صباحا.

4- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس مسعود.

وبعد الاستقلال عاد من المغرب الأقصى مباشرة إلى مسقط رأسه بدوار أولاد يحي خدروش، أين أقيم له احتفالا كبيرا سمي بـ:"حفل زواج وميلاد الشيخ رابح مرة أخرى" [1]. وعاد بمعية زوجته التي كانت تلقب بـ-لالة فطيمة) وبناته (مليكة) المولودة بمغنية و(جميلة) بالإضافة إلى أولاده (جمال) و(لمين) و(محمد) المولودين بالمغرب الأقصى.

بعد عودته مباشرة عين مدرّسًا بالميلية لمدة قصيرة، ثم عين كأستاذ بمتوسطة بن عبد المالك (حاليا) ليصبح مديرا لها بعد ذلك. ويشهد على ذلك الطاهر بن غالية السائق الذي عمل على ترحيله رفقة عائلته على متن شاحنته من مسقط رأسه إلى قسنطينة[2].

وفاته وأهم آثاره:

توفي الشيخ رابح عيسوس الميلي الجيجلي في شهر أكتوبر 1971 وهو ابن الاثنين والأربعين سنة بعد مرض عضال (مرض القلب)[3] بمقر سكناه في مدينة قسنطينة. حين انتشر خبر وفاته الأليم الذي اهتز له المجتمع القسنطيني "الشيخ رابح عيسوس في ذمة الله"، وأقيمت مراسم الجنازة والعزاء بمقر سكناه، وشيع جثمانه في مسقط رأسه "مقبرة العين المداوية"[4] بحضور الكثير من رفقاء دربه وعلماء خريجي الزيتونة[5].

أما آثاره، فيذكر لنا أحد أقاربه أن الشيخ رابح بعد عودته من الزيتونة أحضر معه الكثير من الكتب يصفها بأنها كبيرة الحجم كثيرة الصفحات متعددة الموضوعات، يفوق عددها الثلاثين

1- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس بلقاسم.

2- مقابلة شخصية مع الطاهر بن غالية، يوم السبت 2016.02.07، بمقر سكنه بالعنصر، الساعة 16:00.

3- أغلب الأطباء أرجعوا سبب مرضه إلى أيام الثورة التحريرية، أين ألقي عليه القبض على الحدود الجزائرية المغربية، وحكم عليه بالسجن فتلقى ضربة بالرشاش على مستوى القلب: شهادة ابن عمه عيسوس بلقاسم.

4- ينظر الصورة في الملحق المرفق: "قبر الشيخ عيسوس رابح".

5- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس عبد الرحمن.

كتابا إضافة إلى مجموعة من الشهادات العلمية والرسائل والجرائد والمقالات، كانت محفوظة في بيته لكن مع اندلاع الثورة وتوجه الشيخ رابح إلى الغرب الجزائري في مهام التدريس، قررت عائلته إخفاء تلك الكتب والوثائق في غار"بوطو" وذلك لدواعي أمنية وتجنب الشبهات[1]، والحق أن الشيخ رابح عرف طوال حياته بالوفاء والتواضع كما عرف عنه الزهد والورع، كما اشتهر بالتكتم عن جميع أعماله ولا يحدث كثيرا عن أعماله أو مساره العلمي، كما عرف عنه غزارة العلم والجد والاجتهاد والإخلاص كما كان شديد الصبر.

المؤسسات والمعالم التي حملت اسمه:

في زيارتنا لمدينة قسنطينة وجدنا أن اسم الشيخ العلامة رابح عيسوس لا يزال مخلدا مع أقرانه من الشهداء، وكتب بأحرف من معدن في لائحة أسماء العلماء والشهداء من أقرانه في المكان المعروف في قسنطينة باسم "المونيمو" حيث يلقب بـ: " المجاهد الشهيد عيسوس رابح"[2]، وفي معرض حديثنا مع أقارب الشيخ أكدوا لنا أن هناك مؤسسة علمية أخرى حملت اسم الشيخ رابح عيسوس تقع في منطقة بوالصوف على بعد حوالي (200م) عن محطة نقل المسافرين بوالصوف أمام مركز البريد شارع عبد الحفيظ بوالصوف تحت اسم: " المدرسة الابتدائية الشيخ المجاهد الشهيد رابح عيسوس"[3].

هذا عن شخص الشيخ العلامة رابح عيسوس في مولده نشأته ورحلته في طلب العلم بجامع الزيتونة، فماذا عن دوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية؟ وهذا ما سيأتي.

ثانيا: الشيخ رابح عيسوس ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

1- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس بلقاسم.

2- زيارة ميدانية إلى مدينة قسنطينة : يوم 2016.02.09.

3- زيارة ميدانية إلى المدرسة الابتدائية عيسوس رابح بحي بو الصوف، قسنطينة يوم 2016.02.09.

إن المتبصر في تاريخ وسير تراجم الطلبة الزيتونيين يدرك أن الحركة الإصلاحية الجزائرية[1] ارتبطت ارتباطا وثيقا بجامع الزيتونة لأن تكوين زعماء الإصلاح في الجزائر كان مصدره جامع الزيتونة [2].

ويؤكد الأستاذ أحمد حداد أن البحث في التراجم والأعلام يعد من أهم المواضيع التي تتطلب الدقة والموضوعية في مختلف المعارف والمفاهيم من أجل ضبط أعمال ومسيرة أي شخصية من حيث المبادئ والمواقف هذه الأخيرة التي تعد من المؤثرات الحقيقية في المجتمع، ومن تلك الشخصيات الفاعلة التي يتوجب علينا دراستها وتتبع جهودها لكي تقتفي الأجيال اللاحقة أثرها[3] الشيخ العلامة رابح عيسوس الميلي الجيجلي.

هذا العلم كانت له إسهامات عديدة في الحركة الإصلاحية في الجزائر، من خلال التصدي للبدع والخرافات وإنجاح المشروع الثوري وذلك بتكوين جيلا مثقفا واعيا بأهمية الثورة عن طريق جهود التربية والتعليم. لذلك يعد مترجمنا عالما مصلحا ورجلا ثوريا في داخل الجزائر وخارجها، كما كانت له إسهامات فاعلة في معركة البناء والتشييد معركة بناء الدولة الجزائرية.

ويمكن توضيح ذلك في ستة (06) محاور كبرى:

1) . طالب علم وعالم من علماء الزيتونة.

2) . معلم مرشد ومصلح من رواد جمعية العلماء المسلمين ورجالاتها.

3) . مجاهد في صفوف الثورة التحريرية بالولاية التاريخية الخامسة.

4) . المعاناة في السجن.

5) . لاجئ في المغرب الشقيق (1957م- 1962م).

1- لمعلومات أكثر حول الحركة الإصلاحية في الجزائر ينظر: **علي مراد** في كتابه عن الحركة الإصلاحية.

2- **رابح فلاحي**: جامع الزيتونة الحركة الإصلاحية في الجزائر(1908. 1954)، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة منتوري، قسم التاريخ وعلم الآثار، قسنطينة، السنة الجامعية 2007 2008، ص57 وما بعدها.

3- **أحمد حداد**: الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره 1915. 1998، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة، السنة الجامعية 2007 2008، ص: 03.

309/377

6). ساهم في بناء الدولة الجزائرية في سلك التربية والتعليم [1].

أ) - الشيخ رابح ودوره في الحركة الوطنية:

بعد عودة الشيخ رابح من جامع الزيتونة مباشرة أصبح من الناشطين البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن روادها، وعالم من علمائها المصلحين [2]، والحق أن الشيخ رابح كان يتميز بحنكة ودهاء كبيرين، وكان يقوم بأعمال تربوية ودينية في إطار أداء رسالة جمعية العلماء المسلمين حتى أن جمعية العلماء أصبحت تعتمد عليه وبعض أقرانه في نواحي الميلية، فمثلا كان بن عتيق محل ثقة رئيس جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد بن باديس، حتى أنه عرض عليه فكرة العمل المسلح [3]، كما كان الشيخ رابح محل ثقة وعلى كفاءة عالية في تأدية دوره الإصلاحي على أكمل وجه في نواحي منطقة الميلية، إلا أن استقراره في مسقط رأسه سنوات 1952-1953- 1954 واعظًا ومرشدا صادف أن وقعت جمعية العلماء في أزمتين سنة 1954 [4] الأولى أزمة الانقسام التي كادت أن تعصف بالجمعية، والثانية تتمثل في اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر [5] وموقف جمعية العلماء المسلمين من ذلك.

في ظل هذه الظروف أرسل مترجمنا في مهام التدريس والوعظ والإرشاد إلى الغرب الجزائري، داعيا إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح ومحاربة البدع والخرافات، وكل ما يخالف كتاب الله

1- نبذة تاريخية عن حياة المجاهد الشهيد عيسوس رابح: مدرسة عيسوس رابح، قسنطينة.

2- مقابلة شخصية مع السيد الطاهر بن غالية.

3- **محمد الهادي الحسني**: "الشيخ محمد الصالح ابن عتيق"، الشروق اليومي، العدد الصادر بتاريخ 2016.01.07.

4- **أسعد لهلالي**: الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902- 1993، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسم التاريخ والآثار، السنة الجامعية 2006/2005، ص:81.

5- لمعلومات أكثر: راجع : **أبو القاسم سعد الله**: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 66.

وسنة رسوله، ونستلهم ذلك في تعريف الشيخ خير الدين لجمعية العلماء المسلمين ونشاطاتها قائلا: " وأصول هذه المبادئ هي إحياء الإسلام الصحيح وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي ورجاله الغر الميامين"[1]، ويمكن القول أن الشيخ رابح تبوأ مكانة هامة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وما تنقله إلى الغرب الجزائري إلاّ دليل على ذلك.

ب)- الشيخ رابح ودوره في الثورة التحريرية 1954-1962:

تؤكد مصادر مقربة من الشيخ رابح أن أخباره انقطعت منذ اندلاع الثورة التحريرية إلى غاية وقف إطلاق النار[2]، إلا أن دوره وإسهامه في الثورة التحريرية كان واضحا وذلك على أربع جبهات:

الأولى: مدرسًا بالولاية التاريخية الخامسة (تلمسان).

الثانية: التحاقه بصفوف الثورة التحريرية سنة 1956.

الثالثة: العمل مجاهدًا على الحدود المغربية الجزائرية.

الرابعة: اللجوء إلى المغرب الأقصى سنة 1957[3].

قام مترجمنا بأداء رسالة الجمعية على أكمل وجه في الغرب الجزائري، فكون وأطر من الطلبة الكثيرين، وألهمهم بغزارة علمه واستقامته وأثر في الكثيرين من طلبته الذين التحقوا بصفوف الثورة التحريرية، وهذا الأخير بدوره ألتحق بصفوف الثورة التحريرية، وعمل كمجاهد على المنطقة الحدودية من جهة منطقة مغنية[4]. إلى أن ألقي عليه القبض بعد اكتشاف أمره، وفي تلك الحادثة تلقى ضربة من طرف جندي فرنسي على مستوى قلبه كانت فيما بعد من أسباب وفاته، وتزامن ذلك مع غلق معهد ابن باديس ومطاردة أساتذته والحكم على البعض منهم بالإعدام سنة

1- أسعد فلالي: مرجع سابق، ص 86.

2- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس مسعود.

3- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس بلقاسم.

4- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس مسعود.

1957. مما أجبر الشيخ رابح على اللجوء إلى المغرب الأقصى ليواصل مختلف إسهاماته في خدمة الثورة التحريرية على درب الشيخ محمد خير الدين وغيرهم من رجالات الحركة الإصلاحية، يحشدون الدعم المادي والمعنوي للثورة كل على مستواه وفي حدود استطاعته(1).

وبعد وقف إطلاق النار واستقلال الجزائر، عاد هو وعائلته من المغرب الأقصى مباشرة إلى مسقط رأسه أين أقيم احتفال كبير على شرف عودته وعائلته واعتبروا ذلك ولادة جديدة لمترجمنا رحمة الله عليه . لأنهم كانوا يعتقدون بأنه توفي وزوجته إلا أنهم تفاجئوا بعودتهم، مكث مترجمنا لمدة عامين بمسقط رأسه مدرسًا بإحدى مدارس الميلية، إلى أن تم استدعاؤه للتدريس بقسنطينة بمتوسطة ابن عبد المالك ليصبح بعد مدة قصيرة مديرا لها، ومنح له سكن بجوار المتوسطة ليستقر هناك إلى أن توفاه الأجل بعد مرض عضال(2) فرحم الله الشيخ رابح عيسوس.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول أن العالم المجاهد الشهيد الشيخ رابح عيسوس الميلي الجيجلي، الزاهد العابد والتقي الوَرِع المصلح، من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر ومن الذين ساهمو في محاربة البدع والخرافات، وتنقية الدين من الشوائب وذلك بمحاربة الطرقية الموالية للسلطة الاستدمارية والتي تعد من أجندتها. وهو علم من أعلام الزيتونة الجزائريين الجيجليين الثوريين داخل الوطن وخارجه وسنوات اللجوء في المغرب الأقصى خير دليل على ذلك.

3- مقابلة شخصية مع ابن عمه عيسوس عبد الرحمن.

2- مقابلة شخصية مع الطاهر بن غالية.

312/377

الشيخ رابح عيسوس قبل سنتين من وفاته

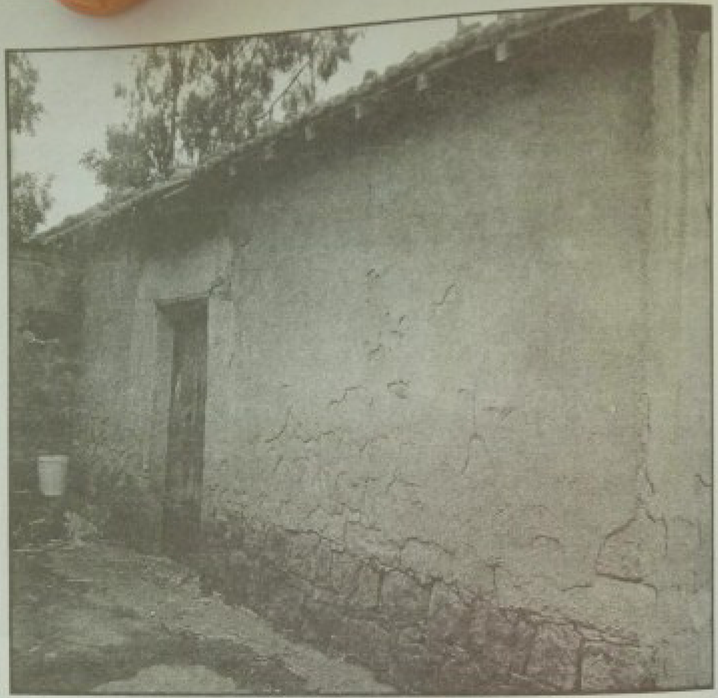

منزل والد الشيخ رابح بأولاد يحي

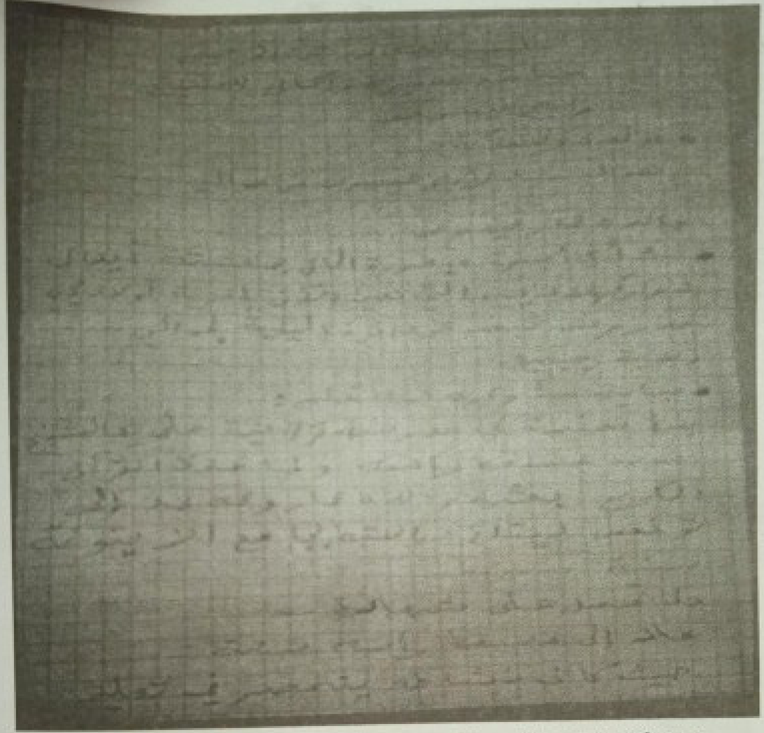

شهادة مكتوبة بخط اليد للشيخ الطاهر بن غالية، يوم السبت 2016/02/07، العنصر

أ. صافية حيمر

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة

شهداء الحركة الإصلاحية

- ودورهم الدعوي والثوري بمنطقة جيجل -

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد كرس الاهداف الاصلاحية الفردية ،وتنظمها ضمن اطار جماعي يهدف الى تحقيق مشروع امة ،واخراجها من بوتقة الجهل والبدع والخرفات وكذا تابعات الاستدمار الفرنسي، الذي حاول بسياسته افراغ المجتمع الجزائري من مقوماته الاساسية .

فهذا ابن باديس رائد الاصلاح في الجزائر ،خلال نصف قرن من حياته كلها القصيرة والمليئة بجلائل الاعمال تمكن من التأسيس لجزائر ما بعده، والذي لم تسعفه الاقدار ان يرى ثمرة جهده ،غير انه استطاع ان يغرس مبادئ الدين والوطنية لدى تلاميذه وهو القائل:

يا نشء انت رجاءنا   وبك الصباح قد اقترب

316/377

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

فكانت الاجيال المواكبة له والمتأثرة بدروسه في مختلف المراحل والمناطق ،خير خلف لخير سلف .إذ كانت منطقة جيجل إحدى الفضاءات التي نشطت بها حركة الجمعية وسعت الى التربية والتعليم ،والوعظ والارشاد.فساهمت في بلورة الحس الوطني الرافض للأجنبي ،هذا المسعى النبيل الذي تجسد في ثورة الفاتح من نوفمبر المظفرة والتي حولت المجتمع الجزائري كافة من مجتمع محكوم عليه بالضعف والهزيمة، الى مجتمع واعي يهدف إلى الحرية والاستقلال.

فما مدى فاعلية المبادئ الاصلاحية لجمعية العلماء المسلمين ؟ ما هو دورها ؟وكيف ساهمت في الثورة التحريرية المجيدة؟

اذن في هذه المداخلة التي جاءت بعنوان :شهداء الحركة الاصلاحية ودورهم الدعوي والثوري بمنطقة جيجل، سأركز على ثلاثة عناصر أساسية هي:

1- حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من الثورة الجزائرية:

برزت الحركة الاصلاحية الجزائرية في شكلها المنظم على يد علماء ومثقفين جزائريين،ذوي التكوين العربي الشرعي المختلط (المحلي، زيتوني، ازهري، ،مدني)،المتأثرين بحركة الاصلاح الاسلامية الحديثة، يتزعمها الامام عبد الحميد ابن باديس فقادهم الى الإصلاح البعيد المدى ،بفضل كفاحه من اجل تحقيق مكاسب ملموسة للمجتمع الجزائري .ففي 5من ماي 1931م تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،التي تبنت في برنامجها اصلاح المجتمع ،وانتشاله من مخلفات البدع والخرافات والطرقية الاستدمارية.اذن فظهور وتطور الحركة الاصلاحية استهدف تحرير الضمائر كمقدمة لإصلاح النظم السياسية والاجتماعية ،بالتالي ساهم بقسط وافر في بعث الروح الوطنية وتبديد وهم الاصلاح الاستدماري وتبرير البديل الثوري ،واعداد اجيال المستقبل واعادة بناء الشخصية الجزائرية .

فقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين ان ترسخ وجودها على امتداد الوطن في كثير من المناطق الريفية انطلاقا من تأسيسها للمساجد والمدارس الحرة.[1] هذه الاخيرة التي كانت احدى وسائل نشاط الجمعية ،والتي كان رجالها وروادها من الذين قدموا خدمات جليلة للثورة الجزائرية ،بدءا من رئيس الجمعية الامام عبد الحميد ابن باديس ،والذي كان يتهيأ للثورة قبل اندلاعها اذ زار الشيخ محمد الصالح بن عتيق سرّا إلى الميلية وسأله :عن مدى استعداد الشعب لها هنا في هذه المنطقة (الميلية) فأجابه :إن رجالنا رجال بارود ،فأمره بالاستعداد والكتمان لكن عاجلته المنية بعد قليل[2]. ونفس هذه الرواية يوريها المجاهد" محمد كشود"(من مواليد 1938م ،ومن تلاميذ معهد ابن باديس الذين انخرطوا في الثورة التحريرية) والذي قصها له وزملائه الشيخ محمد الصالح بن عتيق في لقائه به في احدى المعتقلات وهو معتقل (بوسوي).هي نفس الرواية التي يوردها احمد حماني، مع بعض التفاصيل إذ يقول :"في يوم من الايام انتفض الشيخ محمد الصالح بن عتيق، وأجاد في ليونة وقال :ان جمعية العلماء المسلمين ساهمت في غرس الروح الوطنية في الشعب الجزائري ،وان جمعية العلماء كان لها الفضل في بناء القاعدة من اساسها، وحتى هؤلاء الذين تنكروا لكم وأعلنوا الثورة معظمهم كانوا متأثرين بحركة جمعية العلماء ،وعلى راسهم "مصطفى بن بولعيد "الرئيس الشرفي لمدارس التعليم العربي الحر بباتنة، و"العربي بن مهيدي" خريج جمعية العلماء "بسكرة "وشهاني بشير احد رؤساء الولاية الاولى بعد" مصطفى بن بولعيد "،والذي تربى في حجر عائلة بن باديس .ويضيف محمد كشود : حكى لنا ابن عتيق فقال: "ذات يوم كنت في الميلية فزارني الإمام ابن باديس رفقة "احمد بوشمال" فاعتذر ابن باديس ثم انفرد بي (أي بمحمد الصالح بن عتيق) وقال لي : نحن على عجلة ،لكن قصدتك في امر مهم وسري . نحن نعتزم على ان نعلن الجهاد (وكان ذلك أواخر 1938م) لو اعلنا الجهاد ماذا سيكون موقف هذه المنطقة

1- بشير بلاح: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، دار المعرفة ،الجزائر ،2013، ص ص 18-19-30

2- احمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، دار البعث للنشر، ج2، ص.103

318/377

؟هل تأزرنا ؟قال :"فأجبته بدون تردد: يا شيخنا انت تعرف تاريخ هذه المنطقة قديما وحديثا ،فهي من المناطق التي تكن الحقد الدفين للاستدمار ،وكيف لك انها فضلت ان يكون ابناءها شبه اميين ولم يرضوا ببناء مدارس فرنسية في دواويرهم او مشاتيهم ،كي لا يتعلموا اللغة الفرنسية لانهم يخشون ان تأثر فيهم، حتى ان تلك الدواويرالتي بنيت فيها تلك المدارس فكان عنوة عن اهلها".قال :"فابتهج وعاد من حيث أتى". وقال ايضا (محمد الصالح بن عتيق): "انه في يوم من الايام استدعينا الى قسنطينة ولكن في مجموعة خاصة فانفردت برفيقي وزميلي وقريبي الشيخ "علي مرحوم" فقال لي :كنت محل زيارة لابن باديس، فأوقفه (ابن عتيق اوقف علي مرحوم) قاطعا كلامه :لاتكمل انا أيضا كنت محل زيارته.." ومن ثمة فهم ابن عتيق ان هؤلاء الحاضرين كانوا ممن زارهم الامام ابن باديس وطرح عليهم نفس السؤال، ويكمل كلامه قائلا :التقينا في مكان ما في قسنطينة ففتح ابن باديس النقاش وقال :نحن نعتزم بان نعلن الجهاد على فرنسا لقد حان الوقت . لكن نغتنم الفرصة عندما تعلن فرنسا الحرب على ايطاليا ،هذه الاخيرة التي تعتزم احتلال اثيوبيا نعلن الجهاد ضد فرنسا[1]. فهذا يدل على ان ابن باديس كان يحضر للثورة في صمت وكانت من تصريحاته انه يخشى دفع الامة الىالثورة قبل اكمال الاستعداد ،كما كان يسال تلاميذه الكبار،هل اديتم الخدمة العسكرية ؟ومن اجاب بنعم، ميّزهم عن الاخرين، وصرح لهم:" اننا سنحتاجكم يوما"، ويحثهم على عدم نسيان ما دربوا عليه من اعمال الحرب .بالتالي يتبين لنا ان منطقة جيجل ورجالها المصلحين كانوا ممن امنوا بفكرة اعلان الجهاد ضد فرنسا قبل انطلاقه الفعلي في الفاتح من نوفمبر 1954م[2].

1- شهادة شفوية لمحمد كشود في ملتقى العلامة المصلح (محمد الصالح بن عتيق) الداعية والمجاهد الشخصية النهج والأثر، جيجل يوم 29 ديسمبر 2015م في الساعة 10:59.

2- حداد أحمد، الشيخ احمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية 1915-1998م دار الهدى ،الجزائر 2014.ص.202.

[stamp]

كما انهم شاركوا بإحساسهم بالمصير المشترك وهو الثورة رغم السرية التي كانت تحيط بإعلانها ،فهذا ابن منطقة الميلية المصلح والعلامة محمد الصالح بن عتيق ،يقول في مذكراته (احداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية):"كانت هذه السنة –يقصد سنة 1954– تتمخض عن حادث عظيم وكنت اشعر بان شيئا ما سيكون؟ فقررت ان اغادر البليدة وألجأ الى الميلية،وصادف إن كان يوم السفر اول يوم من نوفمبر سنة 1954م ....غادرت البليدة الى العاصمة ومنها ...إلى الميلية ولما وصلت إليها وجدت الجو ساخنا والمنظمة مكهربة، وتحرشات الادارة المحلية كانت على قدم وساق". (1)

وبعد علان الثورة التحريرية مباشرة دعي احمد توفيق رجال الجمعية لعقد الاجتماع الاداري بمدينة قسنطينة يوم غرة نوفمبر من ستة 1954م فيقول :"فاصبحنا نقرأ انباءا وحوادث الانتفاضة الاولى وقررنا بالإجماع اننا مع الثورة، وبعثنا لكل رجالنا وشبابنا وقررنا هذا :جاءت الساعة التي حددها الله فإلى الميدان الشريف الى الشهادة الى النصر ،وكان الزحف للمقدس وكان النصر العظيم." (2).

لقد كان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قبل التحاقها رسميا بالثورة،مقسما بين توجهين :توجه قاده الخارج، وعلى راسهم البشير الابراهيمي الذي اعلن مباركته للثورة مبكرا ووجه خطابه الشهير الداعي للمشاركة فيها يوم 15 نوفمبر 1954م :"**فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه الى ميدان الكفاح المسلح فهو السبيل الواحد الى احدى الحسنيين إما موت وراءه جنة واما حياة وراءها عزة وكرامة ...**" (3). كما ضاعف نشاطه في كتابة المقالات التي تحرض المجاهدين على مواصلة الكفاح ،او يخطب في الجماعات الاسلامية بحثا عن المساهمة في الثورة ماديا

1- محمد الصالح بن عتيق ،احداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية ،منشورات دحلب ،ص ص.122، 123 .

2- احمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات، القسم الثاني)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ص.411.

3- عبد الله مقلاتي ،خريجو معهد بن باديس بقسنطينة ودورهم في الثورة التحريرية ،دار العلم والمعرفة ،الجزائر، 2014،ص.24.

واديبا[1]. اما التوجه الرسمي فكان لقيادة الداخل والذي فضل التريث وعدم استباق الأحداث، وذلك حفظا على نشاط ومؤسسات الجمعية النشطة ومنها: مدارس التعليم العربي الحر، اذ كان تأييد الثورة مباشرة يعني حل الجمعية والمؤسسات التابعة لها في مقدمتها المدارس الحرة .فالشيخ احمد حماني كان يناديعلى طلابه ،وعندما يعاين تغيب طالب يسألهم :هل يكون قد تأورس؟أي رجل شهم ،وهذا ما دفع الكثير من الطلاب الى الالتحاق بالثورة تاركين مقاعد الدراسة[2].

بهذا تكون المدارس التابعة للجمعية قد كونت من التلاميذ جنودا بامتياز. فقد تأسست بمنطقة جيجل المدارس الحرة، والمعتمدة على تبرعات واشتراكات المواطنين من هذه المدارس: مدرسة التوفيق ذات القسمين بمدخل مدينة الطاهير (بجانب سوق الخضر حاليا) وقد دشنت هذه المدرسة سنة 1947م[3]، ومدرسة التهذيب التي انشات 1934م ،وفرع محمد خطاب الفرقاني التابع لمعهد ابن باديس الذي اسس 1947م، ومدرسة الحياة التي تأسست 1933م ،ومدرسة اولاد علال بالشقفة التي وضع حجر اساسها 1940م[4]. من خلال الرسائل الدينية والحضارية لهذه المدارس كان لها موقف مشرف بعد الانضمام الرسمي للثورة[5].

ففي 7جانفي 1956م اعلنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صراحة انضمامها الى الثورة المباركة واصدرت بيانها الحاسم والذي قرر فيه المجتمعون بالإجماع الانضمام للثورة[6] وصدق ابو القاسم سعد الله رحمه الله إذ يقول: "فلولا اولئك الذين امنو بربهم ووطنهم وكوّنوا انفسهم في الخفاء

1- محمد الصالح بن عتيق، المصدر السابق، ص.196.

2- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص.24.

3- عبد الحميد سرحان وآخرون ،تاريخ بلدية الطاهير 1954-1962م،دار الخلدونية للنشر والتوزيع،ط 2011،ص.75.

4- محمد المحسن فضلاء ،المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر ،دار غرناطة للنشر والتوزيع ،ج1،الجزائر ،2014،ص.ص ص.79-91.

5- عبد الله مقلاتي ،المرجع السابق، ص.191.

6- عبد الحميد سرحان ،المرجع السابق ،ص.77.

،واجتمعوا وتحاوروا وقرروا الثورة ،لكانت الجزائر بدون جمعية العلماء كريشة في مهب الريح سنة 1954م ،وهي الريح التي اخذت تهب ايضا حتى على جمعية العلماء ،ويبقى ان نعرف كم من الذين فجروا الثورة وكانوا من خريجي خلايا حزب الشعب وكم منهم كانوا خريجي مدارس جمعية العلماء وكم من هؤلاء واولئك "صدقوا ما عاهدوا الله عليه"[1].

2-دور شيوخ الاصلاح وقادته في الثورة الجزائرية:

يقول عمر شيدخ العيدوني، في كتابه ملحمة القلاقة :"لقد كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حضور قوي ولافت في المنطقة (الميلية)،من خلال مدارسها المنتشرة في كل الجهات ،وشيوخ واساتذة هذه المدارس، الذين كان لهم دور بارز في نشر الوعي الديني والوطني ،فقد كانوا خير معين للثورة ،منهم على سبيل المثال لا الحصر : رابح بو عندل والذي كان من الرباء المنطقة وصاحب افضال على الثورة[2]، المتوفي 1960م من دوار بني فرقان وهو الذي كان يمول المسجلين في النظام الداخلي في مدرسة محمد خطاب الفرقاني بمختلف الحاجيات. [3] وعبد الله ادريس من دوار اولاد علي الذي كان رئيس شعبة الجمعية في منطقة الميلية، وحمر محمد (المدعو بن الساسي محمد) في دوار بني صبيح والذي اصبح اثناء الثورة عضوا بارزا في الولاية الثانية مع زيغود يوسف وعبد الله بن طوبال، و"حسين شيدخ"، الذي كان احد تلامذة ابن باديس وعند اندلاع الثورة التحريرية المباركة كان في قلب احداثها لما اسند له من ادوار هامة على مستوى منطقته ومن اهم الادوار التي قام بها جلب بيان اول نوفمبر[4].

1- أبو القاسم سعد الله ،ابحاث واراء في تاريخ الجزائر ،دار الغرب الاسلامي ،ج4،ط1996،ص.148.
2- عمر شيدخ العيدوني، المصدر السابق، ص.37.
3- شهادة شفوية مع المجاهد عبد المجيد لحمر يوم الاربعاء 23 ديسمبر 2015،على الساعة العاشرة صباحا،بمقر المكتبة البلدية محمد الزاهي الميلي .
4- عمر شيدخ العيدوني، المصدر السابق ،ص ص،37 .38.

اذن استمرت مؤسسات الجمعية في نشاطها المنوط بها الى غاية اعلان هذه الاخيرة انضمامها الى الثورة التحريرية، وبذلك اغلقت مؤسساتها وكانت المدارس في المقدمة، والتحق معلموها وتلاميذها والقائمون عليها افواجا بصفوف الثورة التحريرية منها :مدرسة التهذيب بالميلية التي اغلقت سنة 1955[1]، من طرف حاكم الميلية جون رينو والذي اغتاله المجاهدون في 22 من اوت 1955م (في عملية تاسقيفت في منطقة آودادن) وهو الذي كان يشرف على إدخال المعمرين الى العاملين والمقيمين خارج المدينة خوفا عليهم[2]. ومدرسة الحياة بجيجل والتي اغلقت بأمر من السلطات الفرنسية سنة 1956م .وهي السنة التي انضم فيها عدد كبير من ابناء المدرسة* الى الثورة المسلحة فكان منهم من استشهد في ميدان القتال .كذلك فرع محمد خطاب الفرقاني والذي أغلق أبوابه سنة 1957م[3]، ومدرسة اولاد علال التي توقف نشاطها بعد اندلاع الثورة التحريرية1954م[4].

فهذا القائد والبطل عميروش يثني على دور هذه المدارس الحرة ،في رسالة بعث بها الى الشيخ محمد الصالح بن عتيق سنة 1955م ،حيث يقول :"عدت الى القلعة فوجدت القوم على اتم الاستعداد لخوض معركة التحرير والالتحاق بالمجاهدين وبذل المال والرجال ،يا ليتنا عملنا على نشر هذه المدارس في الوطن، إذ لاسترحنا من كثير من المشاكل التي تعترض سبيلنا اليوم ".[5]

فهذه المدارس قدمت للثورة شبابا يافعا من اجل تأطيرها في مختلف مهامها في الداخلوالخارج. وبما ان مدارس الجمعيةالمنتشرة هنا وهناك بمختلف القطر تعتبر من اهم المنابع المزودة لمعهد ابن باديس بقسنطينة بالتلاميذ وطلاب العلم والمعرفة ،لمواصلة تعليمهم والتمكن في نهاية المطاف من

1- شهادة المجاهد عبد المجيد لحمر، المصدر السابق .

2- عمر شيدخ العيدوني ،المصدر السابق ،ص. 76.

3- محمد المحسن فضلاء، المصدرالسابق، ص. 96.

4- شهادة شفوية مع المجاهد بلكرديد مسعود بن محمد (المدعو الشينوة) ،يوم 15 ديسمبر2015م على الساعة 16:00 مساءا بمقر منزله

5- محمد الصالح بن عتيق، المصدر السابق، ص. 77.

الالتحاق بجامعات ومعاهد بعض الدول العربية لنيل شهاداتهم العليا، والعودة الى الوطن والمساهمة في تحريره. فالتحاقهم بالثورة عكس ما في نفوسهم من مشاعر تضامنية صادقة عبرت عن احاسيس وطنية فياضة ومتعايشة مع الواقع الثوري فمنهم من قضى نحبه منهم من أكلته السجون والمنافي ومنهم من خر شهيدا في ساحة المعركة ومنهم من بلغ القمة في البناء والتشييد منهم : محمد فارح ابن منطقة الميلية، والمولود عام 1930 م، التحق بمعهد ابن باديس لمواصلة دراسته 1950م ،وتحصل عام 1954م على شهادة الاهلية لكن ظروف وحوادث الثورة منعت تنقله[1] (23)،حيث التحق بصفوف مناضلي جبهة التحرير الوطني وانضم الى أول خلية بمنطقة الميلية،و شهد حوادث 20اوت 1956م وشارك في حرق مزارع المستوطنين، وعمليات نقل الأسلحة في جبال الميلية.ثم سافر إلى تونس ليجد نفسه مناضلا في صفوف جمعية الطلبة الجزائريين ثم في اتحاد الطلبة الجزائريين، عاد الى الجزائر 1962م[2]. بالإضافة إلى المناضل بوالطمين جودي لخضر، الذي كان ضابطا بجبهة التحرير الوطني ،والذي التحق بالمعهد 1947م. في جوان 1956م قرر مع رفاقه الانقطاع عن الدراسة والالتحاق بالثورة حيث حل بتونس لفترة ،ثم ارسل الى الولاية الثانية وعمل محافظا سياسيا ،حيث شهد معارك واشتباكات عديدة ورقي ليصبح ضابطا وعضوا بقيادة المنطقة الخامسة في الولاية الثانية[3].

كذلك الطلبة الجزائريين سواء بالجامع الاخضر او بجامع الزيتونة ،وبعد عودتهم الى مناطقهم منهم من امتهن التدريس ضمن التعليم الحراو ضمن الكتاتيب والزوايا، ومنهم من شارك في العمل الثوري لجبهة التحرير الوطني ومنهم من غادر الوطن تربويا وتعليميا في خلايا جبهة

1- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق ،ص. 226.

2- سفيان عبد اللطيف ،التاريخ الكامل لمنطقة الميلية ،دار توميديا للنشر والتوزيع ،ج 1،قسنطينة ،2012،ص280.

3- عبد الله مقلاتي،المرجعالسابق، ص. 180.

التحرير الوطني في ميادين التوعية السياسية والاعلام الثوري[1]. وفي هذا الاخير (مغادرة الوطن) نذكر :الشيخ علي مرحوم احد تلاميذ ابن باديس في الجامع الاخضر ،واصيل دوار بني مسلم من العنصر من مواليد 1913م ،والذي التحق بدروس الامام عبد الحميد ابن باديس سنة 1932م ،تولى التعليم في بسكرة ،ثم مرشد بصفوف الكشافة الاسلامية ثم مدرس بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة 1946م. بالإضافة الى اشتغاله في العديد من المدارس الحرة في سطيف وبرج بوعريريج ،اذ كان العربي بن مهيدي هو احد تلامذة علي مرحوم، فقد كان هذا الاخير على علم بالإعداد السري للثورة .فكان قائما على قدم وساق رغم المطاردة المتواصلة له ،الا انه سلم من الوقوع في ايديهم. فكانت الشرطة تزوره صباح مساء للتفتيش والاستنطاق لما يعلمون من صلة التلمذة والمصاهرة (زوج ابنته) التي تربط علي مرحوم بالبطل العربي بن مهيدي،واشتدت هذه المراقبة بعد اندلاع الثورة .ونظرا لتفاقم الخطر حوله اضطر الى السّفر الى المغرب الاقصى ليكون ممثلا لجبهة التحرير الوطني في تطوان سنة 1956م الى جانب اعماله الوطنية المختلفة التي يقوم بها في ادارة الثورة بتطوان كان يذيع كلمة الجزائر في صحافة المغرب وينشر مقالات وابحاث عن تاريخ الجزائر والثورة التحريرية ،اذ كان الشيخ احمد حماني يراسله من الجزائر باسمه الثوري "مراد "،ويوافيه بأخبار الثورة[2].كما كان منهم من تولى القضاء الثوري في الجهات التي تحددها قيادة الثورة سواء بالداخل او الخارج على الحدود الشرقية او الغربية.وهم في كل ذلك معرضون للتضحيات الجسام :(سجن ،نفي ،اعتقال، استشهاد ،اقامة جبرية). ومنهم من حفظه الله وسلّم من كل ذلك[3]. وكان منهم محمد الزاهي الميلي– والذي سيأتي الحديث عنه لاحق– الذي وجمع بين التربية والتوعية ،وان سلم من غياهب المعتقلات فقد سقط شهيدا في ساحة الوغى .بالإضافة الى محمد الصالح

1– خير الدين شترة ،الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900–1956م، دار كردادة للنشر والتوزيع ،ج 2،ص. 1439.

2– محمد الصالح الصديق، اعلام من المغرب العربي ،دار موفم للنشر والتوزيع ج3،ط2، 2008،ص ص.66–67.

3– خير الدين شترة، المرجع السابق، ص. 1439.

بن عتيق واحمد حماني اللذين لم ينقطع نشاطهما حتى في المعتقلات ،التي وان قيدت حريتهم فلم تقيد افكارهم فقد واصلا نشاطهما الاصلاحي والثوري حتى وهم سجناء ،مع معايشة للواقع الثوري الذي يجري في الخارج من خلال الجرائد التي تصلهم وزيارات اقربائهم ومعارفهم فهذا ابن عتيق الذي كان محط انظار رجال الشرطة الفرنسية، والتي لم تكن مرتاحة لتصرفاته كان يحمل بحوزته بعض الصور لبعض الزعماء الوطنيين، ولما القي عليه القبض ادركت الادارة الاستدمارية انها اوراق تخص شهر رمضان، ولحسن الحظ انها لم تنتبه لتلك الصور فاضطر الى التخلي عنها واتلافها .واحمد حماني الذي كان مدرسا بالسجن وحول المسجد الى معهد للدراسة.[1]

وبعد انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م، الذي يعتبر نقطة تحول حاسمة في تاريخ الثورة الجزائرية .إذ جعل من هذه الاخيرة اكثر تنظيما وتأطيراوفتح المجال امام المثقفين والعلماء لشغل مراكز القيادة وعصم الثورة من الانحراف والزلل ،فقد كانت لهؤلاء بصمة كبيرة في التخطيط والتنظيم والتوجيه وانعكست ايجابيا على الاداء العام للثورة[2].

اذ نصت الفقرة الخامسة من مؤتمر الصومام على تنظيم القضاء ،فأنشأت جبهة التحرير الوطني تنظيمات قضائية ،معتمدة على تقسيم التراب الوطني الى ولايات تختلف حسب اختلاف المناطق وعل راس كل ولاية مجلس قضائي ،يتكون من خمسة اعضاء يختارون من بين الاشخاص الاكفاء الموثوق فيهم للقيام بوظيفة القضاء .فقد كان صاحب هذا المنصب متعدد الوظائف اذ كان يشرف على التعليم ويصدر الفتاوى وكذلك الامامة والتوعية السياسية وجمع الزكاة والارشاد...[3]، اذ وجهت رسائل الى رجال الدين والعلماء والمثقفين وحفظة لقرآن لحث الشعب على الجهاد

1- **محمد الصالح بن عتيق**، المصدر السابق، ص .126.

2- **عمر شيدخ العيدوني**، المصدر السابق، ص. 103.

3- **منصور عبد الحفيظ** ،الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر ابان الثورة التحريرية 1954-1962م اطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الاستاذ عبد الكريم بو صفصاف ،السنة الجامعية 2011-2012م، ص ص .157.161.

والابتعاد عن التعامل مع الادارة الاستدمارية والتقاضي لدى مؤسساتها الظالمة. اذ لا يوجد معهد او مدرسة لتكوين القضاة لذلك كانوا خريجو معهد ابن باديس والزيتونة ... وغيرهم هم الذين توكل اليهم هذه المهمة ،اذ خصصت لهم رواتب وصلاحيات لا تقتصر على البث في القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية والميراث ،بل هم ايضا المسؤولون عن التوعية والتثقيف وتعليم الاطفال، ومراقبة المعلمين ودفع رواتبهم[1]، فطلبة الزيتونة كانوا يتولون القضاء الثوري في الجهات التي تحددها لهم قيادة الثورة بحكم حفظهم للقرآن الكريم ومعرفتهم بأحكام الشريعة[2].

لا يمكن الحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دون الوقوف على شخصية عظيمة حملت على عاتقها اعباء الدعم المادي واللوجستيكي للجمعية والثورة معا، هي شخصية المحسن محمد خطاب الفرقاني(1904–1964م) أصيل دوار بني فرقان، الذي رحل الى المغرب حيث يعمل اخوه رابح موظفا ساميا هناك التحق به واشتغل بالفلاحة حتى اصبح من كبار الاثرياء ،وجاد بكريم ماله فبنى المدارس وتكفل ببعثات الطلبة الى الخارج، كما اشترى بمسقط رأسه الميلية ملهى للفرنسيين وحوله الى مدرسة منحها لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3]. فالمتصفح لجريدة البصائر تستوقفه بعض العناوين : الميلية تحتفل بمدرستها،مدرسة السيد محمد خطاب الفرقاني... اضافة الى دعمه لشعبة الجمعية بدواره بني فرقان فهذه البصائر تنعتهم بالأيادي البيضاء (رفقة أخوه رابح الفرقاني)،فهم الذين كانوا في طليعة الذين لبوا نداء الجمعية رافعين لواء العربية والاسلام في هذه الديار وحماية الشعب من الاندثار والاندماج[4]، إضافة الى علاقته مع رئيس الجمعية البشير الابراهيمي ،فقد كان يقدم خدماته للثورة ويقاسم أبناء وطنه انشغالاتهم وأفكارهم رغم

1– أعمال الملتقى الوطني حول :القضاء ابان الثورة التحريرية المنعقد بجامعة الامير عبد القادر يومي 16 و17 مارس 2005، منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر، 2007، ص. 106.

2– خير الدين شترة، المرجع السابق، ص. 1439.

3– عمر شيدخ العيدوني، المصدر السابق، ص ص. 23.24

4– انظر جريدة البصائر ،العدد 23،16 فيفري 1948م،ص6 ،وينظر أيضا:العدد138،23 جانفي 1951م،ص.8.

المسافة وعنه يقول فرحات عباس: "لقد فقدت الجزائر في شخصه منشطا كبيرا لحرب التحرير الوطني فقد كان رجلا فعالا بجهده الثمين على المستوى اللوجيستي ونقل الاسلحة ".بالإضافة الى العقيد اوعمران رئيس سابق للولاية الرابعة وعضو الحكومة المؤقتة :"لقد انفق سي محمد خطاب الفرقاني جزءا كبيرا من ثروته من اجل التحرير الوطني ،بواخر الاسلحة ،ووضع مزارع تحت تصرف جيش التحرير الوطني وعلاوة على التبرعات والدفاع عن المصالح العليا للجزائر وحمايتها في المغرب."

فقد حاول ايجاد الوسائل الكفيلة برفع المستوى الفكري للجزائريين من خلال تمويل بناء المدارس للشباب،فكان الممون جزئيا وبصفة شخصية للمشتريات من الاسلحة علاوة على تسيير اموال جبهة التحرير الوطني في المغرب .وبذلك حاول خلق وبناء نخبة وطنية قادرة على تعزيز المطامح العميقة للشعب الجزائري ،مما يفسر دعمه النزيه والمستمر للثورة .[1] فقد كان يزور المبلية بجيجل مرة كل عام يتفقد اهله واصدقاءه ويكن احتراما كبيرا للحركة الوطنية . توفي بطريقة غامضة بسويسرا 1946م. [2]

3-نماذج لشيوخ مصلحين شهداء في جيش التحرير الوطني:

تمثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمختلف وسائل نشاطها المتعددة نموذج صادق في دعم الثورة التحريرية، وكذا التأكيد على انخراط الجمعية في دعم الثورة منذ اندلاعها. حيث تجند معلموها وشيوخها وطلابها في اسناد ودعم الثورة[3]. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من بلغ في القيادة اعلى المراتب وفي هؤلاء الاساتذة من خاض الكفاح وخر في الميدان شهيدا ،ومنهم من

1- باهي ايمان ،سي محمد خطاب المبشر ببناء المغرب العربي يكشف عن شخصية محورية في تاريخ الثورة الجزائرية جرى تغييبها بفعل فاعل ،جريدة اصداء الشرق، يوم الاحد 9 نوفمبر 2014م، ص. 11.

2- عمر شيدخ العيدوني، المصدر السابق، ص.24.

3- عبد الله مقلاتي،المرجع السابق، ص.54.

328/377

انتظر وبلغ القمة في بناء دولته، وفيهم من اكلته المنافي والسجون ورصاصات الظلم .منهم على سبيل المثال لا الحصر: احمد بوشمال ذو الأصول الجيجلية من بني عمران قرب دائرة الطاهير من مواليد 1899م والذي كان الساعد الايمن لابن باديس وهو الذي اشرف على عدة مؤسسات الجمعية منها :مدير مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ...وغيرها وباندلاع الثورة التحريرية شارك في تجهيز الثورة بالآلات الضرورية للعمل الثوري فقد كان رابع شهداء معهد بن باديس. اذ قام بطبع اول بطاقة تعريف لجند جبهة التحرير الوطني في مطبعته، والتي اصبحت في خدمة جيش التحرير الوطني ،كما ان داره كانت مأوى للجنود الذين يدخلون الى المدينة للقيام بالعمليات،ولبعض ابناء الشهداء الذين كان يتولى امرهم ويضمن لهم ايواء بعض المحسنين .اما كيفية استشهاده فمجهولةفقد ساقوه الى مقر التعذيب والاعتقال بضيعة أمزيان وأذاقوه ألوانا من العذاب بعد الشبهات التي كانت تحيط به وتكرار الاعتقال وعند اعتقاله حاولوا الحصول على معلومات منه .ليفارق الحياة في ظرف غامض بعد ان نالت منه زبانية العدو .لكنه فضل الموت فكان شهيد الحق. (1)

وكان من امثاله من ابناء منطقة جيجل من خريجي المدرسة الاصلاحية الباديسية من سطروا تاريخا حافلا يكتب بكل اعتزاز كان منهم :مسعود بن زطال ومحمد الزاهي الميلي وأحمد بن علي أوسياف :

أ–مسعود زطال المدعو (بن حميود):

من مواليد عام 1898م بقرية اولاد مبارك، تلقى تعليمه الأول في كتاب القرية، أتم حفظ القرآن الكريم على يد زوج عمته، ولما بلغ سن الخامسة عشر نودي الى الخدمة العسكرية خطئا فيما بين 1913–1914م، لكنه اعفي بعد اصابته في خصره .وعندما سُرح عاد لاسترجاع ما فاته من العلم .ففي عام 1921م التحق الشيخ العلامة احمد بن دويدة بالمسجد الكبير بالميلية، فتتلمذ

1– احمد حماني ،شهداء علماء معهد بن باديس،قصر الكتاب، البليدة ،2014،ص ص. 7.48.55.

329/377

عليه الشيخ مسعود زطال،ولما كان ابن باديس ينزل عند الشيخ الدويدة في كل مرة يستشيره في مسائل تستشكل عليه فوجد عنده سي مسعود بن زطال فأخذه معه إلى قسنطينة وانخرط في تلاميذ جامع الاخضر .

انتقل الى الزيتونة عام 1925م ولكنه لم يكمل دراسته بها ،وعاد الى قسنطينة فأرسله ابن باديس الى ميلة واستقبله فيها محمد بن زياد النجار وأرسله إلى مسجد القرارم الكبير إذ نزل طالبا عند اسرة ابن النجار الذين تكفلوا به. وكان زميله في ذلك ابنهم المولود ابن النجارفتتلمذ على يد العلامة عبد اللطيف القنطري،واحمد سحنون وكثيرا ما كان يدعوه الشيخ سحنون الى قسنطينة ليحضر دروسه .واستمر كذلك الى ان صار يأجر من طرف آلبن النجار لخلفه على إمامة المسجد الكبير للقرارم عام 1948م .وبقي مستخلفا مع صديقه وزميله المولود بن النجار الى غاية 1950م، اذ استدعاه الامام البشير الابراهيمي ونصبه مدرسا وناظرا بمدرسة محمد خطاب الفرقاني بالميلية، ثم رقي إلى مراقب عام لعام 1951م وكان من زملائه :الشيخ العلامة محمد الصالح ابن عتيق مديرا وعمار بوصبيعة القلي أستاذا، إلى أن اغلقت المدرسة سنة 1955م بأمر من حاكم الميلية جان رينو. فانتقل أجيرا بمكسرة (عجنق) ولما أعلن الابراهيمي حل الجمعية والانضمام الى الثورة، التحق العلامة مسعود زطال بالجبال وعينته الثورة في لجنة الصلح ثم قاضيا في لجنة العدل سنة 1957م،اذ كان يفتي للجميع في الصيام والميراث ويحكم في قضايا الخيانة والقضايا المدنية ،ويفصل بين المدنيين والعسكريين .وظل يعمل رفقة لجنة العدل بالمنطقة الثانية من الولاية الثانية .وفي يوم من الايام اصيب بمرض شديد اثقل مشيه ،وعقب وشاية من بعض الموالين للاستدمار تمت محاصرته والقبض عليه مختبأ في جبل بوشميسة فسجن ووضع تحت التعذيب.ولما كان يتلقى الضربات.الواحدة تلوى الاخرى وهو شيخ كبير طاعن في السن بصق في وجه الضابط

الفرنسي ،فاخرج هذا الاخير سلاحه وطلق عليه رصاصات وترك جثته في العراء، لكن السكان دفنوه ونقل جثمانه بعد الاستقلال إلى مقبرة الميلية وكان ذلك في سنة 1958م. (1)

ب-محمد بن عبد الله الزاهي الميلي: 1904-1960م

محمد بن عبد الله الزاهي الميلي من مواليد 10 اكتوبر 1904 م ،بقرية ازيار من دوار تمنجر بالميلية.كان والده مؤذنا بالقرية الميلية،حفظ القران الكريم مبكرا تعلم في البداية في الكتاتيب وكان معلمه هو حمو بن العربي بوذن،ختم القرآن سنة 1920م. ثم انتقل إلى الميلية لإتقان حفظ القران الكريم وتعلم مبادئ العلوم على يد الشيخ محمد بن معنصر الميلي .ولما استدعي الى التجنيد الاجباري لم يكن مهيأ،كون ان مدة الثلاث سنوات التي سيقضيها في الخدمة العسكرية ستأخره عن اتمام دراسته ،فاطلق النار على يده من بندقية صيد ووضع على يده خبزة تحول بين وبينالبارود وحتى لا يتلوث لحمه فأصيب بكسر في يده ،واعيد فحصه فاعفي وارجع الى التعليم . (2)

وفي سنة 1927 م انتقل الى جامع الزيتونة لإكمال دراسته والتي عاد منها 1932م متحصلا على شهادة التطويع العالمية .وبعد تأسيس الجمعية حظي بالتدريس في مدارسها الحرة .وفيما بعد تم ترشيحه من قبل الجمعية للقيام بدور الوعظ والارشاد بين افراد الجالية الجزائرية بفرنسا فيما بين 1937م وأواخر 1938م. لكنه لم يكن محظوظا في زواجه اذ تزوج اربع مرات وفي كل مرة كان ينقطع نسبه ولم يبقى له سوى ولدين. (3)

اشتغل بعد عودته الى الجزائر معلما بمدرسة التربية والتعليم واثناء الحرب العالمية عمل تاجرا .وفتح مدرسة الجزايرين برحبة الصوف بقسنطينة ،وفتح مدرسة اخرى بأولاد ابراهيم واخرى بحي باردو،

1- مسعود بن محمد بن محمد بن بلقاسم ،شرارة من نار ينتهي الاستدمار، مخطوط قيد النشر .

2- احمد حماني، المصدر السابق، ص ص.69-77.

3- محمد الزاهي الميلي ،رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس ...الى قسنطينة 1938،ت عبد الله حمادي دار البعث ،قسنطينة ،2004.

فضلا عن ذلك كان له نشاط خفي في الحقل السياسي، وفي اوائل الخمسينات، التحق بمعهد ابن
باديس واصبح من ضمن اساتذته . ولما نشبت الثورة التحريرية 1954م كان احد المناضلين يقوم
بعمله بحذر وتكتم وبقي في عمله السري الى ان اكتشف امره سنة 1957م ما اوجب عليه ان
يغادر للمدينة ويلتحق بالجبال رغم تقدم سنه واستمر يؤدي واجبه بكل شجاعة واخلاص[1].
حيث كلف بالتوجيه والتنظيم والشؤون العامةوكان يشارك وكان يشارك في اجتماع الناحية في اطار
التوجيه والتنظيم والمجالس الشعبية .ثم عهد اليه بتنظيم لجان العدل ،والتي كانت موجودة على
مستوى كل قسمة ،ومن اثاره التي تذكر له بخير انه كان لينا في احكامه عند اللين ويشتد عندما
لا يرى محلا اللين، من ذلك انه كان لا يتشدد في اجبار الناس على الافطار في رمضان ،ويرى
تلك الحرية لهم في الصيام والافطار وكانت الاوامر صدرت بالإفطار في المناطق المحرمة بناء على
فتوى شرعية ،فثقل ذلك على الناس وخشي ان يبلغ الامر بهم الى التذمر ،ويجد العدو وسيلة
للتشنيع على جيش التحرير ،فبصرهم بالحكم الشرعي ،وان الجندي يجب عليه الافطار عند قرب
لقاء العدو وللاستعداد له ،وغير الجنود يصومون وعند الضرورة لهم ان يفطروا ،فعملوا برايه وحمدوا
له هذا الفقه .

وكان في الاجتماعات العامة يخطب في المدنيين. وقد عمل اولا في المنطقة الاولى ثم طلبته
للمنطقة الثانية فالتحق بها ،وعندما كان في الطريق اليها رآه العدو ،وانهالت عليه نيران اسلحته
فأنجاه الله منهم.

ثم التحق بمنطقة الميلية من المنطقة الثانية، وكان ذلك اواخر سنة 1957م واوائل 1958م
فاجتهد في تنظيم لجان العدل على مستوى المنطقة وكان يمشي مع ادارة المنطقة ،.وكان الشيخ
الزاهي معتبرا كاطار مكلف بلجنة العدل على مستوى المنطقة ،ويستدعي عند الحاجة الى ادارة
الولاية ،ويوم استشهاده كان بإدارة الولاية –ومركزها برباغة–وكان العدو ومتى علم بمثل هذا المركز

1- سعيد بورنان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا ،1936-1956م،دار غرناطة للنشر
والتوزيع ،الجزائر ،2013،ص. 130-133.

بذل كل ما لديه من طاقة لاحتلاله او تحطيمه وقتل من وجد فيهم او اسرهم ،وبذلك كان الشيخ محمد الزاهي الميلي من الشهداء الاصلاحيين فكان خامس شهداء معهد بن باديس توفي سنة 1960م.[1]

ج-احمد بن علي أوسياف المدعو (سي عيسى): 1924-1960م

أحمد بن علي أوسياف (المدعو سي عيسى)، ولد في يوم 27 ماي 1924م، بدوار بوشارف الميلية. بدأ تعليمه بزاوية ابن عتيق على يد الشيخ العلامة محمد بن مصطفى درويش فحفظ شيئا من القرآن الكريم. ثم سجل بمدرسة التهذيب سنة 1936م وتتلمذ عل يد الشيوخ محمد الصالح بن عتيق وعمار بوصبيعة القلي والحسين بوقجوطة، كما درس في الوقت ذاته بالمدرسة الفرنسيّة للذكور (école des garçons) حتى حصل على شهادة الابتدائية، فانتقل الى قسنطينة وحضر دروس الشيخ ابن باديس ومبارك الميلي، وغيرهما فبلغ مرتبة راقية من العلم وهو شاب يافعٌ... ثم عاد إلى الميلية وانخرط في الكشافة الإسلامية وتقلد عدة مسؤوليات فيها، فتكون سياسيًا ونضاليًا وتعلّم الكثير من مهارات التخطيط والتنفيذ.

كان يشتغل بالتجارة رفقة بمقهى ودكان والده الموجود في وسط المدينة، فاحتك مبكرًا بالمناضلين، والتحق بالحركة الوطنية وحزب الشعب الجزائري، ثم ظلّ مناضلاً في حركة الانتصار الحريات الديموقراطية وبنى علاقات وطيدة مع قياداتها جعلتهُ شخصيّة معروفة، فزاره سي العربي بن مهيدي -زميله بمدارس جمعية العلماء- في دكانه مطلع الخمسينات وتجالسا في المقهى لمناقشة أحوال النضال، وكان مع سي عيسى أخوه الصغير إسماعيل فأكرمه بن مهيدي بزجاجة مشروب غازي فاخرة آنذاك من نوع (very good).

1- احمد حماني، المصدر السابق ،ص ص .88-89.

بوصول سنة 1953م تضاعف نشاط خلية النضال بالميلية وأصبح أعضاؤها يحملون المسدسات، ويذكر المجاهد يوسف رابحي أنه عُقد اجتماع طارئ بـ(دار المرة) في شارع (Sergent) شارع زيغود يوسف حاليًا بوسط المدينة، وتفطّن له الدرك الفرنسي فوقع تبادل إطلاق نار وأصيب أحد المناضلين لكنه نقل على جناح السرعة وعولج بالطريقة التقليدية حتى لا يمسكه الفرنسيون وتفرق الاجتماع، وبدأ الفرنسيون التحقيقات بحثًا عن أعضاء هذه الخليّة فوصلوا إلى سي عيسى وبدأوا الضغط على والده الذين كان ينتمي إلى أسرة قُتل معظم أفرادها في ثورة أولاد عيدون 1871م، ويحظى باحترام كبير من الفرنسيين لأنه من الذين جندتهم إجباريًا في حرب (1914-1918م)، وحاز وسام الشرف بوصفه أحد النّاجين الوحيدين من معركة (verdun) التي قُطعت فيها ذراعه، فطلب هذا الوالد من سي عيسى الابتعاد عن النضال السياسي خوفًا عليه من الغدر، وخيّرهُ بين ترك النضال أو ترك العمل معه في التجارة فتجادلا، وارتفع سقف النقاش بينهما إلى خصامٍ عنيف وصل الحدّ فيه إلى أن قال الوالد: (تترك النضال أو لست إبني!) فرفض سي عيسى التخلي عنه نضاله وقال (إذن أختار الجزائر!) وخرج من بيت والده في تلك الليلة، فانتقلت زوجته وأولاده إلى بيت أنسابه في (بوديوس)، وسافر هو إلى فرنسا عام 1953م[1] بحثًا عن العمل، ثم استغل الفرصة للدراسة هناك حتى نال شهادة تكوين، ولكنه بقي على اتصال مع للمناضلين فأنشأ خلايا وجمع اشتراكات وبعد إبلاغه بمعلومات سرية تفيد بوقوع اجتماع 22 في 23 جوان 1954م وقرار التحضير للثورة عاد إلى الميلية في 1954م، وسكن في بوديوس عند أنسابه، وفي صيف 1954م اشتغل بنّاءًا عند أحد أنسابه (حسين سبتي) الذي طلب منه استثمار مهارته في التخطيط ليبني له بيتًا عصريًا، فاستغل ذلك لإعالة أسرته.

1- يذكر مرجع منظمة المجاهدين بالميلية أنه انتقل إلى فرنسا إثر وعكة صحية للعلاج عام 1953، ولكن ابنه المجاهد (عز الدين) الحاضر في عين المكان صحح المعلومة، وقال بأنه انتقل إثر جدال مع والده بحثا عن عمل.

وفي هذا الوقت وقعت في أيدي الفرنسيين بعض الوثائق النضالية السرّية فحامت الشكوك حوله وخصوصًا لكونه -بحكم تكوينه وعلاقاته- من بين المناضلين الأكثر قدرة على صياغة وثائق مماثلة، فألقي القبض عليه من أجل استجوابه ومقارنة خط يده، لكنهم أطلقوا سراحه بعدما تبين أن الوثائق ليست بخطه. بعد هذا الحادث تواصلت الاجتماعات إلى غاية 01 نوفمبر واندلاع الثورة التحريرية، فكان من أبرز المحضرين لها بمنطقة الميلية، وشارك في "عملية بولحمام" التي فجرت الثورة واشتهر بكلمته الفاصلة آنذاك: (نثور اليوم ولو نشعل عود كبريت!).

بعد أول نوفمبر عاد المنضلون إلى منازلهم، فكان سي عيسى يخرج بعد صلاة الفجر لجمع الفلّين ثم يرسل من يبيعه له ليعيل أسرته المتكونة من زوجة وأولاد، وكان أحيانا يدخل إلى المدينة سرًا ويجتمع برفقائه في دكان أحد أنسابه من أسرة جامع، وتواصلت هذه الاجتماعات إلى غاية 6 ماي 1955م أين قامت السلطات الفرنسية بحملة اعتقالات واسعة، فخرج أحد المنضلين الأوفياء وانتظره في تخوم المدينة ليخبره أن زملاؤه قد قبض عليهم، فعاد إلى بيت في بودبوس وحمل مسدسه وأغراضه والتحق بالجبال، أين تخبرنا إحدى مذكراته الموجودة عند ابنه عز الدين أنه حضر اجتماع من 11 إلى 13 ماي 1955م في بني صبيح بحضور قيادات الولاية، تأسس فيه ميدانيًا (جيش التحرير الوطني).

تقلد عدة مسؤوليات حساسة، وكان يشرف على تكوين المجندين الجدد دينيا وعسكريا ونضاليا وسياسيا، فكلفته قيادة الولاية بمهام التعبئة والدعوة للجهاد في سبيل الله بين الناس، وتولى الإمامة في المرحلة الأولى للثورة (1954م-1956م) لمستواه العلمي وسمعته الحسنة عند الجنود، كما كان متواضعًا وعالما جليلا يستفتيه المجندون في القيام بالعمليات الثورية، وكان يحكم في القضايا الشرعية بين الجنود والمواطنين في الخلافات، ويهدئ القلوب بين المتخاصمين من الثوار. صار اسمه يشكل الرعب للفرنسين فطلبوا رأسه بأي ثمن وكانوا يسمونه شيخ المجاهدين (le

335/377

(marabout des fallagas)، اضطلع الشيخ أحمد أوسياف بمهام كثيرة أهمها[1] أنه كان من الأوائل الذين عملوا على تفجير الثورة في الميلية فكان رفقة منفذي أول عملية عسكرية وهي الهجوم على منجم بولحمام ومن ضمن المراقبين الذين هم على اتصال مباشر بالمسؤولين في الحركة الوطنية[2]. كما كان مجاهدا بالسلاح شارك في عدة اشتباكات بطولية، إلى أن وقع له كمين في نهاية 1955م، بعد عودته من مهمة سرية للغاية في منطقة القبائل، وذلك في دار قريبة من المكان المسمى "مزرعة بن حبيلس"، فعندما كان يصلي الصبح دخل أحد المجاهدين صارخا (العسكر!) فتفرق من كانوا معه، ولكنه أكمل صلاته بهدوء ولبس بذلته العسكرية التي كانت تشبه البذلة الفرنسيّة، وخادع الجنود الذين دخلوا للبيت بالتمويه فتخيلوا في الظلام أنه واحد منهم، ثم تسلل خفية وقفز فوق شجرة تين هندي على علو شاهق وكسر رجله واختبأ إلى أن عاد المجاهدون وأخذوه للعلاج بالطرق التقليدية.

بعد هذه الحادثة الذي أثرت على سلامة رجله، تفرغ للعمل التدريبي والتعليمي والسياسي والدعوي، وكان يسمى في صفوف الثورة (القدوة) ويحترمه قادة الثورة جميعا ويهابونه، ولأمانته المشهودة كان يستشار في المسائل المصيرية وله آراء قوية وصارمة، وبين سنتي 1958 و1959م وقع حادث خطير تمثل في حركة تمرّد في الوحدات القتالية للمجاهدين في كامل قطر الولاية الثانية، وذلك لعدم تلقيهم منحهم المقررة، وتوقف منح أسرهم وأسر الشهداء، فكلفته قيادة الولاية بتهدئة الأوضاع وطمأنة المجاهدين، والتحقيق في القضية فانتقل في مناطق الولاية لإحصاء عائلات المجاهدين والشهداء، وتكفل بالوقوف على أداء مستحقاتهم.[3]

1- منظمة المجاهدين بالميلية .
2- شيدخ العيدوني ،المصدر السابق،ص ص ،49 .50.32.
3- منظمة المجاهدين ،المصدر السابق.

336/377

ملاحق البحث:

الشهيد الشيخ سي

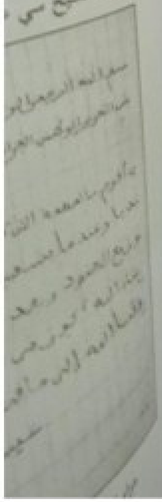

وبعد مجيء مشروع شال سنة 1960م، اشتد الحصار على أفواج المجاهدين، وفرض عليهم التشتت إلى أفواج صغيرة، وتفرقت الولاية كما فقدت الاتصال بالقيادة في تونس، وبالنظر إلى مهاراته في التخطيط كلفته قيادة الولاية بمهمة سرّيّة للغاية تتمثل في تهيئة مكان لقيادة الولاية ولنصب أجهزة اتصال، فانطلق لأداء ذلك مع مجموعة من المجاهدين المكلفين بمرافقته وحراسته، وفي يوم 27 مارس 1960م نصب مخيّمه السرّي بالمنطقة المسماة (واد المغاربة) في ضواحي مشاط قرب الميليّة، وأنجز الدراسة الدقيقة للمكان كما تبنه التصميمات الموجودة بحوزة ابنه، ولكن تلقى وابلاً من الرصاص واستشهد في اليوم ذاته بذلك المكان، وبعد استشهاده أقام الفرنسيون الأفراح وأشاعوا بين الناس أنهم قضوا على مرابو الفلاقة[1].

وما يمكن ان نخلص اليه من خلال هذه المداخلة ،هو ان جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنضالها المزدوج، تضاف الى جهود التيارات الأخرى، التي ناضلت من أجل الاستقلال ،فقد انطلقت من الفرد وصولا الى الجماعة عملت على تحرير الفرد من الجهل والبدع والخرافات والافكار الانهزامية الدخيلة ،وتربيته على الافكار الاصلاحية التي تأهله الى العمل ضمن اطار جماعي قوامه مساعي وطنية هادفة. وهكذا كانت الثورة التحريرية هي مرحلة متطورة من مساعي الإصلاح، فشهداء الاصلاح بمنطقة جيجل جسدوا مبادئ الاصلاح على أرض الواقع بالالتفاف حول تحقيق الهدف المشترك، وهو الاستقلال كل باسمه وكل بجهده، فنجدهم في مختلف الجبهات العسكري السياسي والاعلامي والقضائي.. وغير ذلك وكان نصيبهم من نصيب قائمة شهداء المليون ونصف مليون شهيد ،وبذلك نقشوا اسمائهم بحروف يبقى استحضار وجودها هو الكفيل بتخليد بطولاتهم في ذاكرة الأجيال، وإن في التاريخ لعبرة.

1- حوار مع ابنه المجاهد عز الدين أوسياف.

الشهيد الشيخ سي عيسى أوسياف: رفقة مجاهدين وأسرى اللفيف الأجنبي عام 1958م

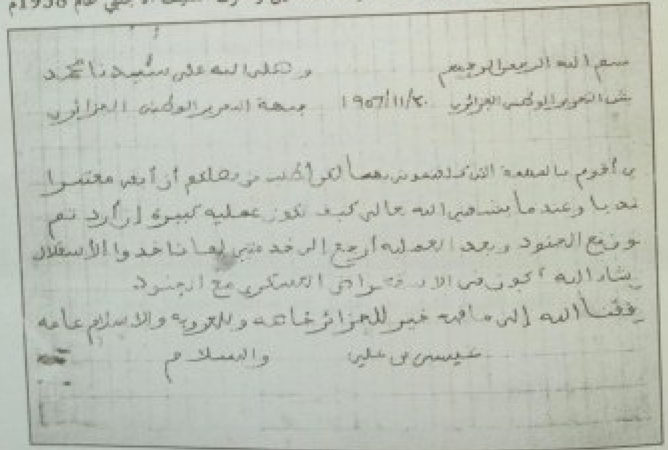

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

جيش التحرير الوطني الجزائري 1957/11/30 جبهة التحرير الوطني الجزائري

إن اليوم بالمهمة التي تقدمتموني بها الى الخدمة في مقامكم أن أبقى مجندا
جنديا وعندما يشاء الله تعالى كيف تكون عملية كبيرة أن أرد ثم
توزيع الجنود وبعد العملية أرجع الى خدمتي لما ناخذوا الاستقلال
إن شاء الله أكون في الأول في تحراتي العسكري مع الجنود
وفقنا الله الى ما فيه خير للجزائر خاصة وللعروبة والإسلام عامة
عيسى بن علي والسلام

مراسلة بخط يد الشيخ الشهيد تعبر عن رفضه الترقية لمناصب عليا تواضعا

الحمد لله وحده

الجمهورية الجزائرية

جيش التحرير الوطني — جبهة التحرير الوطني

ولاية II منطقة I

الجبهة I

منشور شكر.

موجه من طرف القيادة العليا إلى ضباط وحدات الجيش وصف الضباط والجنود.

أن اعتداءات المنطقة II والجبهة 1 بعد إطلاعهم على العمليات الهامة التي قامت بها وحدات جيش التحرير الوطني في هذه الجبهة وخاصة انتصاراتها التي تجدر بالإيمان وتدور رهيبة منتشرة ملحمة بروح ومبادئ الحرية والاستقلال في كل فرد منهم وبعد إبلاغهم بنتائج هذه العمليات الباهرة التأكيد [illegible] القدر من الخسائر الجسيمة في الأرواح والعتاد والأفكار [illegible] المشتعلة أفكارهم وأيديهم بروح الغرور والعجرفة وأدخل الرعب في نفوسهم و[illegible] تلك معنويات جيشهم هذه العمليات التي زادت [illegible] لسمعة جيش التحرير ورفعت من قيمته العالية وزادت الجزائر [illegible] وفتحت صفحة جديدة [illegible] [illegible] التي تصعق [illegible] والشهامة [illegible] أفكار الأجيال [illegible] إن هذه العمليات ونتائجها [illegible] حتى لا تعد مفخرة من مفاخر الثورة الجزائرية المقدسة لكنها لا تعد ذات قيمة أمام مجد الجزائر وعزها [illegible] لحياة الجزائر [illegible] أيها الأشاوس وإعادة السيادة [illegible] المتين [illegible] وأخلاقكم فأنتم العمداء المشكورة [illegible] هذه المهمة الشاقة [illegible] بقدر ما تغرس الثقة والأهمية [illegible] قيادتكم العليا قد [illegible] هذه العمليات والنتائج [illegible] بمزيد من الإكبار والتقدير [illegible] وأراد ذلك وإكبار المواهب [illegible] فقد أنعمت بهدية على الجيش تبلغ 120000 فرنك توزع على جميع أقسام الجبهة هذا المبلغ وإن كان طفيفا فإنه لا يعد جزاء إنما هو مكافأة وتشجيع واعتراف بالمجهودات المبذولة.

كما أنعمت من جهة أخرى على جيوش القسمتين من الفدائيين الذين تمكنوا بإبادة ضابط فرنسي برتبة [illegible] وأهدت لهم مدفعا رشاشا من نوع [illegible] وبندقية من نوع [illegible] وهي هدية لها معناها حسب جسامة العملية التي [illegible]

من اجلها . هذا وان القيادة العليا لترفع لكم نبأ استشهاد بطلين من ابطال الجزائر العظام بمزيد من الاسف والاسى وبسقوطهما عزيزين مكرمين في ميدان الشرف والبطولة . وهما القائدان المحنكان : عميروش [illegible] المسؤول العام للولاية الثالثة وسي الحواس [illegible] المسؤول العام للولاية السادسة واللذان [illegible] العدو [illegible] مهارتهما وموقعهما المستمد من الشجاعة النادرة والاخلاص المثالي [illegible] للمشيعة بمهمتهما ونفوسهما وارغمه على الاعتراف بهما لان هذه العملية [illegible] في جميع المواقف والميادين كانا من الشخصيات التي فرضت نفسها واحدثت [illegible] الخصوم من السؤدد والشرف . وساهمت فعالة في تركيز الثورة الجزائرية [illegible] والمحافظة عليها [illegible] وهي ترى امام هذه الكارثة [illegible] المنيعة [illegible]

لذا فقد اصدرت قرارا ينص باخذ الثار والانتقام لهما من عدوهما الذي حاول [illegible] وكرر [illegible] على مقاومته ومحاربته وتطهير التراب الجزائري العزيز من ادرانه وارجاسه وعملية الانتقام لهما تتم في هذا الشهر واجبة ان تكون العمليات [illegible] للدماء [illegible] وكلفت ذلك الى بطولة [illegible] الكفاح والجهاد والوطنية من ابناء الجزائر الابرار والمجاهدين الذين لا يبالون بالاهانة والاذى وخصوصا الكماة والفدائيين [illegible] وانه [illegible] العدو ومن اجلهما [illegible] ايها الابطال ان دماءهما التي كانت تفور [illegible] الوطنية [illegible] ومن [illegible] التي كانت [illegible] في ميدان الكفاح الوطني واصبحت [illegible] من تحت التراب وتدعوكم للانتقام والاخذ بالثار والوفاء بالعهد فهل انتم فاعلون

خطبة ألقاها الشيخ الشهي سي عيسى عند استشهاد عميروش وسي الحواس

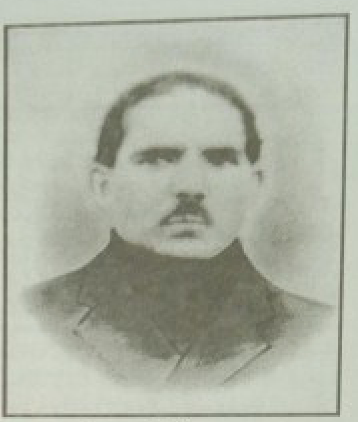

محمد بن عبد الله الزاهي الميلي

بوالطمين جودي لخضر

الاعلامي في الثورة علي مرحوم

العلامة محمد الصالح بن عتيق

العلامة محمد فارح

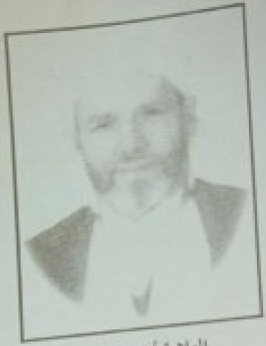

العلامة أحمد حماني

احمد بن علي أوسياف رفقة محمد أستاذه محمد الصالح بن عتيق وزملائه بمدرسة التهذيب بالميلية (محمد الصالح بن عتيق، احداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية)

342/377

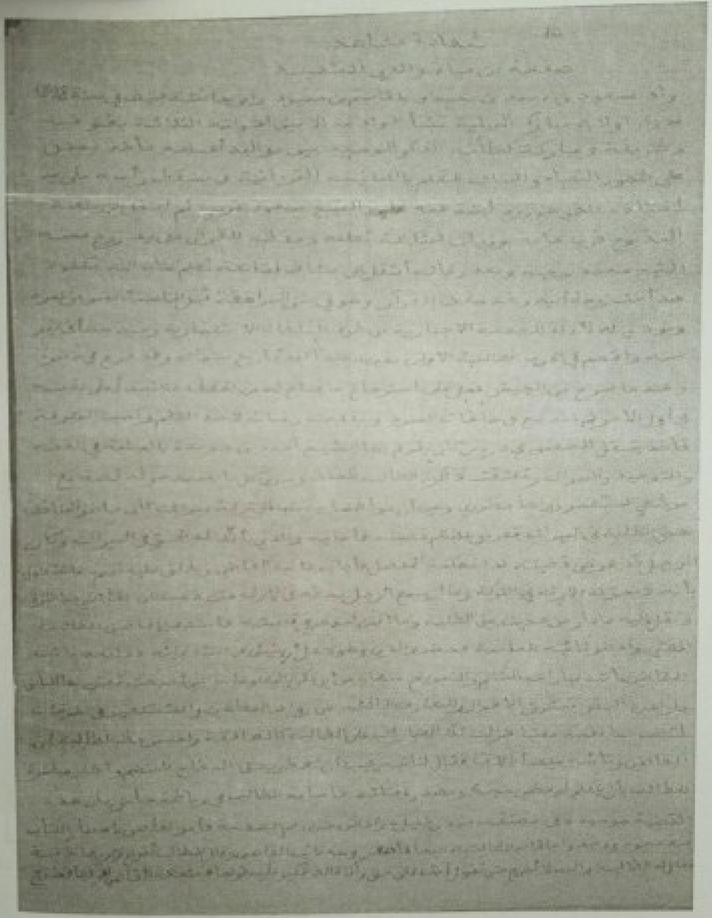

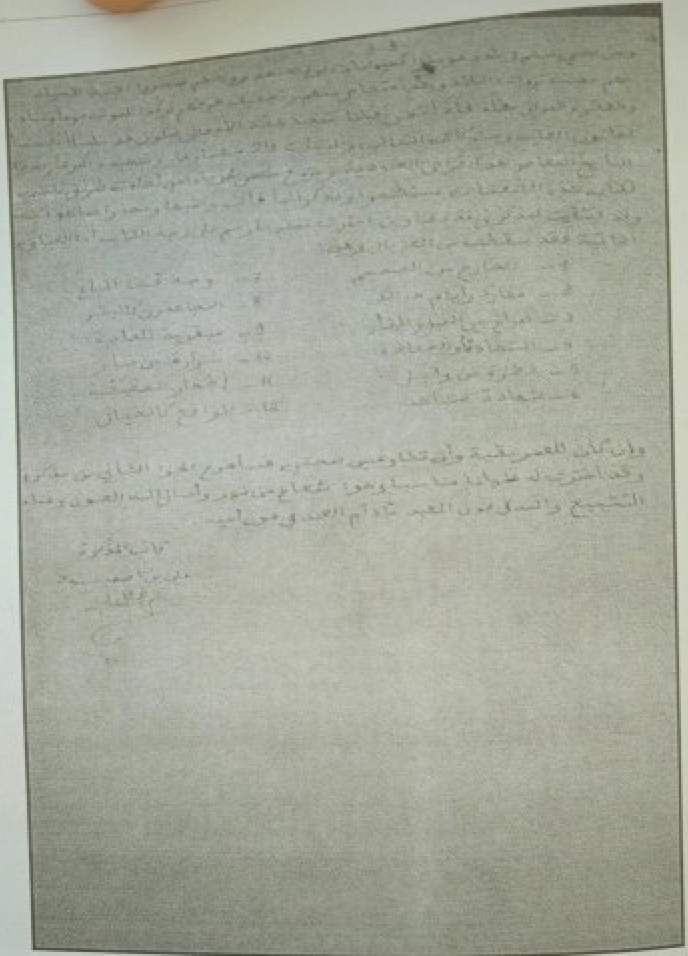

صورة من مخطوط: شرارة من نار ينتهي الاستدمار علي بن مسعود بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن حميود (قيد النشر بدار الألمعية قسنطينة).

*نبذة تاريخية *

المجد

عن الشهيد أوسياف أحمد

المدعو سي عيسى

هاته الصورة تم التقاطها سنة 1957

بقرية بوسعاية التابعة لدوار مشاط

الشهيد أحمد أوسياف المدعو سي عيسى (نبذة تاريخية صادرة عن منظمة المجاهدين –الميلية–)

أ. أحلام بوسالم

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة

البعد الإصلاحي في نشاط الشيخ أحمد حماني

- خلال الثورة التحريرية الجزائرية -

شهدت الحركة الوطنية الجزائرية مطلع القرن العشرين مرحلة حاسمة وهامة وفاصلة في صراعها مع الادارة الاستدمارية، وكان هذا بظهور المدرسة الوطنية الإصلاحية التي حملت لوائها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي احتوت كبار العلماء والفقهاء والنخبة الدينية السلفية، وحملت على عاتقها مسؤولية صلاح المجتمع الجزائري وإصلاح عقيدته والمحافظة والدفاع على هويته، وقد عملت هذه النخبة وتواصل نشاطها حتى بعد الإستقلال، ولعل أهم وخير ممثل لها ومكرس لنضالها ومتابع لمسيرتها في الفترة الاستدمارية وحتى بعد الإستقلال الشيخ أحمد حماني، الذي برز كعلم من علماء الإصلاح في الجمعية، واستطاع أن يخلق جيل يحمل مشعل الإصلاح،

346/377

وهذا بسبب نشاطه وعمله الثوري وتقلده مجلس الفتوى والتعليم بعد الإستقلال.

أولا : مولد الشيخ أحمد حماني ونشأته:

ولد أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني يوم الإثنين 26 شوال 1333هـ الموافق لـ 6 سبتمبر 1915م بقرية آزيار من دوار تمنجر دائرة الميلية بلدية العنصر[1]، غير أن بعض الوثائق تشير إلى أن والده غير تاريخ ميلاده إلى سنة 1920م، موضحة أن غاية والده من ذلك هو إكماله للدراسة قبل أن تدركه الخدمة العسكرية[2]، ينتمي إلى عائلة ذات رفعة ومكانة علمية وأدبية عاليتين، أما الجانب الجهادي فنالت شهرتها فيه وداع صيتها في مقاومة الاستدمار الفرنسي الغاشم ونبذ ظلمه وجبروته[3]، كان والده محمد حماني من رجال إدارة (آل ابن عز الدين)، الذين كانوا يحكمون تلك الجهة في أواخر الحكم العثماني الذي لم يخلو من الفتن والقلاقل[4]، ويذكر محمد الصالح بن عتيق في مذكراته أن والد الشيخ كان من بين علماء وفقهاء تلك المنطقة، ومن أنصار الإصلاح والمحاربين للطرقية، التي هي وسيلة الاستدمار في نشر البدع والخرافات، كما كان له وزن وكلمته مسموعة[5]، خاصة وأنه كان حريصا على بث الروح الوطنية الرافضة

1- **أحمد حداد**، الشيخ أحمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية، 1333- 1419هـ / 1915 – 1998م، تقديم عبد العزيز فيلالي، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2014، ص 74.

2- **سفيان عبد اللطيف**، التاريخ الكامل لمنطقة الميلية منطقة الوادي الكبير التاريخية من النشأة حوالي القرن 11ق.م إلى عام 1900م ج1، د.ط، نوميديا، ص278.

3- **أحمد عيساوي**، الداعية المصلح والفقيه المالكي المبرز الشيخ المرحوم أحمد حماني الزيتوني الجزائري 1333- 1419هـ / 1915 – 1998م، نشرت في كتاب تخرج الدفعة الخامسة عشر، ربيع الثاني 1423هـ- جوان 2002م لجامعة الأمير عبد القادر، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008م، ص 138.

4- **عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون**، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2004م، ص 65.

5- **محمد الصالح بن عتيق**، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، د.ط، دار دحلب، الجزائر، 1990م، ص 110.

للظلم، والذي جسدها جده مسعود، فقد كان حريصا على إنشاء كُتاب لتعليم أبناء القرية الدين الإسلامي واللغة العربية، ومن أولاءك المجاهدين الذين قاوموا جيوش الإحتلال الفرنسي الغازية لما حاولت إحتلال مدينة قسنطينة سنتي 1836م. 1837م[1].

ثانيا : تعليمه:

تلقى الشيخ أحمد حماني تعليمه الأول في مسقط رأسه على يد والده محمد، الذي تتلمذ لمدة سبع سنوات في قسنطينة[2] على يد الشيخ محمد الصالح بن مهنا[3]، تعلم القرآن وحفظه في مدة قصيرة على يد كبار الشيوخ والمعلمين وعلى رأسهم الشيخ حمو بن العربي بودن ويليه المعلم الشيخ يوسف بن المختار حماني، ولما بلغ سن الخامسة عشر من عمره ارتحل رفقة شقيقه الأكبر المسمى محمود إلى قسنطينة، حيث أتم حفظ القرآن الكريم هناك[4]، وبعد ذلك انضم كطالب مستمع لحلقات الشيخ رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضرحتى سنة 1930م، وإلى جانب دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس أخذ عن ثلة من خيرة الشيوخ وكبارهم في شتى العلوم أمثال الشيخ الرموشي، الذي تعلم على يده الصرف والفقه والتوحيد، وأخذ عن الشيخ الشريف الخنقي الصائغي الحساب والجغرافيا والتاريخ، كما كان يستفيد من دروس الشيخ الفيلالي الخنقي والفضيل الورتلاني..الخ من الشيوخ الأكفاء[5].

1- **أحمد عيساوي**، المرجع السابق، ص 139.

2- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص 74.

3- ولد محمد الصالح بن مهنا بقسنطينة سنة 1854م، كان من أكبر علماء عصره، واصل تعليمه بالأزهر ثم رجع ألى قسنطينة يحمل فكرة الإصلاح التي بثها الشيخ محمد عبدو، توفي سنة 1910م، ينظر : عبد الكريم بوالصفصاف، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 1، دار الهدى، 2002م، ص 126.

4- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص 74.

5- **عبد الكريم بوالصفصاف**، المرجع السابق، ج 2، ص 65.

كان الشيخ أحمد حماني من المشاركين في التحولات والصراعات التي شهدتها قسنطينة، أبرزها حضوره في المظاهرات الشعبية الكبرى التي كان يرأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس والدكتور إبن جلول سنة 1934م، حيث كانت تندد بعدم إغلاق المساجد الرسمية في وجوه العلماء ،كونها تراث الأجداد وتمثل صرحا دينيا وتربويا ضخما، كما كان شاهد عيان على أحداث أوت 1934م الدامية بقسنطينة[1] مما ترك بصمة وأثر واضح في تكوين شخصية أحمد حماني وتحديد وجهته[2]، وذلك جلي من خلال ماجاء به في كتابه (صراع بين السنة والبدعة) حيث قال: "كل هذا ترك أثره الواضح في تكويننا"[3]، في هذه السنة حضر الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة بدعوة من الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، ولأول مرة يحضر مثل هذه الإجتماعات ويستمع لكبار العلماء، والأدباء، والشعراء منهم : البشير الإبراهيمي، السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، إضافة إلى حضوره عين في لجنة الإنتخابات كأصغر الأعضاء الفاعلين بجانب المهدي البوعبدلي وقدور بن هونة[4].

إلتحق بجامع الزيتونة في شهر أكتوبر من سنة 1934م، وهناك تلقى العلوم وانتسب إلى المدرسة الخلدونية[5]، إجتاز امتحان شهادة التحصيل وتفوق فيه ليلتحق بالتعليم الزيتوني العالي، وفي سنة 1943م نال شهادة العالمية في العلوم الشرعية من جامعة الزيتونة، وهناك أخذ العلم عن الشيوخ الزيتونيين، تعلم اللغة الفرنسية وصار يتقنها[6]، ومنذ السنوات الأولى بتونس كان لأحمد

1- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص 78.

2- **أحمد حماني**، صراع بين السنة والبدعة ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984م، ص289.

3- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص 78.

4- **يحي بوعزيز**، مع الشيخ العالم أحمد حماني، نشرت في كتاب تخرج الدفعة الخامسة عشر، ربيع الثاني 1423هـ - جوان 2002م لجامعة الأمير عبد القادر، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008م، ص 29.

5- **أحمد عيساوي**، المرجع السابق، ص 140.

6- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص 87.

حماني الشاب دور فعال في إعادة بعث جمعية الطلبة الزيتونيين[1]، التي تأسست بإيحاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2]، وعاد إلى الجزائر سنة 1944م بعد أن قضى عشر سنوات في طلب العلم، مستفيدا من المناخ الثقافي والعلمي والأدبي والإعلامي، الذي كان سائدا بتونس الشقيقة آنذاك بعد بروز الخلدونية والصادقية كمدرستين حديثتين مرافقتين للزيتونة[3].

ثالثا: نشاطه في الثورة التحريرية المظفرة.

كان لاندلاع الثورة التحريرية المباركة في نوفمبر 1954م تداعيات كبرى، ليست فقط على الإدارة الاستدمارية وإنما أيضا على كتل وتيارات الحركة الوطنية، التي تباينت وتضاربت مواقفها بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، ومنها وجب علينا التساؤل حول موقف التيار الإصلاحي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة الفاتح نوفمبر 1954م ؟

كان ولا زال هذا الطرح محل نقاش وجدال مذكرات وكتابات القادة والفاعلين في الثورة، وفي الأوساط الأكاديمية والقراءات الأولية لهذا الموضوع يظهر تحفظ الجمعية عند بداية النشاط الثوري، إلا أن القراءة الموضوعية والدقيقة في هذا الصدد تأكد أن الجمعية وكبار كوادرها كانت مع الثورة بل إن نشاطها منذ عام 1931 م كان من أجل تلك اللحظة .

صحيح أن مفجرين ثورة أول نوفمبر المجيدة معروفين لدى جمعية العلماء المسلمين بل حتى لدى رفقائهم السابقين من اللجنة المركزية وأنصار مصالي الحاج، إلا أن هذا لم يمنع رجال الإصلاح من انضمامهم للثورة ودعوتهم لمساندتها، فالشيخ البشير الإبراهيمي أصدر من مكتبه بالقاهرة التابع للجمعية بعد يوم اندلاع الثورة بيانا عبر فيه عن مساندة الثورة، كما قدم وجهز

1- لمعرفة أوسع حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ينظر : **عبد الكريم بوالصفصاف**، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، 1931- 1945م، دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة، ط5، دار بهاء الدين 2013 م.

2- **احمد عيساوي**، المرجع السابق، ص 140.

3- **احمد حماني**، المرجع السابق، ص 133.

ووجه المجاهدين وقال لهم " فسيروا على بركة الله، وبعونه وبتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الوحيد إلى إحدى السبيلين : "إما موت وراءه الجنة، وإما حياة وراءها العزة والكرامة"[1].

وفي ظل تزايد نشاط وشعبوية الثورة وتزايد فعالية أفراد الجمعية فيها، جاء قرار الجمعية التاريخي والرسمي بالإنضمام لثورة الفاتح نوفمبر من عام 1954م، وبدوره الشيخ أحمد حماني أثبت وجوده في الثورة التحريرية وفي كتابه" صراع بين السنة والبدعة "يذكر أن مقار الجمعية كانت مراكز خفية ومنطلقا لعمليات ونشاطات جبهة وجيش التحرير، ويذكر أن دار الطلبة التابعة لمعهد إبن باديس منذ 1955م أصبحت تمثل معقلا للثورة، وكانت قاعدة ربط الإتصالات بين مناضلين عبر ربوع الوطن، وقد تولى الشيخ أحمد حماني مسؤوليات عديدة في الإتصال بالثوريين رغم خطورة الوضع وتكشفه لدى المخابرات الفرنسية إلى غاية جوان 1957م[2]، وقد أصدر الشيخ أحمد حماني ورفقائه بعد مضي ثلاثة أشهر من أول نوفمبر من عام 1954م بيانا سموه: "نداء إلى الضمير الفرنسي"، كان تقريرا حول ما اقترفته الإدارة الاستدمارية من جرائم، ولم تكن مراسلاته محلية فحسب بل كانت إقليمية وعربية أيضا[3]، ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الشيخ حماني كان يعتبر مرجعا دينيا ومفتيا بالمنطقة الثانية إلى جانب إيوائه للمجاهدين وقادة الثورة، لكن بالرغم من تفطن الإدارة الفرنسية لنشاطه الثوري واتصالاته إلا أنها تريثت في إلقاء القبض عليه، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن فرنسا كانت ترغب في كشف الشبكة المتخفية خلفه وكشف إتصالاته، حيث ألقت عليه الشرطة الفرنسية القبض متلبسا عند نزوله بالعاصمة يوم 11 أوت من سنة 1957م بحوزته رسائل ووثائق كان في مهمة حملها بين الولاية الثانية والولاية الرابعة،

1– أحمد حماني، المصدر السابق، ص 300.

2– أحمد حماد، المرجع السابق، ص134.

3– عبد الله مقلاتي، خريجو معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ودورهم في الثورة التحريرية، دط، دار العلوم، 2013، ص 85.

351/377

فتعرض بعد ذلك إلى التعذيب والاستنطاق بالعاصمة[1] بعدما حجزوا ما عنده من وثائق، وحوكم أمام المحكمة الفرنسية بتاريخ 23 سبتمبر 1958م، ثم نقل إلى قسنطينة ليتموا معه التحقيق، وتمكنت الحكومة الفرنسية من إلقاء القبض على البقية، وحتى لا يفر باقي أعضاء الخلية أشاعوا بواسطة أحد أعضاء الجمعية موثوق فيه بأن الشيخ أحمد حماني تم إطلاق سراحه، فوقعوا في الفخ وتم القبض عليهم منهم الصادق مخلوف، وحمادي الهاشمي وآخرون[2]، صدر ضده الحكم بالأعمال الشاقة بسجن الكدية بقسنطينة، ثم نقل إلى سجن تازولت . لامبيز . بباتنة يوم 6 نوفمبر من سنة 1958م[3]، ومكث هناك لمدة قرابة ست سنوات يواصل مهمته النضالية ويؤدي واجبه التو عوي للطلاب وحث رجال الجمعية على الالتحاق والانخراط بصفوف الثورة المباركة، إضافة إلى قيامه بواجبه التعليمي فيه[4]، لأنه كان يرى شأنه شأن رجال الإصلاح أن إصلاح التعليم هو أساس الإصلاح، ذلك أنه الدعامة الأولى الذي يرتكز عليها مستقبل الأمة، وحرصه على دعوة الشباب إلى العمل بالشريعة الإسلامية ومبادئها النبيلة السمحاء، مع ثلاثة من العلماء هم " الشيخ أحمد بوزيدي " خريج القرويين وتلميذ الإبراهيمي رحمهما الله، "والشيخ محمود عيسى البابي " خريج جامعة العراق وكليتها العسكرية، و"الشيخ الصادق مخلوف" الذي نال على شهادة تخرجه من جامع الزيتونة.

1- **مخلوف الصادق**، شاهد القرن: الشيخ أحمد حماني، نشرت في كتاب تخرج الدفعة الخامسة عشر، ربيع الثاني 1423هـ - جوان 2002م لجامعة الأمير عبد القادر، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008م، ص23.

2- **يحيى بوعزيز**، المرجع السابق، ص 31.

3- **عبد الكريم بوالصفصاف**، معجم أعلام الجزائر، ج 2، ص 71.

4- **مخلوف الصادق**، المرجع السابق، ص 23.

وهنا يمكننا القول أن سجن لامبيز قد تحول من سجن إلى معهد لمحاربة الجهل والأمية، بل وتعدى إلى برنامج تثقيفي كاملي يشمل فنون العربية من نحو وصرف وإنشاء وبلاغة، وعلوم الدين من توحيد وفقه وقرآن وحديث وسيرة، ورياضيات من حساب وهندسة، وجغرافيا وتاريخ[1].

وقد تمكن رئيس هيئة التدريس الشيخ أحمد حماني من جلب الكتب من وزارة التربية للحكومة الجزائرية المؤقتة التي كان مقرها بتونس برئاسة عبد الحميد مهري، بواسطة الشيخ محمد كحلوش[2] 27، إلى جانب ذلك كانوا يقومون بحصص ترفيهية للشباب، حيث يذكر الشيخ الصادق مخلوف في هذا الصدد "كما كونا فرقا رياضية في كرة القدم وكرة الطائرة للشبان المساجين"[3] بالإضافة إلى ذلك ساعد على تنظيم التعليم في السجن تحسن وضعية المساجين خاصة سنة 1959م ويرجع الفضل إلى نشاط منظمات حقوق الإنسان، وسماح إدارة السجن بإنشاء مكتبة للمطالعة من أجل تنمية القدرات المعرفية للطلاب[4]، وذلك من أجل تكوين المساجين تكوينا متينا يمكن للجزائر بعد استرجاع سيادتها وهويتها أن تعتمد عليهم كطبقة مثقفة تحمل المشعل للنهوض بالبلاد من جديد، وبسبب نضاله هذا تعرض في العديد من المرات إلى محاولات اغتياله من طرف السلطات الفرنسية، حيث يذكر المؤرخ يحي بوعزيز أن الشيخ أحمد حماني دبرت ضده عدة مؤامرات ومكائد كادت أن تقضي عليه، ومنها إضراب السجناء عام 1960م حيث وجهت له تهمة تدبيره لمطالبة ببعض الحقوق، لكنه وبفضل الله تعالى استطاع النجاة[5].

1- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص 31.

2- **عبد الكريم بوالصفصاف**، معجم أعلام الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص72.

3- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص 23.

4- **صالح فركوس**، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للإحتلال الفرنسي – المقاومة المسلحة 1830-1962م، د.ط، دار العلوم، ص315.

5- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص135.

وخلال سنة 1961م، أنشأ أحمد حماني ورفاقه مجلة " صوت السجين "التي كان لها صدى كبير[1]، وهكذا واصل الشيخ الجليل نشاطه الإصلاحي والتوعوي وراء القضبان وكله عزما على أن تحيا الجزائر إلى غاية إطلاق سراحه من السجن يوم 4 أفريل من سنة 1962م[2].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا العمل الذي كان يجمع بين النضال والجهاد والتعليم المنظم لم يكن مقتصرا على سجن الكدية وسجن تازولت فحسب، وإنما عم ذلك جميع السجون والمعتقلات عبر كامل التراب الوطني، فقد كانت السجون تعج بالأساتذة والمعلمين الذين استطاعوا بفضل خبرتهم وحنكتهم أن يحولوها إلى مدارس ومعاهد تسير وفق برامج تعليمية منتظمة، ومن بين هؤلاء الأساتذة الدكتور أحمد عروة من باتنة، الدكتور جناس من جيجل والمحامي عمار بن التومي[3].

رابعا : نشاط الشيخ أحمد حماني بعد الإستقلال .

لم ينقطع نشاط الشيخ أحمد حماني الإصلاحي بعد الإستقلال بل على العكس من ذلك، فلقد واصل دعوته الإصلاحية وتقلد مناصب عديدة ومهام جمعت بين التدريس والتفتيش والعضوية، فبادئ ذي بدء اتفق مع مجموعة من طلابه الذين أشرف على تعليمهم بسجن لامبيز لمتابعة تعليمهم، وذلك وفق برنامج تعليمي منظم يسير تبعا لرزنامة محددة بقاعة نادي الترقي، وقد تخرج منهم معلمون أكفاء وتحصل العديد منهم على شهادة الليسانس بعد النجاح في اجتياز مسابقة الدخول للجامعة، ومنهم من أصبحوا أساتذة جامعيين أو أساتذة في الثانويات[4].

1- المرجع نفسه، ص 136.
2- عبد الكريم بوالصفصاف، معجم أعلام الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص 72.
3- المرجع نفسه، ص 73.
4- المرجع نفسه، ص 73.

. عين الشيخ أحمد حماني بعد الإستقلال مديرا لمعهد الشيخ ابن باديس بقسنطينة، وذلك في شهر ماي 1962م، وتولى الإشراف على شؤون التعليم به، فدعا إلى إعادة تنظيم التعليم بأسلوب جديد يستقبل فيه الطلاب بمختلف أعمارهم، صغارا، شبابا ،كهولا وشيوخا، ذكورا وإناثا، وقد سجل فيه أكثر من ألفي طالب قسموا إلى أفواج، منها قسما تكميليا يضم شبانا وفتيات، كما كان اللإقبال على الدروس بحماس وإيمان، وقد سجل نجاحا لعددكبير من الطلبة في الإمتحان الإستعجالي الذي نظم لهم وتأهلوا للتعليم في الأقسام الإبتدائية[1].

. في مطلع سنة 1963م غادر الشيخ أحمد حماني قسنطينة ليباشر عمله في المعهد الجديد الذي كان ما يزال تأسيسه عبارة عن فكرة، وساهم في إنشائه وبدأ عمله فيه كمدرس في أواخر فيفري من نفس السنة[2].

. أنتدب للتدريس في كلية الآداب بجامعة الجزائر وظل بها لمدة عشر سنوات متتالية إبتداءا من سنة 1963 إلى غاية سنة 1973م[3].

. ترأس لجنة الفتوى والإرشاد بوزارة الشؤون الدينية بعدما كان متطوعا بالإطلاع على بعض مهامها وإلقائه للدروس في المناسبات الدينية، وقيامه ببعض الرحلات مع المسؤولين إلى بعض المناطق[4].

. عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1966م ورئيسا له منذ 1972م[5]، وظل يتحمل مسؤوليته كاملة، وأول مهمة كلف بها خارج الوطن أنه سافر للمشاركة في مؤتمر الفقه الإسلامي

1- سفيان عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 278.

2- محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2004م، ص 294.

3- بلقاسم شعوان، الأستاذ الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وملاحظات المجلس على الأبواب الثلاثة لملف السياسة الوطنية للأسرة، نشرت في كتاب تخرج الدفعة الخامسة عشر، ربيع الثاني 1423هـ، جوان 2002م لجامعة الأمير عبد القادر، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008م، ص75.

4- عبد الكريم بوالصفصاف، معجم أعلام الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص75.

5- محمد الهادي الحسني، المرجع السابق، ص294.

الذي عقد بالجماهيرية الليبية عام 1972 م، وفي السنة ذاتها حضر ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي بالجزائر، والذي حضره العلماء من مختلف أصقاع العالم مسلمين وغير مسلمين، واستطاع العلامة أحمد حماني أن يشارك فيه مشاركة فعالة ومجدية، وهكذا استمر في حضور الملتقيات التي كانت تنظم داخل الوطن وخارجه، ومن العواصم الذي كان قد زارها : تونس، القيروان، القاهرة، ليبيا، مكة المكرمة، الرياض، الطائف، لوكنتو بالهند، كابل بأفغانستان، نوا قشط بموريتانيا، قرطبة بإسبانيا، اسطنبول بتركيا الكويت، بغداد بالعراق، طهران بإيران، بروكسل بيلجيكا وأخيرا موسكو بروسيا[1].

. عين عضوا مؤسسا لرابطة العالم الإسلامي وممثل للجزائر فيها[2].

. أنتخب عضوا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد[3].

. أنتخب عضوا في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني، وشارك في العديد من المؤتمرات كالمؤتمر الرابع ثم المؤتمر الإستثنائي، ثم شارك في المؤتمر الخامس فكان حضوره مشرف والآذان إليه صاغية ومكانته عند شعبه مرموقة، خاصة وانه كان يتحلى بالأخلاق السامية والنبيلة يتصدرها التواضع والوفاء[4].

خامسا : آثاره .

لقد ترك الشيخ أحمد حماني موروثا تاريخيا، أدبيا ودينيا ضخما تفتخر به الأجيال عقدا بعد عقد، حيث ألف العديد من الكتب نشر البعض منها وهو على قيد الحياة أما البعض الآخر فنشرت بعدما وافته المنية يوم الإثنين 5 ربيع الأول سنة 1419هـ الموافق لـ29 جوان 1998م رحمة الله عليه وهي :

1- **عبد الكريم بوالصفصاف**، معجم أعلام الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص75.
2- المرجع نفسه، ص75.
3- **أحمد حداد**، المرجع السابق، ص104.
4- المرجع نفسه.

1 . كتاب الصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس بجزأيه الأول والثاني، طبع سنة 1984م بدار البعث في قسنطينة .

2 . رسالة الدلائل البادية على ظلال البابية وكفر البهائية، طبع سنة 1984م بدار الشهاب في باتنة .

3 . الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام وقضية إمام يجتهد في إبطال مذهب إمام .

4 . فتاوى الشيخ أحمد حماني " إستشارات شرعية ومباحث فقهية " في ثلاثة أجزاء، طبع جزأين منها سنة 1991م ضمن منشورات وزارة الشؤون الدينية، أما الجزء الثالث فنشرته دار قصر الكتاب سنة 2001م أي بعد مرور ثلاث سنوات من وفاته .

5 . كتاب شهداء علماء معهد ابن باديس : صدر بعد رحيل الشيخ حماني .

إضافة إلى ذلك له مؤلفات مخطوطة بيده، أو مكتوبة بالآلة الراقنة، منها مقالات في العقيدة كمفهوم العقيدة، وفي التراجم كتاب "هدي محمد صلى الله عليه وسلم في الحرب"، أيضا له مقالات في العبادات منها نشأة المذاهب الفقهية والمذاهب الأربعة[1].

وفي الختام يمكننا القول أن سر نجاح نشاط الشيخ المجاهد أحمد حماني الدعوي والإصلاحي سواء قبل اندلاع الثورة التحريرية أو في خضم الثورة وعنفوانها، أو حتى بعد الإستقلال يرجع بالأساس إلى تشبعه بمبادئ حركة الإصلاح الحديثة، التي سعت جاهدة لتحرير العالم الإسلامي من الاستدمار الغاشم، وما خلفه من جهل وأمية وبدع وخرافات، ومحاربة أساليبه بكل أشكالها هذا من جهة، واستخدامه لـ عدة أساليب دعوية جمعت بين الخطابة والوعظ والتلقين والتوجيه والحث والتشجيع والكتابة، وعقد المؤتمرات المتخصصة والعامة، وبث روح الأمل في الشعب الجزائري ودعوته للتخلص من اليأس والتشاؤم والقنوط من جهة أخرى .

1- المرجع نفسه.

357/377

ملاحق البحث:

صورة الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في استقبال وفود

358/377

صورة الشيخ حماني يؤم الناس في السجن

359/377

الشيخ أحمد حماني مع الرئيس الجزائري اليمين زروال

الشيخ أحمد حماني مع بعض العلماء من الشام

أ. أمينة بوبصلة

جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل

إسهام الطُّلْبَة (معلمي القرآن الكريم) في الثورة التحريرية

- الإمام المجاهد الشيخ صالح بن محمد بوحلّي أنموذجا -

دور الطُّلْبَة معلمي القرآن في الثورة التحريرية.

المقصود من "**الطُّلْبَة**": هم ابناء الجزائر الذين حفظوا القران الكريم وأتقنوا علومه وتعلموا الفقه والتفسير والحديث والسير وحفظوا بعض المصنفات والمتون في اللغة العربية وعلم التجويد والعقيدة والتوحيد وأغلب هؤلاء مجازون للتعليم وتزكية من مشائخهم لا سيما مشائخ الزاويا التي كانوا يفدون إليها لحفظ القرآن والإحاطة بعلومه.

361/377

علاقة الإحتلال الفرنسي بالتعليم في الجزائر:

إن أي إحتلال يريد ترسيخ أقدامه في الارض التي احتلها يعمد أولا إلى محو الهوية الخاصة للدولة المحتلة حتى لا تبرز على المسرح الدولي كبلد له كيانه المتميز عن دولة الإحتلال ،كانت فرنسا تدرك هذه المعادلة جيدا ،وكانت تدرك أيضا أن أقصر سبيل لتحقيق هذا الهدف هو التعليم، وأعتقد أن مأساة التعليم في الجزائر من بداية الإحتلال إلى ما بعد الإستقلال وحدها قضية تحتاج إلى عشرات الملتقيات.

يكفي أن نشير إلى أن ألف مدرسة جزائرية أغلقت بمجرد دخول الإستدمار، كما أحرقت عشرات المكتبات العامرة بنفائس الكتب وحولت مئات المساجد إلى كنائس أو بارات واسطبلات إمعانا في حقد الإحتلال الفرنسي على الإسلام كمكون أساسي من مكونات الهوية.

يشير رابح تركي إلى أن السياسة الفرنسية للتعليم قامت على أربع ركائز:

1- فرنسة التعليم في جميع الأطوار فرنسة كاملة فكرا ولسانا وثقافة

2- محاربة اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية دخيلة في الجزائر .

3- محاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام من خلال إلقاء ظلال من الشك حول إنتماء الجزائر إلى محيطها العربي والإسلامي

4- محاولة إسقاط الإسلام كعقيدة تفرض على أتباعها الجهاد ضد المحتل.

وفي سنة 1930 في إحتفالية القرن بمناسبة مرور مائة عام على إحتلال الجزائر مرر رئيس جمهورية فرنسا أخطر رسالة على الإطلاق عندما قال: **"هذه الإحتفالات إنما هي لتشييع جنازة الإسلام في الجزائر"**، لقد كانت هذه الإحتفالات وتلك الرسائل والتصريحات بمثابة الصدمة الكبرى التي أيقظت معها أحرار الجزائر من شمال البلاد إلى جنوبها ومن شرقه إلى غربها.

وعلى الرغم من ارتفاع نسبة الامية واتساع مساحة الخرافة بين الجزائريين إلا أن هذا الشعب أحسن قراءة هذا الواقع الجديد الذي فرضه الاحتلال بشكل جيد، وأندفع إلى الحركة من أجل استعادة الوطن المحتل واحدا موحدا بعقيدته الإسلامية ولغته الأصلية وتراثه الحضاري ومحيطه

التاريخي والجغرافي الصحيح، وهذا ما يفسر ظهور كثير من الجمعيات والحركات والأحزاب السياسية بعد تاريخ 1930.

دور معلم القرآن في حفظ الهوية الوطنية وتأسيس الجيل الثائر:

في الوقت الذي كان المعلم الفرنسي الخبيث يقدم مادة التاريخ لبعض أبناء الجزائر ممن أتيح لهم التعليم في المدارس الفرنسية تماما كما يقدمها صديقه في مقاطعة "النورماندي" قائلا: رددوا معي أيها الصغار وقولوا : كانت بلادنا قديما تسمى الغال"la Gaul"، وكان أجدادنا يسمون الغاليين "Les gaulois"، في هذا الوقت كان معلم القرآن الجزائري الحر في الزوايا الأصلية وللمدارس العربية والكتاتيب التي أقامها الشعب الجزائري بتبرعاته الخاصة في زوايا المدن العتيقة وفي رؤوس الجبال ،في القرى والمداشر ،في الهضاب والسهول والتلال ،في أقاصي الصحاري والرمال.. كان هذا المعلم يعلم أبناء الجزائر قائلا: "رددوا معي أيها الأبطال واحملوا على أكتافكم هذه المدافع : لنا إسلامنا ولفرنسا مسيحيتها لنا عربيتنا ولفرنسا فرنسيتها لنا تاريخنا ولفرنسا تاريخها لهم أرضهم والجزائر أرضنا منها خرجنا وفيها درجنا وعليها نحيا أحرارا أو نموت شهداء."

جاءت بعد ذلك مدارس جمعية العلماء المسلمين لتدعم هذا النهج الأصيل في التعليم تحت شعار النشد الخالد للإمام ابن باديس رحمه الله:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب.

إذا لقد كان هذا هو الدور الطلائعي وهذه هي الرسالة النبيلة التي انبرى لها المعلمون والمشايخ والطلبة الذين تخرجوا من آي القرآن وصاغوا حياتهم وفق منهج الرحمن وسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم فكان أن وصلت رسالتهم إلى قلوب وعقول الجزائريين بأيسر الطرق فقد كانت منسجمة مع ذاتهم معبرة عن أهدافه وغاياتهم، معززة لرؤيتهم القريبة والبعيدة في التخلص الكامل من الاحتلال الفرنسي للجزائر وما لبث أن أثمرت هذه الجهود ثورة مباركة عز نضيرها

في تاريخ الشعوب المعاصرة، وفي هذه المدارس الرائدة تأسس الوعي الكامل بالذات الوطنية والشخصية الجزائرية الحرة والمتميزة عن كيان الاحتلال ومن جنباتها رسم طريق الخلاص.

وفي هذه العجالة سأرفع ستار الغبن وللمرة الأولى عن قامة كبيرة للجهاد من هذه الولاية (جيجل) رصفت طريقها إلى الحرية بالحبر والدم، شخصية ربت وعلمت ووجهت ونظمت وخططت للثورة وأبلت في الجهاد بلاءا حسنا عاشت في الظل وتألمت في الظل ورحلت في الظل وآن الأوان أن تبعث حية في هذا الملتقى للأجيال الجديدة وأن تخرج إلى نور الشمس "الشيخ الإمام المجاهد المصلح صالح بن محمد بوحلي " أنموذجا.

أسرته ونشأته:

ينحدر الشيخ صالح بوحلي من عرش الشماشمة بمنطقة "قاوس" القريبة من عاصمة الولاية جيجل، كان والده محمد أحد أعيان ووجهاء العرش من الذين أبدوا رفضهم التعامل مع الاحتلال في تفاصيل الحياة اليومية المتعلقة بحياة الناس الأمر الذي جعله عرضة للمضايقات المتكررة من قبل السلطات الفرنسية حتى قررت أخيرا إجباره وعائلته على الرحيل من أرضه وعرشه على غرار معظم العائلات الجزائرية التي كانت تجبرها على مغادرة أراضيها في محاولة بائسة لطمس هويته الجزائريين باقتلاعهم من جذورهم كان ذلك في بداية القرن العشرين عندما اضطر الشيخ محمد بوحلي وهو رب أسرة كبيرة أن يغادر بيته وأرضه بمنطقة الشماشمة (ولاية جيجل) واتجه إلى الداخل شرقا إلى إن استقر به المطاف عند رأس فرجيوة ولاية ميلة حاليا فازدانت هذه المنطقة بولادة الإمام الشيخ صالح عام 1915 حيث نشأ وترعرع في كنف أسرة شديدة التمسك بأصالتها الوطنية شديدة الحرص على التزام قيم الدين الإسلامي ومبادئه.

تعليمه:

كان لأسرته الأثر البالغ في اندفاع الشيخ صالح مبكرا نحو كتاب القرية وولوعه بحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتلقى علومه على يد شيوخ القرية ولقد ساقه شغفه بالعلوم الدينية وعلوم اللغة العربية إلى الزاوية " الحملاوية " بمنطقة " تلاغمة " ولاية ميلة حيث مكثت بها أربع سنوات ينهل

فيها من رحيق العلوم الفقهية واللغوية والقرآنية وأظهر ذكاء مبكرا ونباهة متوقدة وبديهة حاضرة ونشاطا متوثبا الأمر الذي جعل شيوخه يلحون عليه ضرورة مواصلة تعليمه بجامعة الزيتونة قبلة العلم والعلماء — في تلك الفترة طرح الأمر على والده الشيخ محمد الذي وقف عاجزا أمام طموح ولده، الشيخ صالح وقلة ذات يده، حاول جاهدا تأمين المال اللازم للتكفل بنفقات البعثة العلمية إلى تونس فلم يقدر كان الرجل كثير العيال، وآلمه أن رأى ملامح الحسرة على وجه ابنه غير أن ذلك لم يحبط عزيمة الشيخ صالح ولم يحل دون استمراره في تحصيل العلوم والمعارف بشتى الوسائل والطرق. كان الرجل مولعا بالمطالعة والبحث في بطون كتب اللغة والفقه والتفسير والأدب والتاريخ والثقافة المختلفة وظلت تلك عادته التي لازمته حتى لحظة وفاته.

استدعاؤه للخدمة العسكرية:

استدعي من قبل السلطات العسكرية الفرنسية للخدمة العسكرية مجبرا بين عامي 1936 و1938 ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية اقتادته فرنسا قسرا مع كثير من شباب الجزائر للتجنيد والمشاركة في الحرب إلى جانب الحلفاء ،فانتقل لقتال النازية في أوروبا يحذوه أمل كبير في رؤية بلاده تنعم بالحرية والاستقلال — كما كانت فرنسا توهم الشعب الجزائري آنذاك — في وعدها الغادر باستقلال الجزائر.

العودة إلى أرض الوطن ومجازر الثامن ماي

عاد الشيخ صالح بوحلي إلى الجزائر مع مطلع عام 1945 ،عاد إلى مسقط رأسه بفج مزالة بمنطقة فرجيوة وأنحفر عميقا في سرائره مظاهر البؤس والفقر والمسغبة التي وجد عليها أبناء قريته وأبناء الشعب الجزائري عموما هذا المشهد المأساوي الذي اكتمل بالمجازر المروعة في الثامن مايو من عام 1945 التي اهتز لها ضمير الإنسانية والتي ستظل وصمة عار في تاريخ الإرهاب الفرنسي فقد الشيخ صالح زوجته الأولى وولديه في قصف بالطائرات وقبل ذلك كان فقد الأمل في الالتحاق بالجامعة الزيتونية — بتونس— وقد كان من المؤهلين الأوائل في الزاوية الحملاوية العتيقة — بالتلاغمة — والتي كانت تسمى " الزيتونة الصغرى " لتشابه مناهج التدريس بهما.

بدايات التخطيط الفعلي للثورة المسلحة

كان الشيخ صالح يتردد بين الفينة والأخرى على الزاوية الحملاوية التي تتلمذ فيها حتى أصبح معلما مجازا لتحفيظ وتعليم القرآن وكان شيخ الزاوية آنذاك " سيدي عمر بن الحملاوي الذي تزايد عدد الطلبة في عهده بشكل كبير قد بدأ تحضيرهم عمليا للجهاد في سبيل الله ،ولاقى ذلك عند الشيخ صالح ضالته التي سعى إليها وعندما اندلعت الثورة المباركة سنة 1954 كان طلبة هذه الزاوية في طليعة المجاهدين بأمر من شيخ الزاوية وتحولت في تلك الفترة إلى مركز ثوري يأوي الجنود ويمدهم بالغداء واللباس والسلاح، ورجع الشيخ صالح إلى بيته وأخبر والده بأنه عازم على الرحيل إلى " الزيتونة " فتعجب الوالد: فقال له: لا أقصد الزيتونة التونسية بل زيتونة آبائي وأجدادي بأعالي مدينة جيجل، وكان ذلك لغرض في نفس الشيخ.

العودة إلى أرض الأجداد بجيجل:

في نهاية عام 1945 حل الشيخ صالح بعرش الشماشمة أرض آبائه وأجداده وقابله الأهالي بترحاب كبير فأنشأ كتابا لتحفيظ القرآن وتدريس علومه وكذا تعليم أصول اللغة العربية وقواعدها للصغار والكبار وسرعان ما استقطبت حلقته العلمية عددا كبيرا من الراغبين في العلم من القرى والمد اشر المجاورة،الأمر الذي جعل الأهالي يفوضونه في تسيير شؤونهم وفض نزاعاتهم وإيجاد الحلول لمختلف مشكلاتهم استغناء منهم على تدخل السلطة الفرنسية.

استغل الشيخ ارتفاع منسوب الوعي لدى الأهالي واكتسابه ثقتهم المطلقة ،فانتقل إلى مرحلة جديدة في بث الوعي الثوري ونشره بين الناس وأن الإستدمار الفرنسي ليس قدرا محتوما على الشعب الجزائري وكان بعض الوشاة قد بدؤوا يتتبعون حركته ويرسلون تقاريرهم إلى السلطات الفرنسية التي بدأت بالتطبيق على معلمي القرآن، فاتجه الشيخ إلى منطقة " الريحانة " بلدية تكسانة حاليا فاستقر هناك وتزوج من إحدى بنات القرية تدعى " فاطمة راموس" وأنشأ كتابا جديدا كان الهدف من ورائه إعداد الشباب للثورة التي استشعر قربها .

التنظيم السري لدعم الثورة:

عند اندلاع الثورة سنة 1954 بادر الشيخ صالح الاتصال السري بمجاهدي المنطقة عن طريق بعض معارفه من المجاهدين منهم الشهيد " بن عثمان الجري " واختار من طلبته – ممن كان يتوسم فيهم الروح الوطنية العالية والرغبة الشديدة في الجهاد – فكان يقدم لهم حلقات علمية خاصة تتعلق بتفسير آيات الجهاد ثم قسمهم إلى أفواج سرية لا يعلم فوج شيئا عن الفوج الأخر وعين على رأس كل فوج رئيس وأسند لكل فوج مهمة القيام بعمل تخريبي معين يطال سلطات الاحتلال الفرنسي وممتلكات المعمرين، فمنهم الفوج المختص في قطع أسلاك الهاتف والكهرباء، ومنهم المختص في حرق حقول للعمرين، ومنهم المختص في قطع الطرقات ..إلخ، إضافة إلى أفواج خاصة بجمع الاشتراكات وجمع الأسلحة،ولما أحست فرنسا بخطورة الوضع وعجزها عن كشف المسؤول الحقيقي للعمليات التخريبية لجأت إلى قنبلة المنطقة بأسرها فأحرقت الكتاب وحرمتهم من التعليم فانتقل سرا إلى التعليم داخل طاحونة لعصر الزيتون تعود لخال زوجته ما تزال قائمة في مكانها إلى يومنا هذا .كان " للطالب " أو معلم القران حظوة خاصة عند الأهالي الأمر الذي يسر للشيخ تنظيم الثورة في منطقته.

وقوعه في قبضة البوليس الفرنسي:

لم يتوقع أحد في المنطقة أن معلم القرآن الوديع الذي كان يعلم أبناءهم القرآن والعربية نهارا هو نفسه قائد أفواج التخريب ليلا، لقد كبد وطلبته فرنسا خسائر فادحة على مدار سنتين كاملتين من سنة 1955 إلى سنة 1957 أين ألقت السلطات الاستدمارية القبض عليه على طريق تاكسنة جيجل – بسبب وشاية أحد الخونة – وكان بحوزته دفترا يحتوي على قوائم خاصة بأفواج التخريب بأسماء مستعارة وقائمة أخرى بأسماء دافعي الإشتراكات.

كان إلقاء القبض على الشيخ صالح بوحلي حدثا بارزا كتبت عنه الصحف الفرنسية يومها تقول: "لقد سقط المخرب اللغز أخيرا في قبضة البوليس". أقتيد الشيخ إلى السجن ورغم التعذيب الشديد الذي طاله ووقوفه أربع مرات أمام محكمة بجاية لم تستطع السلطات الفرنسية أن تحل

شيفرة القائمة السرية التي ضبطت بحوزته ولم يفتك منه إسما واحدا وإن كانت قد بدأت في مطاردة واستجواب عددا من طلبته الذين فر معظمهم إلى الجبال والإلتحاق عمليا بالثورة أذكر من بينهم المجاهد بوجمعة بن سوهالي والمجاهد صالح عطوب والمجاهد صندل علي المدعو البشير.

الحكم بالإعدام ورحلة الشيخ داخل السجون الفرنسية:

في 28 جوان 1957 حكم على الشيخ صالح بالسجن مدى الحياة مع الأشغال الشاقة ،أحد عشرة يوما في جيجل وستة أشهر في بجاية وثلاثة أشهر في سجن " لامبيس" بباتنة ثم رحل ضمن قائمة أخطر للمساجين على أمن فرنسا إلى سجن الحراش وفي هذا السجن إلتقى بالمجاهد الكبير الراحل رابح بطاط أين حولا السجن إلى فرصة لإذكاء روح الثورة في المساجين ومن سجن الحراش رحلا معا إلى السجون الفرنسية بفرنسا .

قضى الشيخ صالح ستة أشهر في سجن فرساي وثلاثة عشر يوما في تولوز وسنة كاملة سجن لوروا حيث رأى من ألوان العذاب والتنكيل ما انهك جسده الضعيف ولم يزده ذلك إلا إصرارا على مقارعة العدو في عقر داره.

وفي 31 أوت 1960 تم ترحيله مجددا من فرنسا إلى الجزائر للمثول أمام المحكمة العسكرية بقسنطينة كشاهد على مجموعة من طلبته المشتبه في انتمائهم للثورة ،استطاع بحنكته أن يضلل المحكمة مستندا إلى الأسماء المستعارة للأفواج التي كانت مدونة على دفتره فأنكر تطابق الأسماء مع أولائك الطلبة اللذين اضطرت المحكمة إلى تبرئتهم، أما الشيخ فقد حول إلى سجن "لومباز" بتازولت ولاية باتنة .

لقاؤه بالشيخ أحمد حماني:

من عجيب الأقدار الإلهية أن يلتقي الشيخ صالح في سجن تازولت بالشيخ أحمد حماني ولفيف من المشايخ وعلماء جمعية العلماء المسلمين من المحكوم عليهم بتهم متعددة – وإن كانت التهمة الحقيقية التي جمعتهم هناك هي حبهم لوطنهم وإخلاصهم لدينهم وإيمانهم بمبدأ الحرية للجزائر كخيار وحيد لا رجعة عنه– وسرعان ما تحول السجن بهذا الحشد المميز من الأئمة والمثقفين إلى

قلعة حقيقة للتواصل العلمي والثقافي روت بعضا من عطش الشيخ صالح وطموحه العلمي، فقد تم تنظيم الد حين وتقسيمهم إلى أفواج يتولى بعد ذلك الشيوخ والعلماء تعليمهم بطريقة منظمة.

وفي تلك الفترة نشأت بين الشيخ أحمد حماني والشيخ صالح بوحلي علاقة قوية ميزها الوفاء لخط الجهاد الذي ظل قائما بينهما وامتدت هذه العلاقة إلى ما بعد الإستقلال وما كان الشيخ احمد يزور جيجل إلا وبادر بالسؤال عن صديقه ورفيق سجنه الشيخ صالح بوحلي.

وحدثني الشيخ صالح عن مرة زاره فيها الشيخ حماني بمقر سكناه الكائن بمدرسة البنات بوسط مدينة الطاهير رفقة مدير الشؤون الدينية الأسبق السيد حرات، يقول الشيخ صالح : لقد كان الشيخ أحمد يملك رهافة حس لا توصف فقد كنت أسير معه لتوديعه فتعثرت بسبب قطعة مكسورة من البلاط عند مخرج البيت ولاحظ عثرتي فقال: والله ماقدروك حق قدرك يا شيخ صالح وكان الأولى أن يعبدوا طريقك بالورود.

يقول الشيخ صالح ولم يمض على هذه الحادثة إلا أياما قلائل حتى جاء عمال البلدية فأصلحوا مدخل بيتي، علمت فيما بعد أن ذلك كان بأمر عاجل من الشيخ أحمد حماني الذي إتصل شخصيا بسلطات بلدية الطاهير لهذا الغرض، وظل الشيخ أحمد حماني يشهد للشيخ صالح بالكفاءة العلمية والأخلاقية ويلقبه بالعلامة عرفانا بعلمه وتزكية لخلقه.

إستقلال الجزائر عام 1962.

إستقبل الشيخ صالح لحظة الإستقلال في سجن تازولت الذي غادره بعد ذلك لمنطقة فرجيوة مع عائلته أين تم تعيينه قاضيا في تلك المناطق غير أن هذا المنصب لم يرض طموحه الكبير في نشر العلم والمعرفة فقرر الإستقالة والانتقال إلى مدينة جيجل ومن ثم الإلتحاق بسلك التربية والتعليم رغبة منه في نشر العلوم الأصلية وتنشئة أجيال الإستقلال أخلاق الرجولة والفضيلة وعين بعد ذلك معلما في مدرسة الحياة بوسط مدينة جيجل بين عامي 1963-1965و انتقل بعد ذلك إلى مدينة "الطاهير" مدرسا للغة العربية بمدرسة البنات سابقا-عقيلة بومحروق- حاليا واستقر هناك من سنة 1966 إلى أن أحيل على التقاعد مع بداية الثمانينيات.

369/377

إمامة مسجد بوشرقة بالطاهير

كان الشيخ صالح جذوة من النشاط لاتخبو ولا تنطفيء، بعد إحالته على التقاعد بادر إلى تأسيس جمعية دينية وقام بتشييد مسجد الإمام علي كرم الله وجهه في حي بوشرقة بالطاهير حيث كان يشرف بنفسه على أشغال البناء بل وكان ينقل مواد البناء بيديه أو على ظهره ويعتبر ذلك قربى لله تعالى وتم تعيينه إماما خطيبا بهذا المسجد سنة 1983 بتزكية مجموعة من المشايخ والعلماء على رأسهم الشيخ أحمد حماني –رحمه الله– الذي كان يشغل أنذاك رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وفي هذا المسجد استطاع أن يستقطب عددا كبيرا من شباب مدينة الطاهير والبلديات المجاورة لها حيث كان له الأثر الكبير في استقامة الشباب وفق أمر الله سبحانه وتعالى وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم. كما كانت تجمعه علاقات طيبة مع أئمة الولاية وعلى رأسهم الشيخ العلامة محمد الطاهر الساحلي إمام المسجد الكبير بمدينة جيجل الذي وافته المنية في 10جانفي 1990م ونظرا لهذه العلاقة الخاصة فقد كلف من طرف نظارة الشؤون الدينية آنذاك بإعداد وإلقاء الكلمة التأبينية في جنازة المرحوم.

مرضه ووفاته:

في عام 1991 تخلى الشيخ صالح عن الإمامة بعد مرض عضال ألم به مما جعله دائم التنقل بين المستشفيات غير أنه وبرغم كبر سنه ومرضه المزمن ونصيحة الأطباء له بعدم إجهاد نفسه ما إن يستشعر في نفسه شيئا من الراحة حتى يشد رحاله إلى الزاوية الحملاوية–بالتلاغمة–بدعوة من شيخ الزاوية فيمكث بها الأسبوعين والثلاث وأكثر يعلم القرآن كما ظل وهو على هذه الحال يلازم مكتبته المتواضعة يطالع ويقرأ ويجيب عن أسئلة الناس الفقهية وظل يستقبل زواره ومحبيه يحاورهم ويعلمهم ويستعين بذاكرته القوية في إستدعاء المعلومات والذكريات والاشعار وأخبار الصحف والنوادر والطرائف بحيوية غريبة قلما تجدها في شيخ بمثل عمره.

الشيخ صالح الإنسان:

لقد استطاع هذا الشيخ الجليل بروحه الطيبة المرحة وعلمه الغزير وقربه الشديد من واقع المجتمع وهموم الناس وطموح الشباب أن يحتوي الجميع وكل من يقترب منه يشعر كأنه الصديق الأقرب إلى الشيخ ،كان شديد الاهتمام بقضايا الناس ساعيا بكل ما أوتي إلى مساعدتهم ،كريم اليد إلى أبعد الحدود واصلا لرحمة ،فقد كان يشد الرحال إلى فج مزالة حيث بقى إخوته وإخوانه وأبناؤهم هناك يساعد من يحتاج المساعدة منهم ويوجههم ويرشدهم إلى الصلاح وكان قدومه إليهم كقدوم الفاتحين ومازالوا إلى يومنا هذا يرددون كلماته الحكيمة ،كما هو شأن أهل الطاهير وأهل جيجل الكرام الذين يطلقون عليه اسم " عمي صالح " اشتهر الشيخ صالح كذلك بلقب "بوسباطة" حتى أصبح اسم علم يطلق على عائلته وعن قصة هذا اللقب حدثني مرة قائلا: لم يتسن لي أن أنتعل الحذاء حتى بلغت العاشرة من العمر وقد ألفت قدماي أديم الأرض بحجارتها وأشواكها ووحلها وبردها فلما انتعلته أول مرة فكانوا يدعونني به: جاء بوسباطة وذهب بوسباطة حتى اشتهرت بهذا اللقب، كان الشيخ صالح يضحك بشدة وهو يقول : لقد كان حرصي شديدا ألا يمس الحذاء بأذى أكثر من حرصي على قدماي كانت هذه الحادثة تنبئ على واحدة من صور البؤس والحرمان التي بلغها أبناء الشعب الجزائري المحاصر في تلك القرى والمشاتي النائية وسألته ذات يوم ما الذي دفعك إلى مواجهة الاحتلال الفرنسي وتحمل العذاب في سجونه وكان بإمكانك أن تكتفي بأداء رسالة التعليم؟ فأجاب:

لقد مضيت ست سنوات في سجون الاحتلال وتحملت من العذاب مالا يتصوره بشر لكنني أبدا لم أفقد حلمي بالحرية وعودة الجزائر إلى أبنائها طالما بقي طفل واحد يحفظ فاتحة الكتاب..

ما من مسلم في الأرض يتدبر القرآن حق التدبر يمكن أن يسلم لأعداء الدين والوطن لقد رأيت الاستقلال في دماء الشباب الجزائري التي خضبت الثلوج في الحدود الألمانية الفرنسية إبان الحرب العالمية ،هؤلاء الشباب الذين ارتقوا إلى ربهم وحرية الجزائر تلمع في عيونهم..

371/377

رأيت استقلال الجزائر في أكداس الشهداء من الأطفال والنساء والعجائز في مجازر الثامن مايو أولئك الذين غادروا مفجعين..

رأيت استقلال الجزائر في جوع الأطفال الذين كانوا يقتاتون على قمل رؤوسهم من حرقة المسبغة.

لقد حولت فرنسا بظلمها وجرائمها كل جزائري إلى قنبلة موقوتة تتحين لحظة الانفجار ،وجاء الفاتح من نوفمبر 1954 ليفجر الأرض تحت أقدام الغزات ولا عجب أن يكون معلمي القرآن وطلبته أول المجاهدين في صفوف الثورة، وظل صالح إلى آخر رمق من حياته مسكونا بحب الجزائر وحب القرآن والعربية وكان هذا الحب محور عمله كله وربما مر عليه كثير من أهل الطاهير وهو جالس على كرسي قرب بيته يقرأ الكتب ولا يعبأ بالغادي والقادم ولكن أحدا منهم لم يكن يعلم أن الشيخ كان يعشق الشمس والحرية لكثرة ما رأى من الظلمات والعذاب في سجون الاحتلال.

كانت حياة الشيخ صالح بوحلي – رحمه الله – تاريخ جهاد طويل ومرير في مقارعة العدو الفرنسي البغيض، وسفرا خالدا من أسفار البطولة والتضحية ونموذجا رائدا للدور العظيم الذي قام به معلمو القرآن إبان الثورة التحريرية.

والرجل حقيق بأن يقدم للأجيال الجديدة كمعلم هداية على طريق حب الأوطان وحمايتها والدفاع عنها -لاسيما والبلاد العربية والإسلامية تتعرض مع مطلع هذه الألفية إلى هجمة – إستدمارية جديدة، لقد رحل الإمام المجاهد الشيخ صالح مخلفا وراءه أجيالا من المتعلمين المثقفين وإطارات الولاية الذين مازالوا يحتفظون له بالفضل الكبير في توجيههم إلى الدرب الصحيح، وفي ليلة الجمعة 19 جانفي من عام 2001 فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وشهد مسجد سيدي يحي بوسط مدينة الطاهير جمعة وجنازة مهيبة للشيخ الذي أحبه الجميع وشيعته حشود كبيرة يتقدمها كبار مجاهدي وشيوخ وأئمة ولاية جيجل وكذا طلبته الذين وفدوا من كل مكان ودفن بمقبرة الطاهير المركزية، رحمه الله وجزاه الله عن الجزائر وأبنائها خيرا جزاء فلم يرغب من دنيا الناس هذه سوى أن

372/377

ترتفع أكف الضراعة للمولى عز وجل له بالجنة وحسن الختام.

معتمدات البحث:

- أنظر : تركي رابح ،التعليْم القوي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للطباعة والنشر- مركب الطباعة – الرغاية – الطبعة الثانية ،الجزائر 1981.

- أنظر : الطاهر زرهوني ،التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال ،موضع للنشر الجزائر 2014.

- كل المعلومات الواردة في المداخلة بخصوص الشيخ صالح بوحلي موثقة لدى عائلته إما بوثائق رسمية – أو بتسجيلات صوتية أو تسجيلات مصورة.

- **ملاحظة** : كاتبة المداخلة الأستاذة : أمينة بوبصلة هي زوجة ابنه الأصغر وكانت على تواصل دائم معه شخصيا.

ملاحق البحث:

الشيخ صالح بوحلي على اليمين رفقة الشيخ أحمد بوسماحة في الوسط ومسؤول أمني

الشيخ صالح بوحلي يلقي كلمة وعلى يساره الشيخ أحمد بوسماحة

إجازة الشيخ أحمد حماني للشيخ صالح بوحلي

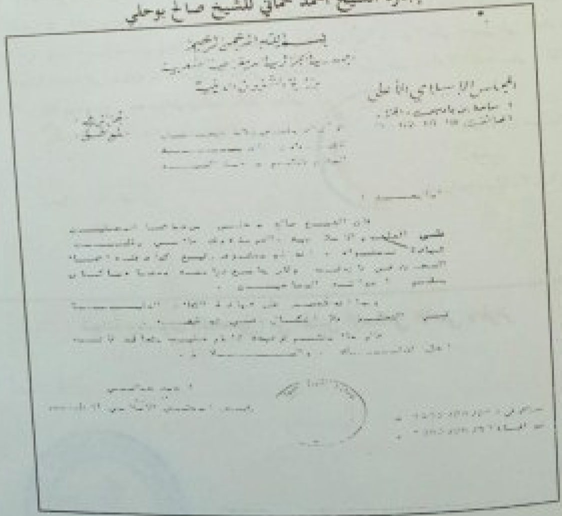

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الإسلامي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الشؤون الدينية

المجلس الإسلامي الأعلى

1 ساحة بن باديس، الجزائر

الهاتف: Tel: 62.16.19

الجزائر في:

الموافق:

شهادة بالمستوى

[illegible]

شهادة بالمستوى (التحصيل) من المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر

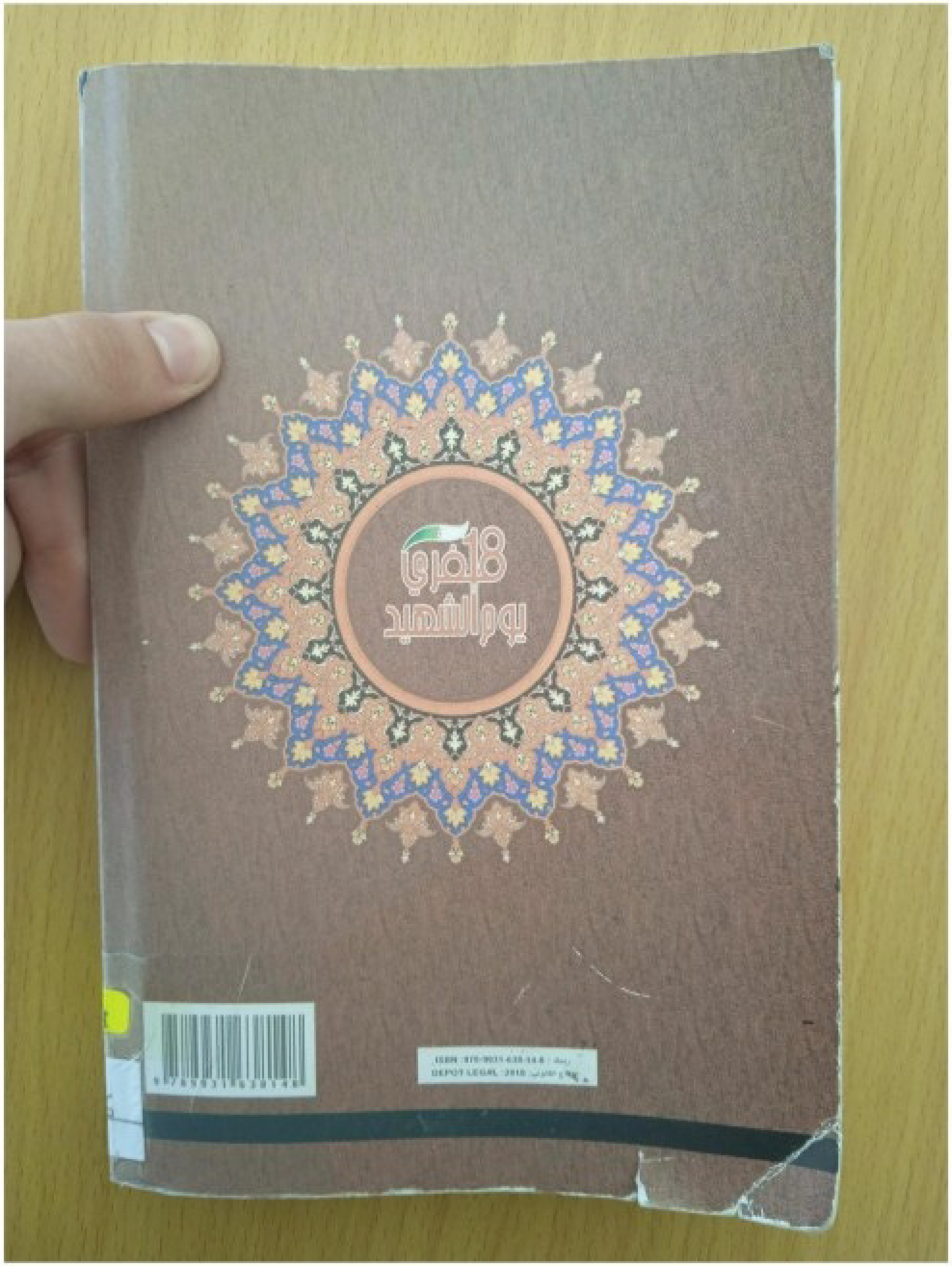
18 فيفري
يوم الشهيد